سلسلة الرسائل العلمية - ٣



مركز دلائل
DALA'IL CENTRE

منهج القرآن الكريم

في دحض شبهات الملحدين

أفنان بنت حمد بن محمد الغماس

منهج القرآن الكريم

في دحض شبهات الملحدين

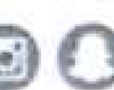
أفنان بنت حمد بن محمد الغماس



Dalailcentre@gmail.com

الرياض - المملكة العربية السعودية

ص ب: ٩٩٧٧٤ الرمز البريدي ١١٦٢٥

Dalailcentre@ 

+٩٦٦٥٣٩١٥٠٣٤٠

الطبعة الأولىٰ

١٤٣٨هـ

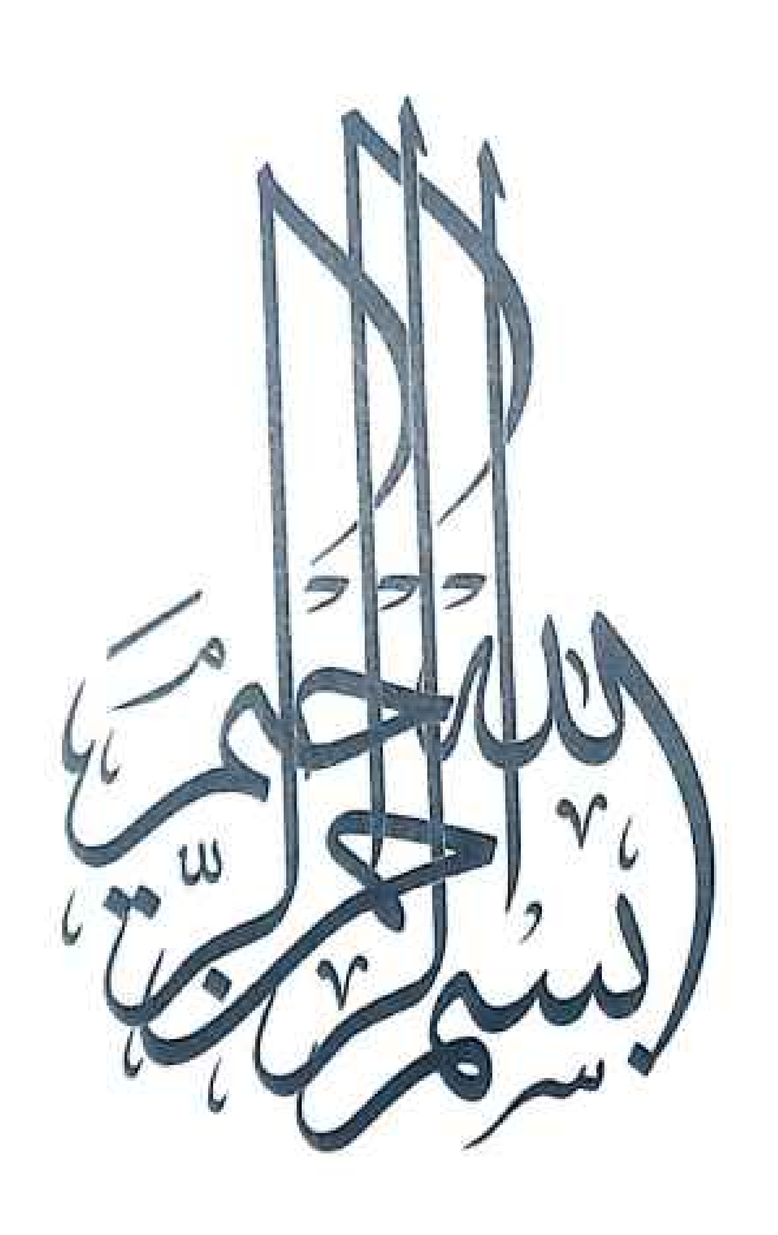
تصدير:

لا زالت تمتلئ جامعاتنا العربية والإسلامية بالعقول المفكرة، ومجهوداتها المميزة في شتى مجالات العلوم الدينية والفكرية، ولعل من أبرز الساحات التي تبرز من خلالها هذه المجهودات هي ساحات (الرسائل العلمية)، سواء كانت ماجستير أو دكتوراه، ومن هنا كان اهتمام مركز دلائل بانتقاء عدد منها وتسليط الضوء عليها ونشرها لتعم فائدتها، ولاسيما التي تناسب مجال اهتمامنا في تعزيز الإيمان وتقويته.

وفي هذا الكتاب تتناول الأستاذة أفنان الغماس سؤالا كثيرا ما يتبادر إلى أذهان الشباب والمسلمين اليوم وهو: هل تعرض القرآن الكريم لشبهات الإلحاد؟ ماذا كان منهجه في الرد عليها؟ وإذا كان الإلحاد لفظ عام يشمل كل ميل عن المنهج الحق والدين، فكيف تم تناول مختلف صوره في القرآن؟ خصوصا ذلك الإلحاد المتعلق بإنكار وجود الخالق ﷻ ومزاعمه النافية لوجود أدلة عقلية أو كونية عليه سبحانه.

مركز دلائل

***


بسم الله الرحمن الرحيم

أصل هذا الكتاب رسالة علمية لنيل درجة الماجستير في العقيدة من كلية أصول الدين والدعوة بجامعة أم القرىٰ بمكة المكرمة، وقد نوقشت الرسالة عام ١٤٣٧هـ من أصحاب الفضيلة:

- أ.د سعود بن عبدالعزيز العريفي

مشرفًا

- أ.د فهد بن محمد القرشي

مناقشًا

- أ.د سلوىٰ بنت محمد المحمادي

مناقشًا

* * *

فهرس المحتويات

المحتوى	الصفحة

***

مقدمة...

الحمد لله الذي بعث إلينا خير رسله، وأيّده بالكتاب المبين، المعجز بالبيان، الفريد بالتبيان، هداية للعالمين، ورحمة للمؤمنين، ورشادًا للزائغين، وحجة علىٰ الخلق أجمعين، والصلاة والسلام علىٰ سيد الخلق والأنام، محمد ﷺ.

أما بعد:

فإن الله فطر العباد علىٰ عبادته والاعتراف بوحدانيته، إلا أن الحكمة الإلهية اقتضت الاختيار والإرادة للإنسان، في ملازمة الفطرة والاستسلام لأمر الله، أو النكران والعصيان. فمن الناس من انحرف عن الإيمان والتوحيد، ومنهم من تدنست فطرته فأنكر وجود الله، الذي وجوده أعظم وجود، والدلائل عليه أظهر الأدلة، فأنكروا الخالق وأثبتوا المخلوق، وجحدوا الرب وأثبتوا المربوب، ونفوا الصانع وأثبتوا المصنوع، وانحدروا إلىٰ جاهلية الكفر والإلحاد.

وإن الانحراف العقدي كان في تاريخ البشرية الغالب عليه تيار الشرك والبعد عن الله. أما الإلحاد بمعنىٰ إنكار الربوبية فقد كان نادرًا، حتىٰ العصر الحاضر، فقد انحدر الناس في سلك الإلحاد بصورة لا مثيل لها في التاريخ من

قبل، وراجت الأفكار الإلحادية، والفلسفات المادية، وأصبحت المعرفة الإلهية من أهم الأمور التي شغلت حيزًا في التفكير الإنساني.

وتواردت الأسئلة علىٰ العقول عن الخلق والوجود، وتساءل الإنسان: هل هناك خالق لهذا الوجود؟ وأين هو؟ وهل يعلم بخلقه؟ وهل له صفات؟ ومن أين جئتُ؟ وإلىٰ أين أسير؟ وما الغاية من وجودنا في هذه الحياة؟ وهل هناك حياة بعد الموت؟ ولماذا لا يعود من يموت؟ هذه التساؤلات وأكثر يبحث عن إجابة لها؛ فيحتار، ولا يمكن أن يجد جوابًا كافيًا شافيًا مقنعًا إلا من خلال المنهج الرباني الذي قرره الله في كتابه العزيز، فإن من ضلَّ الطريق، واكتوىٰ بنيران الضلال والإلحاد، وأضلته دروب الفلسفة، والمذاهب المادية في الحياة، يجد في القرآن الكريم ظلًّا يستظل به من ظلمات الوحشة والتردد والحيرة، فينصب في قلبه برد اليقين، ويرجع إلىٰ الحق بنور الفطرة المتوقدة في النفوس البشرية، وبدلالات الهدىٰ والآيات الساطعات بالحجج القاهرات التي تملأ النفس يقينًا وإيمانًا.

وقد وجدت القرآن الكريم اتبع منهجًا قويمًا في مجادلة الملحدين الماديين ودحض أصول شبهاتهم، ودعا إلىٰ الدين الحق. وقد قام هذا المنهج علىٰ الأسس التالية:

١ - الدعوة المباشرة إلىٰ الإيمان بالله وحده لا شريك له، وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ونبذ الكفر والإلحاد وعبادة الطاغوت من دون الله. قال تعالىٰ: ﴿ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ (النحل: ٣٦). وقال تعالىٰ:

﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ (النساء: ٣٦).

٢ - مخاطبة العقول والقلوب على اختلاف مدارك الفهم في كل عصر، وإرشادها إلى الحق اليقين، ومجادلة أهل الباطل والملحدين، ودحض كل فكر ضال منحرف عن الطريق المستقيم، فجاءت الدلائل القرآنية العقلية تشهد بأن الله خالق الوجود، وتبرهن على ذلك دلائلُ الفطرة السوية.

٣ - عرض مجادلات أهل الإلحاد والكفر في صورة قصة في غاية الوضوح والتفصيل، يُذكر فيها مقالاتهم وشبهاتهم، ثم ينقضها ويفندها بطريقة عقلية، تأتي على لسان الرسول الحق ﷺ الذي ينهج لنا الأسلوب الأمثل في مناقشة العقائد المنحرفة، وإثبات بطلانها.

ومع قلة الملحدين المنكرين للوجود الإلهي في التاريخ القديم، بخلاف ما هو عليه في هذا العصر، إلا أن الآيات القرآنية جاءت في معالجة قضية الإلحاد في وجود الله، وفي خصائص ربوبيته حاسمةً، ومحكمةً، وداحضةً للفكر الإلحادي من الأصول والجذور، فالأدلة والبراهين العقلية على وجود الله وافرة، والمجادلات القرآنية مع الملاحدة هدمت أركان الإلحاد، وهدّت بناياته.

وفي سياق الإلحاد البشري المذكور في القرآن، نجد أن هناك من ينكرون الربوبية لله في الخلق أو الملك أو التدبير، وقد ناقشهم القرآن، وحاورتهم الآيات في قضية الوجود الإلهي عن طريق الاستدلالات العقلية، بالأدلة والبراهين المفعمة بالحجة القوية، التي توقظ الفطرة السليمة في النفوس، وتلزمها بضروريات عقلية تثبت فيها ضرورة الاعتراف بالخالق. ونجد أن

القرآن جادل المنكرين للمعاد الأخروي والبعث الجزائي للخليقة بعد موتها، فأتت الدلائل العقلية مستوفية ومقنعة للإيمان باليوم الآخر، فقد جادلت المنكرين بالحجج القوية، والاستدلالات المنطقية، والأقيسة الصريحة، والأمثال المضروبة، بأوضح عبارة، وأجلىٰ بيان، بعيدة عن فلسفة المتفلسفة، وتعقيد المتكلمة، فبَهتت الملحد، وقطعت علىٰ المعاند حججه، وأبطلت شبهاته، وأزالت أوهامه، وألجمت الأفواه، ودفعت غشاوة الظلمة عن القلوب، ونقلتهم من الضلالة إلىٰ النور، بوضوح الحجة وقوة البرهان، فتهاوت حجج المخالف، فلم يجد بُدًّا من الإذعان وإعلان الإيمان. ولو تجرد المرء من الهوىٰ، وسلمَتْ آلات الاستقبال عنده، وأمعن النظر في الآيات البيِّنات؛ لساقَتْه إلىٰ الإيمان سوقًا، ولدفعته إلىٰ اليقين دفعًا، وذلك؛ لكفاية القرآن الكريم في دفع أوهام الملحدين ودحض ما لديهم. وقد رأيت الاكتفاء في الدراسة بمعالجة الإلحاد من حقائق الآيات القرآنية، التي أظهرت براهين الإيمان بما يبدد شبهات الملحدين وأباطيلهم، وقد ورد في القرآن صراحة ما يعتمد عليه في ذلك، ويعلم بالمنطوق أو المفهوم، إما صراحة أو استنباطًا. (والقرآن؛ قد ضرب الله للناس فيه من كل مثل، وهي المقاييس العقلية المفيدة للمطالب الدينية، لكن القرآن يبين الحق في الحكم والدليل، فماذا بعد الحق إلا الضلال؟! وما كان من المقدمات معلومة ضرورية متفق عليها، استدل بها، ولم يحتج إلىٰ الاستدلال عليها، والطريقة الصحيحة في البيان أن تحذف، وهي طريقة القرآن، بخلاف ما يدّعيه الجهال، الذين يظنون أن القرآن ليس فيه طريقة برهانية، بخلاف ما قد يشتبه ويقع فيه نزاع، فإنه يبينه

ويدل عليه)[1]. وقد اتبعت المنهج القرآني في البحث بعيدًا عن علم الفلسفة والكلام، وذلك؛ لأنه (إذا تأمل الفاضل غاية ما يذكره المتكلمون والفلاسفة من الطرق العقلية.. وجد الصواب منها يعود إلىٰ بعض ما ذكر في القرآن من الطرق العقلية، بأفصح عبارة وأوجزها، وفي طرق القرآن من تمام البيان والتحقيق ما لا يوجد عندهم مثله)[2].

ومما يجدر الإشارة إليه أن موضوع الإلحاد لم يكن من أولويات اهتماماتي المعرفية إلا أن قصة حدثت لي هي التي شدت انتباهي له، فكانت بداية اهتمامي به، وقد حدثت تلك القصة علىٰ أبواب دخولي مرحلة الماجستير، حيث كنت مسافرة علىٰ إحدىٰ رحلات الطيران، وقدّر الله أن يجلس بجانبنا رجل ملحد يشكّك في مسلّمات الدين، وكان هذا الموقف غريباً مستنكراً بالنسبة لي؛ لأنها كانت المرة الأولىٰ التي أرىٰ فيها ملحداً يتبجّح بإلحاده، ولم أكن أتصور مسألة الإلحاد في عالمنا العربي قبل هذا اللقاء، فكان لهذا الموقف أثر في إقدامي علىٰ تخصص العقيدة في مرحلة الماجستير، وأصبح الموضوع يدور في خلدي، حتىٰ كنت بصدد اختيار الموضوع للرسالة، ورغبت في أن أبقىٰ قريبةً من ظلال القرآن، استظلَّ به، وأنهل من معينه، وأغوص في معانيه، وأتدبّر آياته، وأتمعّن مفرداته؛ لعلي أنال بركة كلام الله ﷻ، فأجد برد اليقين يظلني، ونور الفطرة يشق لي الطريق،

---

(١) شرح الطحاوية، تحقيق: الأرناؤوط (١/ ٣٨).

(٢) شرح الطحاوية (١/ ٧٦).

ومدد الله وعونه وتوفيقه، ومن تيسير الله لي أن سهل لي قبول موضوع البحث بعنوان: (منهج القرآن الكريم في دحض شبهات الملحدين).

وقد اعتمدت في هذه الدراسة المنهج العلمي الملائم لطبيعة الموضوع، وهو المنهج الاستقصائي، وذلك باستقصاء الآيات القرآنية التي لها علاقة بالموضوع، وجمعها ثم تصنيفها علىٰ حسب فصول البحث.

وقد اتبعت المنهج الاستقرائي التحليلي، وذلك باستقراء كتب التفسير لهذه الآيات واستخراج المادة العلمية، وبعدها أقوم بتحليلها وإعادة صياغتها وترتيبها وفق خطة الدراسة وكتب العقيدة، ثم النظر في الكتب العقدية المتخصصة في الظاهرة الإلحادية ومحاولة الربط بين أصول الملحدين قديماً وحديثاً.

كما اتبعت المنهج الوصفي في توصيف الظاهرة الإلحادية، واختلاف الإلحاد في القديم عن الحديث، وبيان أنواعه وتاريخه وأسبابه وخطره علىٰ البشرية.

وفي الختام فإني قد بذلت وسعي واجتهدت لإخراج البحث علىٰ أحسن وجه، وأنىٰ لي الكمال، وسنة الله في الخلق النقص! فإن وفِّقت فيما سعيت فلله الحمد والفضل والمنّة، وإن كان غير ذلك فعند الله أحتسب جهدي، وعزائي أني لم أدخر بالاجتهاد والمشورة، وبذل الوقت، ولا أزعم أني قد حققت المرجو والمراد.

وأتمنىٰ من كل من قرأ بحثي هذا، إذا رأىٰ زلة قلم، أو هفوة نسيان، أن يُهدي إلي تقصيري، ويقيل عثراتي، ويرشدني بإحسانه، لأقوّم ما زلّ عنه قلمي، وقصر عنه فهمي، وبعُدَ عنه نظري، فما أقدمه ليس سليماً من العيب، ولا خالياً من النقص.

وأسأل الله أن ينفع بهذا البحث الإسلام والمسلمين، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم. كما أتقدم بالشكر الجزيل لوالدي الكريمين -رعاهما الله- علىٰ مابذلا من نصح ومعونة ودعاء، فجزاهما عني خير الجزاء. وشكري الموصول لفضيلة المشرف الكريم أ.د. سعود بن عبدالعزيز العريفي؛ لبذله وإرشاده ونصحه ودعمه، سائلة الله أن يجزيه الخير كله، ولمشرفي الرحيم السابق فضيلة الشيخ أ.د. محمد عبد الحافظ - رحمه الله رحمه واسعة - فقد تعهّدني بجميل النصح والإرشاد، أجزل الله له المثوبة والأجر، وجمعنا به في أعالي جناته. وأتقدم بالشكر والتقدير أيضاً إلىٰ جامعة أم القرىٰ ممثلة بكلية الدعوة وأصول الدين - قسم العقيدة - علىٰ إتاحتها الفرصة لي لإكمال مسيرتي العلمية

والحمد لله أولاً وآخراً والصلاة والسلام علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه الأطهار.

❊ ❊ ❊

الفصل الأول:

بين الإلحاد والقرآن

ويشتمل على مبحثين:

- المبحث الأول: الاستعمالات القرآنية والنبوية للفظ «الإلحاد».
- المبحث الثاني: اشتمال القرآن على الأدلة العقلية اليقينية على أصول الإيمان.

المبحث الأول:

الاستعمالات القرآنية والنبوية للفظ «الإلحاد»

أولاً: الاستعمالات القرآنية: هناك خمسة مواضع في كتاب الله تعالىٰ، ذكر فيها «الإلحاد»، وهي كما يلي:

الموضع الأول: قوله تعالىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ ﴾ (الأعراف: ١٨٠). يظهر من الآية الكريمة أنها في الإلحاد في أسماء الله الحسنىٰ، وذلك إما بجحدها وإنكار معانيها، وإما بتحريفها وتعطيلها عن الحق الثابت فيها بالتأويلات الباطلة، وإما بتسمية الأصنام المصنوعة بأسمائه تعالىٰ[١].

وقد استعمل لفظ الإلحاد هنا بمعنىٰ الميل والعدول في أسماء الله تعالىٰ عن الحق الثابت فيها.

الموضع الثاني: قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ ﴾ (فصلت: ٤٠). والمراد بالإلحاد في هذه الآية أي: (يميلون عن الحق في أدلتنا)[٢].

---

(١) انظر: الإرشاد إلىٰ صحيح الاعتقاد والرد علىٰ أهل الشرك والإلحاد، أحمد بن عيسىٰ (١٤٦)، وحاشية كتاب التوحيد، عبد الرحمن القحطاني (٣٣٨).

(٢) تفسير القرطبي (١٥/ ٣٦٦).

قال السعدي[1]: (الإلحاد في آيات الله: الميل بها عن الصواب، بأي وجه كان: إما بإنكارها وجحودها وتكذيب من جاء بها، وإما بتحريفها وتصريفها عن معناها الحقيقي، وإثبات مَعَانٍ لها ما أرادها الله منها)[2].

ومن المعلوم أن «آيات الله» تنقسم إلىٰ قسمين:

- آيات كونية، وهي ما يتعلق بالخلق والتكوين، مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ (الروم: ٢٠).

- آيات شرعية، وهي كل ما يتعلق بالوحي والتنزيل.

فبالتالي؛ الإلحاد في الآيات يكون علىٰ وجهين:

- الإلحاد في الآيات الكونية، وذلك بأن ينسب الخلق والتدبير في هذا الكون إلىٰ غير الله، سواء كانت هذه النسبة علىٰ وجه الاستقلال، أو التّشريك، أو الإعانة.

- الإلحاد في الآيات الشرعية، وذلك بالطعن في صحتها، أو إنكارها وردها وعدم التصديق بها، أو تحريفها، ويشمل ذلك التحريف اللفظي - وهو قليل -، والتحريف المعنوي، وهو تعطيل المعنىٰ الحق الذي دلت عليه الآية وتأويلها تأويلًا باطلًا، وهو الذي عليه أغلب المتكلمين[3].

---

(١) عبد الرحمن بن ناصر السعدي التميمي: ولد عام (١٣٠٧هـ)، من مصنفاته: (القول السديد في شرح كتاب التوحيد، منهج السالكين). توفي عام (١٣٧٦هـ). انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون، للبسام (٣/ ٢١٨).

(٢) تفسير السعدي (١/ ٧٥٠).

(٣) انظر: فتح رب البرية بتلخيص الحموية، محمد بن عثيمين (٢٢)، والقول المفيد علىٰ=

والظاهر بعد استعراض كلام المفسرين[1] في هذه الآية: أن لفظ الإلحاد هنا استعمل في الإلحاد في الآيات الشرعية، فيدخل في ذلك: الشرك بالله، وفعل المعاصي والمنكرات المخالفة للشرع؛ لأنها خروج عن طاعة الله عز وجل.

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ (النحل: ١٠٣).

(يقول تعالى ذكره: ولقد نعلم أن هؤلاء المشركين يقولون جهلًا منهم: إنما يُعَلِّمُ محمدًا هذا الذي يتلوه بشر من بني آدم، وما هو من عند الله)[2].

وتأتي الآيات تكذبهم في قولهم هذا: بأن لسان الذي تلحدون إليه - أي: تميلون إليه وتنسبون إليه أنه يُعَلِّمُ محمدًا - أعجميّ، وهو لسان عربي مبين.

يتبين لنا: أن لفظ الإلحاد استعمل في هذه الآية بمعنى: إمالة الشيء عن وجهه الحق إلى وجه باطل، والميل بالناس عن اتباع الحق وسلوك طريقه.

الموضع الرابع: حرّم الله الإلحاد والميل عن طريق الحق والصواب، ومن أعظم الإلحاد: الإلحاد في الحرم؛ لما يترتب عليه من تعظيم الحسنات والسيئات. قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ (الحج: ٢٥).

=كتاب التوحيد، محمد بن عثيمين (٢/ ٣٢١)، وشرح العقيدة الواسطية، محمد بن عثيمين (١/ ١٢٤).

(١) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٤٧٧)، وزاد المسير في علم التفسير (٤/ ٥٤)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٣٦٦).

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٢٩٨).

ذكر المفسرون[1] في تفسير الإلحاد المراد في هذه الآية عدة وجوه متباينة، بين: الشرك وعبادة غير الله، وانتهاك حرمات الحرم، والخروج عن الصراط المستقيم.

وقد قرن الله تعالىٰ الإلحاد في هذه الآية بمكان معين - وهو حرم مكة -، ويتسم بصفة وصفها به وهي «الظلم»، أي: الميل بظلم، وهي: مخالفة الأوامر التي أوجبها الله وارتكاب المعاصي، وهذا ظلم للنفس، كما قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان: ١٣). وقد استعمل لفظ الإلحاد هنا بمعنىٰ: الميل من أمر مشروع إلىٰ أمر مخالف للشرع.

الموضع الخامس: قوله تعالىٰ: ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ (الكهف: ٢٧). وفي موضع آخر، قال تعالىٰ: ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ (الجن: ٢٢).

المراد بقوله: ﴿مُلْتَحَدًا﴾ في الموضعين هو: الذي يعدل ويميل إلىٰ جانب دون آخر[2].

والملحد هو: المائل عن الحق والصواب، وملتحدًا هنا بمعنىٰ: ملجأ تميلون إليه.

ثانيا: الاستعمالات النبوية: هناك مواضع كثيرة في السنة النبوية، نذكر أبرزها في خمسة مواضع:

الموضع الأول: قال النبي ﷺ: «أبغض الناس إلىٰ الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ومطلب دم امرئ بغير حق

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٥/ ٣٧٧)، والتفسير الكبير (٢٣/ ٢١٨).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٧/ ٥٧٥).

ليهريق دمه»[1].

الموضع الثاني: أتىٰ عبدُ الله بن عمر عبدَ الله بن الزبير، فقال: يا ابن الزبير، إياك والإلحاد في حرم الله - تبارك وتعالىٰ -، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه سيلحد فيه رجل من قريش، لو وزنت ذنوبه بذنوب الثقلين؛ لرجحت»، قال: فانظر؛ لا تكونُه[2].

الموضع الثالث: عن عثمان بن عفان، قال: قال له عبد الله بن الزبير - حين حصر -: إن عندي نجائب قد أعددتها لك، فهل لك أن تحول إلىٰ مكة فيأتيك من أراد أن يأتيك؟ قال: لا إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يلحد بمكة كبش من قريش، اسمه عبد الله، عليه مثل نصف أوزار الناس»[3].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الديات، باب: من طلب دم امرئ بغير حق، (٩/ ٦٨٨٢)، حديث رقم (٦٨٨٢).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما (٥/ ٤٦٢)، حديث رقم (٦٢٠٠). قال الألباني: وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين، وباختلاف لفظ «توزن» في المستدرك على الصحيحين، باب: تفسير سورة الحج بسم الله الرحمن الرحيم (٢/ ٤٢٠)، حديث رقم (٣٤٦٢). قال الذهبي: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وفي مصنف ابن أبي شيبة، باب: ما ذُكِر من حديث الأمراء والدخول عليهم (٦/ ٢٠٤)، حديث رقم (٣٠٦٨٧)، وفي باب: من كره الخروج في الفتنة وتعوذ منها، (٧/ ٤٧٣)، حديث رقم (٣٧٣٣٢). وفي مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٣/ ٢٨٥)، كتاب: الحج، باب: في أمر مكة من الأذان والحجابة وغير ذلك، حديث رقم (٥٧٠٢). قال الألباني: هذا إسناد صحيح، رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٧/ ٢٩٣).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، مسند عثمان بن عفان رضي الله عنه، (١/ ٥٠٨ - ٥٠٧)، حديث رقم (٤٦١)، وعند مسند البزار «البحر الزخار»، مسند عثمان بن عفان رضي الله عنه، باب: ابن أبزىٰ،=

الموضع الرابع: عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «الكبائر: الإشراك بالله، وقذف المحصنة، وقتل النفس المؤمنة، والفرار يوم الزحف، وأكل مال اليتيم، وعقوق الوالدين المسلمين، وإلحاد بالبيت قبلتكم أحياء وأمواتا»[1].

الموضع الخامس: روي عن رسول الله ﷺ: (احتكار الطعام في الحرم إلحاد فيه)[2].

=(٢/ ٣١)، حديث رقم: (٣٧٥). قال الألباني: الحديث حسن بلفظ البزار، صحيح بلفظ أحمد. من سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، (٧/ ٢٩٢). وفي مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٣/ ٢٨٥)، كتاب: الحج، باب: في أمر مكة من الأذان والحجابة وغير ذلك، حديث رقم (٥٧٠٣).

(١) السنن للبيهقي (٣/ ٤٠٨)، صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/ ٨٤٤)، حديث رقم (٤٨٠٢). قال الألباني: حسن.

(٢) سنن أبي داود، تحقيق: الأرنؤوط، كتاب: المناسك، باب: تحريم مكة (٣/ ٣٦٩)، حديث رقم (٢٠٢٠). إسناده ضعيف؛ لجهالة جعفر بن يحيى بن ثوبان، وعمارة بن ثوبان، وموسى بن باذان. وقال الذهبي في «الميزان» في ترجمة جعفر بن يحيى: هذا حديث واهي الإسناد. وحكم الألباني: ضعيف. ضعيف الجامع الصغير وزيادته (٢٨). وله روايات كثيرة كلها تتراوح بين الضعيف أو المنكر أو المسكوت عنه. وقد روي هذا الحديث موقوفًا عن عمر بن الخطاب وهو الصحيح، فقد أخرجه البخاري في «تاريخه الكبير» (٧/ ٢٥٥) والأزرقي في «أخبار مكة» (٢/ ١٣٥) من طريق يحيى بن سليم الطائفي، عن عبدالله بن عثمان بن خثيم، عن عبيدالله بن عياض بن عمرو القاري، عن يعلى بن منبه - وهو ابن أمية نفسه - أنه سمع عمر بن الخطاب يقول: احتكار الطعام بمكة إلحاد. وإسناده حسن.

وغيرها من الأحاديث الواردة؛ كلها تدور حول تعظيم الإلحاد في الحرم، وحرمة من يفعل ذلك، والوعيد الذي اختصه الله به، فمن تكريم الله تعالىٰ لهذا البلد الأمين: أن حرَّم الإلحادَ فيه، والميلَ عن الصراط المستقيم، بفعل الذنوب والمعاصي، ولا شك أن أعظم المعاصي الإشراك بالله ﷻ، ويدخل في الأحاديث الواردة: كل ذنب وفسق وكفر.

قال ابن كثير - في تفسيره لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ (الحج: ٢٥) -: (وهذا من خصوصية الحرم: أنه يعاقَب البادي فيه الشر إذا كان عازمًا عليه، وإن لم يوقعه)[1].

ويتجلىٰ بوضوح: عظمةُ هذا البيت العتيق، وحرمةُ الإلحادِ فيه والميلِ والزيغِ عن الطريق القويم.

ويظهر مما سبق ذكره: أن الاستعمالات القرآنية والنبوية للفظ الإلحاد تشترك في معنىٰ الإلحاد في الحرم، وعظمة البيت الحرام.

❊ ❊ ❊

---

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ٤١١).

المبحث الثاني:

اشتمال القرآن على
الأدلة العقلية اليقينية على أصول الإيمان

إن الفطر السليمة تقر بوجود الله، وإن المعرفة الربانية والإقرار بوجود الله أمر جُبلت عليه النفوس البشرية، وإن الإلحاد الذي هو بمعنىٰ إنكار وجود الله، الذي يظهر بين الفينة والأخرىٰ، هو انحراف في النفوس البشرية والطبيعة الإنسانية، وتحويل لمجرىٰ الغريزة الفطرية التي فطر الله عليها الخلق، المتجهه إلىٰ عبادة الخالق وألوهيته ووحدانيته.

وكما أن الفطرة البشرية تدل علىٰ وجود الخالق الحق؛ فكذلك الحس الإنساني يقرر أن لكل حادث محدثًا، ولكل تصميم مصممًا، ولكل نظام بديع مبدعًا أتقنه، فحين يرىٰ العاقل هذا الكون البديع بكل مكوناته، والدقة المتناهية في حركاته، والإحكام المتقن في سير أموره، يدرك أن هذا النظام والإبداع والإحكام، لا يمكن أن ينشأ من ذاته؛ لأنه عاجز عن ذلك، فلا بد أن هناك صانعًا أبدعه، وخالقًا أتقنه، فيثبت له افتقاره، وافتقار العالم من حوله إلىٰ محدث أحدثه وأوجده، فيقطع بوجود الخالق الصانع لهذا الكون العظيم.

وقد جاءت الآيات[1] والدلائل العقلية القرآنية تخاطب العقل البشري: أن لهذا الكون إلهًا خالقًا حكيمًا قادرًا، وتبرهن علىٰ ما يقع في الحس الإنساني؛ للاستدلال علىٰ وجود الله بالتأمل والتفكر في نظام الكون وجمال صنعه.

لأن من البشر من شذَّ ونكص علىٰ عقبيه، وأنكر الإله الخالق، ومنهم من اعتقد تأثير الدهر في حياة الناس ومماتهم كالدهرية، الذين قال الله عنهم: ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ ﴾ (الجاثية: ٢٤). وهذا القول قائم علىٰ الظن والتخمين، وقد بينه الله بقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ (الجاثية: ٢٤). وفسدت بعض طوائف البشرية في هذا العصر، وانتكست فطرتها، وأعلنت جحود الإله الخالق. قال سيد قطب: (لقد كان القرآن الكريم يخاطب فطرة الإنسان بما في وجوده هو، وبما في الوجود من حوله من دلائل وإيحاءات، كان يستنقذ فطرته من الركام، ويخلص أجهزة الاستقبال الفطرية مما ران عليها وعطّل وظائفها، ويفتح منافذ الفطرة لتتلقىٰ الموحيات المؤثرة وتستجيب لها)[2].

وإن كثيرًا من الملحدين المنكرين للخالق يدّعون أنه ليس هناك دليل من العقل ولا من الحس علىٰ وجود الله، فلا يؤمنون بالله بحجة أنه ليس هناك

---

(١) انظر الآيات الواردة مثلًا في: الحجر (١٩ - ٢٢)، النحل (٧٨)، المؤمنون (٨٤ - ٩١)، الفرقان (٥٤)، السجدة (٦ - ٩)، يس (٣٣ - ٤٠)، الزمر (٦)، الملك (٣ - ٤)، نوح (١٥ - ٢٠)، النبأ (٦ - ١٦)، عبس (٢٤ - ٣٢)، الطارق (٥ - ٧)، الغاشية (١٧ - ٢٠).

(٢) في ظلال القرآن (٢/ ١٠١٢).

دليل من العقل علىٰ وجوده! وبعض من يؤمن بوجود إله خالق، يزعم أن مستند دليله الخبر الصادق عن النبي المرسل، ولا دليل له من العقل، وأن إيمانه بوجود الله قلبي لا عقلي ولا حسي، ولا شك في أن الإيمان بوجود الله قلبي، وأن هذا الإيمان تؤيده الرسل، ولكن من أين عرف صحة صدق النبوة إلا من جهة عقله[1]؟

ويخطئ من يظن أن القرآن الكريم لم يتعرض لمخاطبة الملحدين، ولم يعرض لشُبهاتهم ويدحضها، ولا لكيفية مجادلتهم ومناقشتهم، فالحق الذي لا ريب فيه: أن القرآن من أوله إلىٰ آخره خطاب موجّه إلىٰ ذوي العقول والأبصار، وذوي اليقين والفكر، وغني بالأدلة العقلية اليقينية علىٰ أصول الإيمان، التي ترشد الحائرين إلىٰ استخدام عقولهم الصريحة؛ لأن العقل هو أكثر ما يفاخر به المرء المخاصم، والقرآن الكريم لا يَهاب نتائج العقل الصريح؛ لأن العقل الصريح لا يتعارض مع النقل الصحيح والحقائق الإيمانية.

والنصوص القرآنية قد عرضت المسائل العقدية، وما يتعلق بإثبات وجود الله ووحدانيته، وإثبات المعاد وحقيقته، وإثبات النبوة والرسالة ومعجزاتها، بكل وضوح تام، فهي تضع المسألة تحت مجهر البحث دون أي حساسية في الطرح والمناقشة، وقد جادلت الآيات الخصوم بمنهجية عقليه مميزة، وتنزلت مع الخصم إلىٰ أدنىٰ درجات التنزل، حتىٰ فرض التكافؤ بين

---

(1) من أراد التفصيل في دلالة العقل والقلب؛ ينظر: فتاوىٰ ابن تيمية، الجزء التاسع.

الخصمين في الحجة، قال تعالىٰ: ﴿ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (سبأ: ٢٤). وسيتضح هذا المنهج القرآني الفريد الذي يقرر في الأذهان والعقول مبدأ نفي الحرج والحساسية في مناقشة أي قضية مهما كان الحكم فيها مركوزًا في الفطرة وراسخًا في البداهة العقلية.

(ولما كان القرآن الكريم آخر الكتب السماوية، والرسول الذي أنزل عليه الكتاب خاتم الرسل، والدين الإسلامي خاتم الأديان، ولن يقبل من أحد التدين بسواه - كما قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ (آل عمران: ١٩)، وقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ (آل عمران: ٨٥) -؛ كان لا بد أن يشتمل هذا الكتاب علىٰ الدلائل العقلية، والبراهين القاطعة)[1]، والحجج القوية التي تدل علىٰ أصول الإيمان، وتدحض حجة كل ملحد منكر، وتقمع شبهة كل منحرف معاند، فكانت دلائل القرآن قائمة، وبراهينه قاطعة، وحججه ساطعة.

وقد نوّه الراغب الأصفهاني[2] إلىٰ (أن القرآن قد اشتمل علىٰ البراهين والأدلة، وأنه ما من برهان ولا دلالة وتقسيم وتحديد يُنْبِئُ عن كليات

---

(١) منهج القرآن في الدعوة إلىٰ الإيمان، د.علي فقيهي (٤٥).

(٢) أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل، المعروف بالراغب الأصبهاني: اختلف في سنة ولادته وموته حول القرن الخامس الهجري، وهو أديب، لغوي، من الحكماء العلماء، من أهل أصبهان، سكن بغداد واشتهر، حتىٰ كان يقرن بالإمام الغزالي. من كتبه: (المفردات في غريب القرآن، محاضرات الأدباء، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين). انظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (١/ ٤٦٢)، والأعلام للزركلي (٢/ ٢٥٥)، ومعجم المؤلفين (٤/ ٥٩).

المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله تعالىٰ قد نطق به، لكن أورده تعالىٰ علىٰ عادة العرب، دون دقائق طرق الحكماء والمتكلمين)[1].

وإن القرآن الكريم مليء بالأدلة العقلية التي تؤيد الحق، وتزهق الباطل، وتنبّه الغافل، وترشد المسترشد، وتفحم الخصم المعاند، وتهدي الضال المكابر.

فجاءت الأدلة العقلية المنطقية اليقينية التي تبهت الملحد، وتناظره، وتقطع عليه الشبه بالحجة الدامغة والسلطان القاهر، فلا يملك قولًا ولا حجة، فينعقد لسانه، ويتبلد جنانه، وينطفئ بيانه، فيزول الرّان الذي علىٰ قلبه، وتنقشع الغشاوة التي علىٰ بصره، ويستسلم للحق. ويذعن كل ذي عقل وبصيرة، ويعلن الإيمان والطمأنينة. ولا يجادل ولا يماري إلا الملحد المكابر، فيتهاوىٰ في اللجاجة حتىٰ يصل إلىٰ الهلاك وسوء العاقبة.

وإن الدلائل العقلية في القرآن الكريم تخاطب العقل والوجدان معًا، فتثير كوامن الفطرة في ابن آدم، وتدعوه إلىٰ التأمل والنظر والتدبر العقلي في آيات الكون الفسيح، فترد علىٰ العقل الأسئلة: من الذي خلق هذا الكون البديع؟ من الذي أحسن خلق الإنسان بوظائفه؟ هل يمكن أن يكون هذا الإبداع نشأ من غير خالق قدير عالم؟ ومن الذي يدبّر أمر الكون وينظّم سيره وحركاته؟ هل هو خالق واحد أم له شركاء في التدبير والتصرُّف؟ وهل يملك القوة العليا والسلطان القاهر علىٰ كل من في الأرض[2]؟!

---

(١) تفسير الراغب الأصفهاني (١/ ٢٧)، فصل: انطواء القرآن علىٰ البراهين والأدلة.

(٢) انظر: ركائز الإيمان، محمد قطب (٤١).

فيجيب القرآن و(يأخذنا في جولات وجولات نرتاد آفاق السماء، ونجول في جنبات الأرض، ويقف بنا عند زهرات الحقول، ويصعد بنا إلىٰ النجوم في مداراتها، وهو في كل ذلك يفتح أبصارنا وبصائرنا، فيرينا كيف تعمل قدرة الله وتقديره في المخلوقات، ويكشف لنا أسرار الخلق والتكوين، ويهدينا إلىٰ الحكمة من الخلق والإيجاد والإنشاء، ويبين عظيم النعم التي حبانا في ذوات أنفسنا وفي الكون من حولنا. إنه حديث طويل في كتاب الله يطالعك في طِوال سوره وقِصارها، وهو حديث مشوّق تنصت إليه النفس، ويلذه السمع، ويستثير المشاعر والأحاسيس)[1].

وتجمع الأدلة بين المتعة الوجدانية والفائدة العقلية، وتتمتع بقوة الحجة، وتسلسل الدلالة، وقرب المفهوم، وتكون أشد وقعًا في الفكر، وولوجًا إلىٰ القلب، ونصاعة في الدليل، وتمكنًا من النفس والعقل، ففاقت أدلة المتكلمين والفلاسفة المنطقيين.

وإذا تأملنا هذه الأدلة وجدناها عقلية - أي: يخاطَبُ الناسُ فيها بكل دلائل العقل البرهانية والخطابية والجدلية -، فيفي بكل احتياجات العقل البشري، ويوافق مداركه وقدراته، ويخاطب عموم البشر، فهو صالح لكل زمان ومكان، فكانت أدلته عقلية سليمة المنطق، جليّة الدلالة.

وإنها أيضًا يقينية - أي: قطعية الثبوت والدلالة -، ولا شك ولا ظن في ثبوت النص ودلالته، ووضوح معانيه وقوة حجته، فلا مجال للشك والتشكيك، بل هي قاطعة للشكوك والشبهات داحضة للمنكرين المعاندين،

---

(١) الأدلة علىٰ وجود الله، د. عمر الأشقر (٨).

فلا يملك أحد في قديم العصر وحديثه أن يضاهي أدلته، وقد تجلت محاولات الإخفاق من قِبل المعاندين فلم يظهر إلا عجزهم وانقطاعهم وضعف حيلتهم أمام كتاب أنزله الله حجة للعالمين»[1].

وقد قارن ابن رشد[2] بين طريقة القرآن في الاستدلال وطريقة الفلاسفة والمتكلمين، فقال: إن الطرق الشرعية إذا تُؤُمّلت وجدت في الأكثر قد جمعت بين وصفين:

١ - أن تكون يقينية.

٢ - أن تكون بسيطة غير مركبة، أعني: قليلة المقدمات، فتكون نتائجها قريبة من المقدمات الأول[3].

وقد جاءت الآيات بقصص مُحاجّة الأنبياء مع الملحدين، كالملحد المكابر الذي حاجّ إبراهيم ﷺ في ربه، وحاول أن يقيم عليه الحجة ويسيء

---

(١) انظر: منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد، د. عثمان علي حسن (١/ ٣٧٨ - ٣٨١).

(٢) محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد، حفيد العلامة ابن رشد الفقيه، ويلقب بابن رشد «الحفيد»؛ تمييزًا له عن جدّه أبي الوليد محمد بن أحمد (المتوفى سنة ٥٢٠هـ). من أشهر الفلاسفة المتبعين لأرسطو، فقد عني بكلامه وترجمه إلى العربية. صنّف نحو خمسين كتابًا منها: (فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، وتهافت التهافت يرد على الغزالي). توفي سنة ٥٩٥هـ. انظر: تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام (١٢/ ١٠٣٩)، وسير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٠٩)، الأعلام للزركلي (٥/ ٣١٨ - ٣١٩)، ومعجم المؤلفين (٨/ ٣١٣)، وموسوعة الفلسفة، عبد الرحمن بدوي (١/ ١٩)، والموسوعة الفلسفية، بإشراف: رونتال - يودين (٨).

(٣) انظر: الكشف عن مناهج الأدلة (٥٩).

فهمه ويشوّه تفكيره، فجاءه الإفحام المنطقي حتىٰ أخرسه، في قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (البقرة: ٢٥٨). قال ابن القيم: (فتأمل هذا الكلام وعجيب موقعه، في قطع الخصوم وإحاطته بكل ما وجب في العقل أن يرد به ما دعوه إليه، وأرادوا حمله عليه، وأخذه بمجامع الحجة التي لم تبق لطاعن مطعنًا ولا سؤالًا)[1]، وقوله تعالىٰ: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ (الطور: ٣٥ - ٣٦). هذه الآية التي تحمل التحدي الأكبر لملاحدة العصر المكابرين، وكأنها تحاكي أقوالهم وتدحض شبهاتهم!

فكأن القرآن يخاطب الملحد المنكر: إذا كنت تنكر أن يكون الله هو الذي خلقك، فهل خلقت من غير شيء؟ أي: هل خلقت من عدم محض؟ فلا شك أن كل ذي عقل يقول باستحالة ذلك.

إذن: هل خلقت نفسك بنفسك؟! فبالتأكيد إن هذا من المحال الممتنع، فهل خلقت السماوات والأرض؟! وهذا أيضًا من المستحيل، فيثبت قطعًا أن هناك موجدًا خالقًا عظيمًا هو الله سبحانه.

قال ابن القيم: (فتأمل هذا الترديد والحصر المتضمن لإقامة الحجة بأقرب طريق وأفصح عبارة)[2].

---

(١) الصواعق المرسلة في الرد علىٰ الجهمية والمعطلة (٢/ ٤٨٩).

(٢) المرجع السابق (٢/ ٤٩٣).

فإن هذه التساؤلات الاستنكارية تدفع العقل للتفكير وإعادة النظر، بمحاولة سؤال نفسه، والإجابة الصحيحة الخالية من الغلو والإجحاف تقوده إلىٰ الإجابة الفطرية التي فطرت عليها العقول، فيدلل بوجوده علىٰ وجود خالقه.

ومن الآيات التي توقظ الفطر المنحرفة وتذكرها بأمر مستقر في كوامن النفس: قوله تعالىٰ: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (الملك: ١٤). وقوله تعالىٰ: ﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (إبراهيم: ١٠). فإن وجود الله - سبحانه - من أبين الأشياء وأظهرها، وكل شيء في الوجود معتمد علىٰ وجوده، فهو الدليل لكل شيء وهو المدلول.

فخلق الإنسان آية دالة علىٰ وجوده، وآيات الكون شاهدة علىٰ وجوده، وكل شيء في الوجود ينطق بأن له خالقًا وصانعًا حكيمًا.

وفي القرآن كثيرٌ من المخاطبات العقلية، كقوله تعالىٰ: ﴿ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ (يوسف: ٣٩)، وقوله تعالىٰ: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴾ (الزخرف: ١٦)، وقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ (المؤمنون: ٩١)، وقوله تعالىٰ: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (الأنبياء: ٢٢). وغيرها من الآيات، وهناك فرق شاسع بين طريقة القرآن العظيم في مخاطبة العقل وعرض الدلائل اليقينية، وبين طريقة الفلاسفة والمتكلمين التي تدّعي العقلانية واليقينية، وأنها تسير علىٰ منهج منطقي قائم علىٰ مسلمات عقلية ومقدمات منطقية، هي في حقيقتها طريق واضح؛ لإثارة الشكوك والشبهات

والخيالات الفاسدة التي لا يستند إليها في الاستدلال الصحيح الصريح عند كثير من العقول وأولي الفكر.

قال ابن تيمية: (إن كلام الله لا يشتمل إلا علىٰ حق يقين؛ لا يشتمل علىٰ ما تمتاز به الخطابة والجدل عن البرهان، بكون المقدمة مشهورة، أو مسلَّمة غير يقينية، بل إذا ضرب الله مثلًا مشتملًا علىٰ مقدمة مشهورة أو مسلمة، فلا بد وأن تكون يقينية. وليس الأمر كما يتوهمه الجهال الضلال من الكفار المتفلسفة وبعض المتكلمة من كون القرآن جاء بالطريقة الخطابية، وعَرِيَ عن البرهانية، أو اشتمل علىٰ قليل منها، بل جميع ما اشتمل عليه القرآن هو الطريقة البرهانية، وتكون تارة خطابية، وتارة جدلية مع كونها برهانية. ولهذا؛ اشتمل القرآن علىٰ خلاصة الطرق الصحيحة التي توجد في كلام جميع العقلاء من المتكلمة والمتفلسفة وغيرهم. ونزه الله عما يوجد في كلامهم؛ من الطرق الفاسدة، ويوجد فيه من الطرق الصحيحة ما لا يوجد في كلام البشر بحال)[1].

وقد نقد ابن تيمية القول المزعوم بأن الميزان العقلي الذي أنزله الله في القرآن هو منطق اليونان في اثني عشر وجهًا[2].

وقد تميزت الأدلة العقلية القرآنية بالبساطة والوضوح والجلاء دون الغوص في دقائق الكلام وتعقيداته، قال القاضي عياض[3] واصفًا أدلة القرآن

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٢/ ٤٥ - ٤٦ - ٤٧) (باختصار).

(٢) انظر: المرجع السابق (٩/ ٢٤٠ - ٢٤٢ - ٢٤٣).

(٣) أبو الفضل عياض بن موسىٰ بن عياض بن عمرو بن موسىٰ بن عياض اليحصبي=

بأنها: (بينة سهلة الألفاظ، موجزة المقاصد، رام المتحذلقون[1] بعد أن ينصبوا أدلة مثلها فلم يقدروا عليها)[2]. قال تعالىٰ: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ (يس: ٧٨). قال ابن القيم: (فلو رام أعلمُ البشر وأفصحهم وأقدرهم علىٰ البيان، أن يأتي بأحسن من هذه الحجة، أو بمثلها في ألفاظ تشابه هذه الألفاظ في الإيجاز والاختصار، ووضوح الدلالة، وصحة البرهان؛ لألفىٰ نفسه ظاهر العجز، منقطع الطمع، يستحي الناسُ من ذلك)[3].

ففي قضية المعاد والبعث، ساق الله ضروبًا من الأدلة في الاستدلال علىٰ وقوعه، فمرة يستدل علىٰ قدرة الله علىٰ خلق الإنسان؛ قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (يس: ٧٩). ومرة بقدرته علىٰ خلق السماوات والأرض؛ قال تعالىٰ: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (يس: ٨١). ومرة بقدرته علىٰ إخراج

=الأندلسي. ولد عام ٤٧٦هـ وأصله أندلسي، عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته، كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم. له مؤلفات منها: (الشفاء، ترتيب المدارك وتقريب المسالك في ذكر فقهاء مذهب مالك، العقيدة، جامع التاريخ). توفي عام ٥٤٤هـ. انظر: وفيات الأعيان (٣/ ٤٨٣)، وتذكرة الحفاظ، للذهبي (٤/ ٦٨)، وسير أعلام النبلاء، للذهبي (١٥/ ٤٩)، والأعلام، للزركلي (٥/ ٩٩).

(١) المتحذلقون: جمع متحذلق، وهو إذا كان الرجل يظهر من حذقه أكثر مما عنده فهو متحذلق. فقه اللغة وسر العربية، الثعالبي (١١٢).

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ، المؤلف: عياض اليحصبي السبتي، وحاشية الشمني، الحاشية: أحمد الشمني (١/ ٢٧٧).

(٣) الصواعق المرسلة في الرد علىٰ الجهمية والمعطلة (٢/ ٤٧٣).

الشيء من ضده؛ قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ (يس: ٨٠).

إلىٰ غيرها من الاستدلالات التي سيأتي الحديث عنها، وعند التأمُّل في تنوع الاستدلالات القرآنية في المسألة الواحدة؛ تتبين منهجية القرآن في دحض كل فكر فاسد، وضلالة منحرفة عن الصواب، وتردد يردي إلىٰ الشك والهلاك، فلا يدَعُ شبهة إلا بددتها الحجج حتىٰ تزول، وتنقل القلب من الشك والحيرة إلىٰ برد اليقين والطمأنينة، فإن لم يصل إلىٰ ذلك بأدلة القرآن الواضحة الجلية، فالآفة في عقله، وليس في ضعف الدليل.

والأدلة العقلية في القرآن وافرة ومستفيضة، ولكن هي العقول التي لا تفكِّر، وتتبلد بالتقليد والتبعية، ولا تملك للهدىٰ سبيلًا، وإلا فإنّ الدلائل والبراهين العقلية اليقينية في كتاب الله قائمة، ولكنهم يتبعون الظن فيضلون الطريق، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ (النجم: ٢٨). قال تعالىٰ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء: ٨٨).
قال ابن القيم: (فانظر أي موقع يقع من الأسماع والقلوب هذا الحجاج القاطع الجليل الواضح الذي لا يجد طالب الحق ومؤثرُه ومريدُه عنه محيدًا، ولا فوقه مزيدًا، ولا وراءه غاية، ولا أظهر منه آية، ولا أصح منه برهانًا، ولا أبلغ منه بيانًا)[1].

---

(١) الصواعق المرسلة في الرد علىٰ الجهمية والمعطلة (٢/ ٤٦٩).

إن القرآن غني بالأدلة العقلية والاستدلالات المنطقية والحجج القوية والبراهين الناصعة علىٰ وجود الله تبارك وتعالىٰ. وسنلاحظ كيف استطاع القرآن أن يزلزل كل شبهة رددها الملحد، وكل حجة واهية يتمسك بها المعاند المنكر، ويبطلها بمناهج شتىٰ، وبراهين عقلية متنوعة؛ مستندًا إلىٰ دلائل القدرة الإلهية في الأنفس والآفاق، يقرر بها وحدانية الخالق وربوبيته، وصدق المعاد وحقيقته، ومصداقية الرسول ونبوته، حتىٰ يضع الإنسان أمام حقيقة جلية لا يمكن العدول عنها أو عدم الاعتراف بها، ولا يجحدها إلا مكابر يكابر عن الإقرار بالحق ووحدانيته.

❊ ❊ ❊

الفصل الثاني:
الأدلة القرآنية على وجود الله تعالى

ويشتمل على خمسة مباحث:

- المبحث الأول: دليل الفطرة.
- المبحث الثاني: دليل الخلق.
- المبحث الثالث: دليل العناية.
- المبحث الرابع: دليل الإحكام والإتقان.
- المبحث الخامس: دليل التسخير والتدبير.

الفصل الثاني:
الأدلة القرآنية على وجود الله تعالى

لقد جاء القرآن الكريم مستفيضًا بالأدلة العقلية والبراهين القاطعة المفحمة، الدالة علىٰ وحدانية الله وربوبيته، في الخلق، والملك، والتدبير، والتسخير، والعناية، والرعاية، والحفظ، والإتقان، والإحكام، والإحسان. فلم يدَعْ للمعاند حجة ولا للمجادل ذريعة في التشكيك في وجود الله.

قال ابن تيمية: (إثبات الصانع بطريق الآيات هو الواجب، كما نزل به القرآن، وفطر الله عليه عباده)[1]، وبمعرفة الدلائل تطمئن القلوب، وتزداد إيمانًا لا تخالطه شبهة، وبتقريرها تلين الحقول المستعصية، وتنقاد إلىٰ إيمان لا يخالجه شك، ولا يفتقر إلىٰ دليل أو برهان، وتستضِيءُ الفطرة بنور الحق واليقين.

وعند استعراض الأدلة القرآنية الحقلية؛ نلحظ أن هناك خطين متوازيين في تقرير وحدانية الله وثبوت كماله وحكمته وقدرته: خطًّا يثبت أن كل ما هو موجود في الكون من خلق الله، ويقرر ذلك بالأدلة والبراهين، وخطًّا ينقض ويدحض كل شبهة تشكِّك في وجود الله وقدرته.

ومن أبرز الأدلة التي ذكرها القرآن والتي تدل علىٰ وجوده ما يلي:

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١/ ٤٨).

المبحث الأول:

دليل الفطرة

يُراد بالفطرة: المعارف الضرورية، والطبائع المودعة في النفوس البشرية، غير المكتسبة، اللازمة والموافقة للتكوين الإنساني، بدلالة العقل السليم، وإدراكه أن كل حادث لا بد له من مُحدِث، وكل أثر لا بد له من مؤثِّر، وكل حركة لا بد لها من مُحرِّك، وكل مخلوق لا بد له من خالق.

والفطرة هي الخِلقة التي خلق الله عليها الخلق، وجعلهم مفطورين عليها، حيث إن المولود يولد وفي تكوينه الطبيعي يقر بوجود خالق مدبِّر لهذا الكون، وهذه المعرفة الربانية من العلوم الضرورية التي جبلت عليها النفوس البشرية[1].

إن الفطرة السليمة تشهد بوجود الله - جل جلاله -، والاستدلال على الله بالفطرة يُعَدّ من أول الأدلة على وجود الله، وباقي الأدلة تأتي مؤكدة ومُرسّخة لما فطر الله عليه الخلق.

---

(١) هناك خلاف بين العلماء في المراد بالفطرة، من أراد التوسع؛ فليراجع: درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية: المجلد الرابع والسابع والثامن؛ وشفاء العليل لابن القيم، الباب الثلاثين.

لأن الفطرة نابعة من كيان الإنسان، ومن أمر مستقر في ذاته، قد أودعه الله في النفوس الإنسانية، وفطر العباد على الإقرار بوجود خالق قادر مدبِّر، يستحق العبادة والتأليه. فكما أن الغرائز والأحاسيس جزء من التكوين البشري؛ فإن الشعورَ الفطري تجاه خالق لهذا الكون أمرٌ مفطور عليه الخلق.

والمقصود في معنى الفطرة هنا: الإسلام - كما دل عليه الكتاب والسنة -.

(فالله فطر عباده على الحنيفية ملة إبراهيم ﷺ، والقلوب مفطورة على حب إلهها وفاطرها وتأليهه)[1].

وتتحقق الفطرة المنشودة إذا توفرت الشروط وانتفت الموانع، بأن سلمت من المؤثرات.

وإن هذه الغريزة الفطرية ليست محصورة على النفوس البشرية دون غيرها، بل ما من شيء في الأرض ولا في السماء إلا يسبح وينزه الخالق جل وعلا. قال تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ ﴾ (الإسراء: ٤٤). والمقصود: إن كانت هذه الحيوانات والجمادات قد فطرت على معرفة ربها وتسبيحه؛ فمن باب أولى أن يكون الإنسان الذي كرَّمه الله بالعقل والتكليف مفطورًا على معرفة ربه.

فالله ﷻ فطر الخلق على الاعتراف بوحدانيته وكمال ربوبيته وألوهيته، وقد جاء في كتابه العزيز ما يدل على ذلك:

(١) قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ

---

(١) منهاج السنة النبوية، لابن تيمية (٥/ ٤٠٣)، وإغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن القيم (٢/ ١٥٨).

عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ (الأعراف: ١٧٢). وجه الدلالة: أن الله ﷻ قد أشهد جميع الخلق علىٰ أنه هو ربهم، وأنهم أقروا بتلك الشهادة جميعًا، ولا يسعهم الجهل بها أو عدم الاعتراف، وأن الحجة قائمة عليهم بهذا الإشهاد.

وقد اختلف المفسرون في المراد بهذه الآية علىٰ قولين:

١ - ما وردت به الأحاديث في أخذ الذرية من صلب آدم، واستخراجها، وإشهادهم علىٰ ربوبية الله وألوهيته[1].

٢ - ما أودع الله في الخلق من الفطر المقِرّة بوجوده، وأحقيته بالربوبية والعبادة.

وهذا ما رجَّحه كثير من المحققين من أهل العلم[2].

(وهذه الآية تدل علىٰ أن الإنسان مجبول بفطرته علىٰ شهادته بوجود الله وربوبيته، وسواء أقلنا: إن الله استخرجهم من ظهر آدم واستشهدهم، أو قلنا: إن هذا هو ما ركَّب الله - تعالىٰ - في فطرهم من الإقرار به، فإن الآية تدل علىٰ أن الإنسان يعرف ربه بفطرته)[3].

قال ابن القيم: (إن الآية دلت علىٰ أن هذا الأخذ من بني آدم لا من آدم، وأنه من ظهورهم لا من ظهره، وأنهم ذرياتهم أمة بعد أمة، وأنه إشهاد تقوم به

---

(١) انظر: مسند أحمد (١/ ٣٩٩ - ٤٠٢)، حديث رقم (٣١١).

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (٨/ ٤٨٢)، والروح، لابن القيم (١٥٦)، وتفسير ابن كثير (٣/ ٥٠٦).

(٣) شرح العقيدة الواسطية، ابن عثيمين (١/ ٥٢ - ٥٣).

الحجة له – سبحانه –، فلا يقول الكافر يوم القيامة: كنت غافلًا عن هذا، ولا يقول الولد: أشرك أبي وتبعته؛ فإن ما فطرهم الله عليه من الإقرار بربوبيته، وأنه ربهم وخالقهم وفاطرهم حجة عليهم)[1].

وأن هذه الفطرة تقتضي التوحيد، وهي من العلوم الضرورية، وفي ذلك يقول ابن تيمية: (إن هذا الإشهاد من لوازم الإنسان، فكل إنسان قد جعله الله مقرًّا بربوبيته، شاهدًا على نفسه بأنه مخلوق، والله خالقه، ولهذا؛ فإن جميع بنى آدم مُقِرّون شاهدون بهذا على أنفسهم، وهذا أمر ضروري لهم لا ينفك عنه مخلوق، وهو مما خُلِقوا وجُبِلوا عليه، وجُعِلَ علمًا ضروريًّا لهم، لا يمكن لأحد جحدُه.

ثم قال بعد ذلك: ﴿أَن تَقُولُواْ﴾، أي: كراهة أن تقولوا، ولئلا تقولوا: إنا كنا عن هذا غافلين: عن الإقرار لله بالربوبية، وعلى أنفسهم بالعبودية؛ فإنهم كانوا غافلين عن هذا، بل كان هذا من العلوم الضرورية اللازمة لهم، التي لم يخل منها بشر قط... وأما الاعتراف بالخالق؛ فإنه علم ضروري لازم للإنسان، لا يغفل عنه أحد بحيث لا يعرفه، بل لا بد أن يكون قد عرفه، وإن قدر أنه نسيه، ولهذا؛ يسمى التعريف بذلك تذكيرًا، فإنه تذكير بعلوم فطرية ضرورية قد ينساها العبد)[2].

ومما يعضد ذلك حديث أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**إن الله يقول لأهون أهل النار عذابًا: لو أن لك ما في الأرض من شيء كنت تفتدي به؟ قال:**

---

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (١٣).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٤٨٨ – ٤٨٩) (باختصار يسير).

نعم، قال: فقد سألتك ما هو أهون من هذا وأنت في صلب آدم: ألّا تشرك بي، فأبيت إلا الشرك»[1].

وهذا الحديث فيه دلالة صريحة علىٰ أن الله قد أخذ الميثاق علىٰ الخلق وهم في صلب آدم، وأقرهم علىٰ التوحيد، ويتضح من ذلك: أن معرفة الله من المعارف الفطرية الضرورية المغروسة في النفوس البشرية، ولا حجة لمن ينكر ذلك.

(٢) في خطاب الرسل لقومهم الكافرين المشككين؛ قال تعالىٰ: ﴿ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ۞ قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ (إبراهيم: ٩ - ١٠).

وجه الدلالة: كيف يحدث الشك فيمن وجوده مترسّخ في النفوس، وفُطِرت عليه المخلوقات، باستفهامٍ تقريري، ويشمل الاستفهام: الشك في وجوده، أو الشك في أحقيته بالعبادة دون ما سواه، وأن من شك في ذلك فهو مكابر معاند.

قال ابن القيم: (طرق العلم بالصانع فطرية ضرورية، ليس في العلوم أجلىٰ منها، وكل ما استدل به علىٰ الصانع؛ فالعلم بوجوده أظهر من دلالته، ولهذا؛ قالت الرسل لأممهم: ﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ ﴾؟ فخاطبوهم مخاطبة من لا

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٣٣)، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: خلق آدم ﷺ، حديث رقم (٣٣٣٤)؛ وفي كتاب: الرقاق، باب: صفة الجنة والنار، (٨/ ١١٥)، حديث رقم (٦٥٥٧). وصحيح مسلم، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهبًا، (٤/ ٢١٦٠)، حديث رقم (٢٨٠٥).

ينبغي أن يخطر له شك ما في وجود الله سبحانه، ونصب من الأدلّة على وجوده ووحدانيته وصفات كماله الأدلّة على اختلاف أنواعها، ولا يطيق حصرها إلا الله، ثم ركَزَ ذلك في الفطرة، ووضعه في العقل جملة، ثم بعث الرسل مذكرين به)[1].

وفي هذه الآية حُجّتان على من يشكك في وجود الله ﷻ:

الأولى: الفطرة؛ وذلك في سؤالهم: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾؛ فهو استفهام تقرير مفاده النفي[2]، وهي حجة من داخل النفس بسؤال الفطرة، واستنكار أن يكون هناك شك في ألوهيته سبحانه أو وجوده.

الثانية: العقل؛ وذلك في قوله: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، وهذه حجة من خارج النفس، بدلالة الخلق على الخالق، وهو الاستدلال بالأثر على المؤثر، فلا يمكن التشكيك في وجوده وآثار خلقه في السماوات والأرض.

(٣) قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم: ٣٠).

وجه الدلالة: أنّ طلَب التوجه إلى الدين الحنيف والاستقامة عليه، وربطَه بأن هذا ما أُودع في النفوس البشرية، وما فطر الله عليه الخلق.

قال ابن كثير: (فسدد وجهك واستمر على الذي شرعه الله لك، من الحنيفية ملة إبراهيم، الذي هداك الله لها، وكملها لك غاية الكمال، وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة، التي فطر الله الخلق عليها، فإنه تعالى فطر خلقه

---

(١) مفتاح دار السعادة، لابن القيم (١/ ٢٨٠).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٦/ ٣٣٩).

علىٰ معرفته وتوحيده، وأنه لا إله غيره)[1].

هذه بعض الدلائل الشرعية التي تقتضي أن هناك معرفةً فطرية بالخالق ﷻ مودعَةً في النفس البشرية تُقِرّ بوجود الله وألوهيته وربوبيته ولا تستدعي نظرًا واستدلالًا.

وليس المقصود أن هذه المعرفة الفطرية تكون في النفس منذ لحظة الولادة وخروجه من بطن أمه، وإنما هي قوة مودعة في النفس تظهر عندما لا يكون هناك مانع يوجب انتفاءَها، فالإنسان يخرج إلىٰ الحياة لا يعلم شيئًا، كما قال تعالىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾ (النحل:٧٨). يقول ابن تيمية - موضحًا هذه المسألة -: (وإذا قيل: إنه ولد علىٰ فطرة الإسلام، أو خلق حنيفًا ونحو ذلك؛ فليس المراد به أنه حين خرج من بطن أمه يعلم هذا الدين ويريده. فإن الله تعالىٰ يقول: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾. ولكن فطرته مقتضية موجبة لدين الإسلام، لمعرفته ومحبته.

فنفس الفطرة تستلزم الإقرار بخالقه ومحبته وإخلاص الدين له، وموجبات الفطرة ومقتضاها تحصل شيئًا بعد شيء، بحسب كمال الفطرة، إذا سلمت عن المعارض)[2].

قد تعترض الفطرةَ عوارضُ وصوارف تصرفها عن مسارها الصحيح، فإن الشدائد تصفّي جوهر الفطرة، قد تمرض الفطرة، وتنحرف عن الطريق

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٣١٣).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٣٨٣).

المستقيم، ويتوعّك نقاؤها، ويفسد جوهرها، ويختلط بأوهام وأباطيلَ، وتزول غشاوة الكدر، وغمامة الجهل، ودرَنُ الوسخ، وتتجلىٰ الفطرة بوضوح عند المحن والشدائد.

وتستيقظ الفطرة المركوزة في النفس بعد سبات عميق، وتشهد شهادة حق ألّا ملجأ من الله إلا إليه، وينسىٰ الشركاءَ المزعومين - إن كان ممّن يَعبُدُ غيرَ الله -، وينسىٰ إلحاده - إن كان من الملحدين المنكرين لوجود الله -، ويتوجه القلب إلىٰ الله وكله انكسار ورجاء وأمل، وإذا بالكرب يزول، والشدة تنتهي، ويجعل الله بعد عسرٍ يسرًا، ويعود الرخاء بعد الضراء. وقد وصف القرآن ذلك وصفًا دقيقًا، وفي بلاغة عالية رفيعة، وفي عمق بديع، خلجات القلب الذي أصيب بالضراء والشدة[1].

قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (يونس: ١٢). وقد صوّر القرآن ذلك في كثير من الآيات[2]، كلها تؤكد مقتضىٰ الفطرة التي فُطِروا عليها وظهورَها عند الشدائد. يقول الرازي مؤكدا هذا المعنىٰ: (أن الإنسان إذا وقع في محنة شديدة وبلية قوية؛ لا يبقىٰ في ظنه رجاء المعاونة من أحد، فكأنه بأصل خلقته ومقتضىٰ جبلته يتضرع إلىٰ

---

(١) انظر: العقيدة في الله، د. عمر الأشقر (٧٩)، وركائز الإيمان، محمد قطب (٥٩)، والله جل جلاله، سعيد حوىٰ (٦٦)، والله يتحدىٰ الملحدين، د. محمد شيحاني (٢٨).

(٢) انظر الآيات الواردة مثلًا في: الزمر (٨)، الإسراء (٦٧)، يونس (٢٢، ٢٣)، الأنعام (٤٠، ٤١)، لقمان (٣٢)، الروم (٣٣)، فصلت (٥١)، العنكبوت (٦٥)، يونس (١٠، ٢٢، ٢٣).

من يخلصه منها ويخرجه عن علائقها وحبائلها، وما ذاك إلا شهادة الفطرة بالافتقار إلىٰ الصانع المدبر)[1]. حتىٰ الكافر الذي يعلن إلحاده وإنكاره في داخله فطرة تتوقد، وأكبر مثال علىٰ ذلك: (فرعون) الطاغية، ووصية الله لموسىٰ عليه السلام في كيفية مخاطبته، قال ابن تيمية: (الإنسان إذا ذُكِّرَ ذَكَرَ ما في فطرته، ولهذا قال الله في خطابه لموسىٰ عليه السلام: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ ﴾ (طه:٤٤) ما في فطرته من العلم الذي به يعرف ربه ويعرف إنعامه عليه وإحسانه إليه وافتقاره إليه؛ فذلك يدعوه إلىٰ الإيمان. ﴿ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ ما ينذره به من العذاب؛ فذلك أيضًا يدعوه إلىٰ الإيمان)[2]. وسحرة فرعون عندما لامس الحق قلوبهم، وانزاح الرّان الذي كان عليها؛ سطعت معرفة الله في نفوسهم، فنطقت الفطرة، وقالوا لفرعون: ﴿ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ (طه: ٧٢ - ٧٣). (لا جرم أن هذا الشعور لا صنع فيه للبشر، ولا كسب فيه بتقليد ولا نظر، فهو من لوازم الإنسانية، وصفة من صفاتها الذاتية)[3].

ومن أكبر العوامل التي تحدد مسار هذه الفطرة (الوالدان) بنص حديث رسول الله ﷺ: **«ما من مولود إلا يولد علىٰ الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجّسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من**

---

(١) تفسير الرازي (١٩/ ٧١).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١٦/ ٣٣٨).

(٣) دلائل التوحيد، جمال الدين القاسمي (٢٣).

جدعاء؟!»[1].

وقد يقوم مقام الوالدين: البيئة وما يحيط بها من مؤسسات تربّي على الكفر والجحود لرب العالمين، وألوان من الضلال والإضلال لبني آدم، الذين تكفّل الشيطان وجنوده بإفساد فطرهم، فإذا سلِم من شياطين الإنس قلّ أن يسلم من شياطين الجن.

و(معنى الفطرة المذكورة في المولودين: ما أخذ الله من ذرية آدم من الميثاق، قبل أن يخرجوا إلى الدنيا، يوم استخرج ذرية آدم من ظهره، فخاطبهم: ألست بربكم؟ قالوا: بلى. فأقروا جميعًا له بالربوبية عن معرفة منهم به، ثم أخرجهم من أصلاب آبائهم مخلوقين مطبوعين على تلك المعرفة وذلك الإقرار)[2].

وفي هذا الحديث: بيان أن ما يقع للمولود خلاف الإسلام مما ذُكر من التهويد والتنصير والتمجيس هو خلاف الفطرة المذكورة التي تقتضي الإسلام، وفي ذلك يقول ابن حجر[3]: (ويؤيد المذهب الصحيح: أن قوله:

---

(١) أخرجه البخاري في عدة مواضع في كتاب: الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه (١/ ٤٥٦)، حديث رقم (١٢٩٣)، باب: ما قيل في أولاد المشركين، حديث رقم (١٣١٩). وفي كتاب: التفسير، باب: سورة آلم غلبت الروم (٤/ ١٧٩٢)، حديث رقم (٤٤٩٧). وفي كتاب: القدر، باب: الله أعلم بما كانوا عاملين (٦/ ٢٤٣٤)، حديث رقم (٦٢٢٦). وفي كتاب: التعبير، باب: تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح (٦/ ٢٥٨٣)، حديث رقم (٦٦٤٠).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٤٣٧).

(٣) أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢هـ): من أئمة العلم والتاريخ

«**فأبواه يهودانه...**» ليس فيه لوجود الفطرة شرط، بل ذُكِرَ ما يمنع موجبَها، كحصول اليهودية مثلًا متوقف علىٰ أشياء خارجة عن الفطرة بخلاف الإسلام)[1]. وإن الفطرة في الحديث المراد بها: ما يقتضي الإسلام، وهذا ما تعارف عليه سلف الأمة وأئمتهم، وهذا معروف عند عامة السلف من أهل العلم بالتأويل[2].

ففي الحديث القدسي: يقول الله ﷻ: «**إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمَتْ عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي مالم أنزل به سلطانًا**»[3].

قال ابن تيمية: (الإقرار بالخالق وكماله يكون فطريًا في حق من سلمت فطرته، وإن كان مع ذلك تقوم عليه الأدلة الكثيرة، وقد يحتاج إلىٰ الأدلة عليه كثير من النّاس، عند تغير الفطرة وأحوال تعرض لها)[4].

فقد تفسد الفطرة وتتلوث فتحتاج إلىٰ التذكير والإيقاظ بعد النسيان والضعف، لا إلىٰ إيجادها بعد أن لم تكن، فإن (العلوم الفطرية الضرورية حاصلة مع صحة الفطرة وسلامتها، وقد يعرض للفطرة ما يفسدها ويمرضها

=والحديث، من مؤلفاته: (فتح الباري في شرح صحيح البخاري، بلوغ المرام من أدلة الأحكام، الإصابة في تمييز أسماء الصحابة). انظر: الأعلام، للزركلي (١/ ١٧٨).

(١) فتح الباري، لابن حجر (٣/ ٢٥٠).

(٢) انظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر (١٨/ ٧٢).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب: صفة النار، باب: صفات أهل الجنة وأهل النار، (٨/ ١٥٨)، حديث رقم (٧٣٠٩).

(٤) مجموع الفتاوىٰ (٦/ ٧٣).

فترىٰ الحق باطلًا، كما في البدن إذا فسد أو مرض؛ فإنه يجد الحلو مُرًّا، ويرىٰ الواحد اثنين، فهذا يعالج بما يزيل مرضه)[1].

(ولم يكن الإلحاد بمفهوم الإنكار للصانع في يوم من الأيام سلوكًا يتلاءم مع الفطرة، بل هو عصي عليها، ولا أدل علىٰ ممانعته ومنافرته لِوَازع الفطرة من أنه قرارٌ واعٍ يتخذه الإنسان في وقت متأخر من حياته، والإيمان بالخالق ليس مجرد معلومة أو فكرة، وإنما هو حاجة واتجاه غريزي مركوز في النفس البشرية، يقول (فولتير)[2]: (لو لم يوجد الإله لكان من الضروري اختراعه). ويريد بذلك: أن الإيمان بالخالق ليس فقط ممارسة منطقية علىٰ الطريقة الأرسطية، أو استدلالًا رياضيًا احتماليًا، أو حتىٰ معالجة فكرية؛ استجابة لشرط النظر قبل الإيمان - كما عند المتكلمين من أشاعرة وغيرهم -[3]، وإنما هو شيء وراء ذلك وأكبر منه، إنه حاجة تُلِحّ علىٰ الوعي، واعتراف نابع من الوجدان)[4].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٣/ ٣٠٦).

(٢) فولتير (١٦٩٤ - ١٧٧٨): كاتب وفيلسوف، يناصر مذهب التجربة علىٰ الميتافيزيقا. من كتبه الفلسفية: (ما بعد الطبيعة، مبادئ فلسفة نيوتن، القاموس الفلسفي). انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم (١٨٨).

(٣) المتكلمين: هم الذين أوجبوا النظر علىٰ المكلف، وجعلوا معرفة الخالق مترتبة علىٰ النظر في أدلة مبتدعة ليست من الكتاب والسنة ولم يعرفها سلف الأمة، ومذهب السلف أن معرفة الله فطرية ضرورية لا تتوقف علىٰ نظر واستدلال، إلا في حق من فسدت فطرته فتكون نظرية، ولكن تسلك الطرق الشرعية دون البدعية. الأدلة العقلية النقلية، د. سعود العريفي (١٩٧) (بتصرف).

(٤) مجلة دورية تصدر عن (مركز براهين)؛ لدراسة الإلحاد من منظور علمي فلسفي؟

ويقول ابن القيم: (ومعلوم أن وجود الرب - تعالىٰ - أظهر للعقول والفطر من وجود النهار، ومن لم يَرَ ذلك في عقله وفطرته؛ فليتهمهما)[1]. فمن ينكر وجود الصانع يوصَمُ عقلُه بالعقل القاصر والمعتوه، لذلك؛ نجد أن (ابن سينا) سماه «بالواجب الوجود»، حفاظًا علىٰ حرمة العقل من أن يوصم بالتخليط والتناقض، أو البلاهة والتبلد؛ إذ يستحيل أن ينبثق الوجود من العدم[2].

- إن المتأمل في الأدلة علىٰ وجود الله، يجد أن أغلب الآيات جاءت للاستدلال علىٰ توحيد العبادة الذي يتضمن دلائل ربوبيته سبحانه، وذلك؛ لأن معرفة الله والإقرار به كامن في أعماق النفس البشرية. ونلاحظ أن المنهج القرآني يعتمد علىٰ الفطرة الإنسانية، يُوقظها ويُذكرها بما هو مغروس في أعماقها، ليجد أنها معترفة ومقرة بوجود الخالق العظيم، وأنها في ذلك لا تحتاج إلىٰ دليل، وينطلق منها لإثارة الحواس بما في الكون من إبداع وإتقان وعناية وحكمة، وذلك بمخاطبة الناس بما يدركون، والاستدلال علىٰ القضايا بما يحسون، وضرب الأمثال بما يفقهون، والاستدلال من خلالها علىٰ ما يعقلون، هذا هو الأسلوب الفطري المؤثر الفعال في إيجاد القناعات لديهم، وهي الطريقة المثلىٰ لتحريك كوامن الفطرة السليمة واستجاشتها،

=شرعي، بعنوان: الفطرة من جديد، بقلم: عبد الله الشهري (بتصرف واختصار) (١ - ٢).
الرابط:

http://www.braheen.com/mag/1st

(١) مدارج السالكين (١/ ٨٣).

(٢) انظر: الله جل جلاله، سعيد حوىٰ (١٠٩).

عند من شذّت فطرته وزاغت، والآيات في ذلك كثيرة،[1] فالقرآن يخاطب الفطرة بجملتها، يخاطبها من أقصر طريق، ومن أوسع طريق وأعمق طريق"[2].

***

---

(١) انظر مثلًا الآيات الواردة في: لقمان (٢٥)، النمل (٦٠ - ٦٤)، العنكبوت (٦١ - ٦٣)، الواقعة (٥٧ - ٧٤)، يونس (٣١ - ٣٢)، الزخرف (٨٧).

(٢) انظر: مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم (٩٦، ١٠٦)، ومنهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، د. حمود الرحيلي (١/ ٣٣٦). والآيات الكونية دراسة عقدية، عبد المجيد الوعلان (٨١) (بتصرف واختصار).

المبحث الثاني:

دليل الخلق

يُعتبَر دليل الخلق من أوائل الأدلة والبراهين التي يُستَدَل بها علىٰ وجود الله ووحدانيته، وقد ورد ذكرها في القرآن فيما يزيد عن مئتي آية[1]، حتىٰ لا تكاد تخلو سورة من إشارة إلىٰ الخلق والإيجاد.

والخَلْقُ أصله: (التقدير المستقيم، ويستعمل في معنيين:

١ - إبداع الشّيء من غير أصل ولا احتذاء، قال تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ (الأنعام: ١)[2]. أي: أبدعهما وأوجدهما علىٰ غير أصل سابق.

٢ - إيجاد الشيء من الشيء)[3]، قال تعالىٰ: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ (النساء: ١)[4].

---

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي (مادة: خلق).

(٢) وانظر الآيات الواردة مثلًا في: الأنعام (١)، والبقرة (٢٩)، والسجدة (٤).

(٣) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني (٢٩٦) (بتصرف).

(٤) وانظر الآيات الواردة مثلًا في: النحل (٤)، المؤمنون (١٢)، الأعراف (١١)، الرحمن (١٥)، المرسلات (٢٠).

والخلق والإيجاد من العدم إلىٰ الوجود، وإبداع الشيء بعد أن لم يكن، خاصية لا يملكها إلا الخالق العظيم.

وقد يسمىٰ دليلُ الخلق بدليل «الاختراع» أو «الإبداع»، وقد يراد بدليل «الحركة»؛ بمعنىٰ الانتقال من حيز العدم إلىٰ حيز الوجود، وقد سماه المتكلمون بدليل «الحدوث»[1]، والفلاسفة بدليل «الإمكان»[2]، أما القرآن الكريم فسلِم من فلسفة المتكلمين وتعقيد الفلاسفة، وجاء بأيسر عبارة وأدلىٰ إشارة، بوضوح ويقينيّة لا يُزَاحِمُها شك.

(أما مواجهة دليل الخلق ودليل الحياة للوثة الإلحاد، فهي مواجهة قوية، لا يجد الملحدون إزاءها إلّا المماحلة والمغالطة والالتواء. إن وجود هذا الكون ابتداء، بهذا النظام الخاص، يستلزم - بمنطق الفطرة البديهي، وبمنطق العقل الواعي علىٰ السواء - أن يكون وراءه خالق مدبر. فالمسافة بين

---

(١) الحدوث هو القول بأن: العالم متغير، وكل متغير حادث، وكل حادث له محدث، فالعالم له محدث. والمتكلمون جاؤوا بدليل (الحدوث) ردًا علىٰ الفلاسفة «وانتهىٰ بهم إلىٰ القول باستحالة تسلسل الحوادث في الماضي» المعرفة في الإسلام، د. عبد الله القرني (١١١). ومن أراد التوسع في منهج المتكلمين في الاستدلال علىٰ وجود الله فليراجع المواقف، للإيجي (٣/ ٣).

(٢) الإمكان هو: أن الوجود: إما واجب الوجود (وهو الله)، وإما ممكن الوجود، أي: يمكن وجوده وعدمه، وليس هناك علة تقتضي وجوده أو عدمه، «وإن العالم قديم أزلي فاض عن الله، ومقتضىٰ قول الفلاسفة: أن الله ليس بخالق بل فاضت منه المخلوقات من جهة كونها علة لعلته التامة». المعرفة في الإسلام، د. عبد الله القرني (١١١). ومن أراد التوسع في منهج الفلاسفة في الاستدلال علىٰ وجود الله؛ فليراجع: النجاة، لابن سينا (٢٣٥).

الوجود والعدم مسافة لا يملك الإدراك البشري أن يعبُرها، إلا بتصور إله ينشئ ويخلق ويوجد هذا الوجود)[1].

تأمل حولك في الوجود، وارتقِ آفاق السماء، ثم انظر في الأرض وما فيها من مخلوقات، وما في نفسك من إبداع وتصوير، يا ترىٰ: هل من خالق في السماوات والأرض؟ هل من مصور للإنسان وموجد؟ من الذي أنشأ الكون؟ أم وُجِدَ الخلق والمخلوقات والكون بما فيه من غير مُوجد؟ أم ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ (الزمر: ٦٢).

تخبط الملاحدة في تحديد الوجود ونشأة الكون[2]، ووجوده تعالىٰ أظهر من الشمس في وضح النهار، فالضرورة العقلية تقتضي أن وجود الشيء بعد عدمه دليل علىٰ أن هناك مُوجدًا أوجده، فدليل الخلق فطري وظاهر للعقول.

(فإذا آمنا بوجود الكون؛ فلا بد أن نؤمن بإله هذا الكون منطقيًا؛ إذ لا معنىٰ لأن نؤمن بالمخلوق ونرفض وجود خالقه، ونحن لا نعلم شيئًا جاء إلىٰ الوجود من العدم، دون أن يُخلَق، فكل شيء مهما بلغ حجمه، عظم أو صغر، جل أو دق، وراءه علة، فكيف بنا نؤمن بأن كونًا عظيمًا - مثل كوننا - جاء

---

(١) في ظلال القرآن (٢/ ١٠٣٤).

(٢) من قائل (بالصدفة) أو الانفجار الكبير (Big Bang)، ومن قائل (بأزلية المادة). والسؤال هنا: من نسق هذا الكون وصممه بهذا الإبداع؟ هل هي الصدفة العشوائية؟ أم المادة الصماء العمياء الأزلية؟ وقد (أثبتت البحوث «دون قصد» أن لهذا الكون «بداية»، فأثبتت تلقائيًا وجود الإله؛ لأن كل شيء ذي بداية لا يمكن أن يبتدئ بذاته، ولابد أن يحتاج إلىٰ المحرك الأول الخالق الإله). من كتاب: (The Evidence of God). نقلًا عن: معرفة الله «دلائل الحقائق القرآنية والكونية»، المرابط الشنقيطي (٦١).

إلىٰ الوجود ذاتيًا، دون خالق؟!)[1].

وقد قرر القرآن العظيم بطلان الجدل والشبهات المثارة حول «نشأة الكون» بأوجز عبارة وأحسن إشارة، في قوله تعالىٰ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۝ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ (الطور: ٣٥ - ٣٦)، فأما أن يكونوا قد خُلقوا من غير شيء؛ فهذا محال وباطل بالبداهة والعقل؛ لأن وجودَ الشيء بعد عدمه دليلٌ علىٰ افتقاره إلىٰ سببٍ موجِدٍ أوجَدَه، وإما أن يكونوا خلقوا أنفسهم، وهذا أيضًا محال ممتنع؛ لافتقاره إلىٰ موجد وصانع، يبقىٰ الخيار الأخير: أن هناك صانعًا خلقه وأبدعه، وهو الإله العظيم الخالق لكل شيء.

وإذا قوبلوا بمثل هذه القسمة العقلية؛ لا يسعهم إلا الاعتراف والتسليم بوجود الخالق أو المكابرة والعناد.

إن الشواهد الدالة علىٰ وجود الله والبراهين والأدلة أكثر من أن تحصر، ونستعرض الدلائل من القرآن علىٰ سبيل التلويح لا الاستقصاء.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: ١٦٤).

يقول القرطبي[1] في تفسيرها: (إن هذا العالم والبناء العجيب لا بد له من

---

(١) الإسلام يتحدىٰ، وحيد الدين خان (٥٣).

بَانٍ وصانع، فآية السماوات: ارتفاعها بغير عمد من تحتها ولا علائق من فوقها، ودل ذلك علىٰ القدرة وخرق العادة، ثم ما فيها من الشمس والقمر والنجوم السائرة والكواكب الزاهرة، شارقة وغاربة، نيرة وممحوة، آية ثانية، وآية الأرض: بحارها، وأنهارها، ومعادنها، وشجرها، وسهلها ووعرها)[2].

ومن أكثر من أبدع في تصوير آيات الله ووصف الدلائل علىٰ وحدانية الله ابن القيم؛ حيث قال: (لقد تعرف إلىٰ خلقه بأنواع التعرفات، ونصب لهم الدلالات، وأوضح لهم الآيات البينات؛ ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ (الأنفال: ٤٢). فارجع البصر إلىٰ السماء، وانظر فيها، وفي كواكبها ودورانها، وطلوعها وغروبها، وشمسها وقمرها، واختلاف مشارقها ومغاربها، ودؤوبها في الحركة علىٰ الدوام من غير فتور في حركتها، ومن غير تغير في سيرها، بل تجري جميعا في منازل مرتبة بحساب مقدر لا يزيد ولا ينقص، إلىٰ أن يطويها الله تعالىٰ طي السجل للكتب، وتدبر كثرة كواكبها واختلاف ألوانها وكيفية أشكالها، ثم انظر إلىٰ مسير الشمس في فلكها في مدة سنة، ثم هي تطلع في كل يوم وتغرب، ولولا طلوعها وغروبها؛ لما اختلف الليل والنهار، ولم تعرف المواقيت، ولأطبق الظلام علىٰ الدوام أو الضياء

---

(١) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي: من كبار المفسرين، من أهل قرطبة. من كتبه: (الجامع لأحكام القرآن - ويعرف بتفسير القرطبي -، الأسنىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ). توفي عام (٦٧١هـ - ١٢٧٣م). انظر: الأعلام، للزركلي (٥/ ٣٢٢).

(٢) تفسير القرطبي (٢/ ١٩٢) (بتصرف).

علىٰ الدوام، فكان لا يتميز وقت المعاش عن وقت الاستراحة، وانظر إلىٰ إيلاجه الليل في النهار والنهار في الليل، وإدخاله الزيادة والنقصان عليهما علىٰ ترتيب مخصوص، وانظر كيف أمسكها من غير عمد ترونها ومن غير علاقة من فوقها، وعجائب السماوات لا مطمع في إحصاء عشر عشير جزء من أجزائها، وإنما هذا تنبيه علىٰ طريق الفكر)[1].

(وقد جاءت الآيات في وصف أحوال الجنين إلىٰ أن أصبح بشرًا سويًا، تدبر هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ (المؤمنون: ١٢ - ١٤). وفي القرآن كثير منها[2]، يدعو الله العبد إلىٰ النظر والفكر في مبدإ خلقه ووسطه وآخره؛ إذ نفسه وخلقه من أعظم الدلائل علىٰ خالقه وفاطره، وأقرب شيء إلىٰ الإنسان: نفسُه، وفيه من العجائب الدالة علىٰ عظمة الله ما تنقضي الأعمار في الوقوف علىٰ بعضه، وهو غافل عنه معرض عن التفكر فيه، ولو فكّر في نفسه؛ لزجره ما يعلم من عجائب خلقها عن كفره، قال تعالىٰ: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ۝ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۝ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ۝ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ۝ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ (عبس: ١٧ - ٢٢). فيا من هو غافل عن نفسه وجاهل بها؛ كيف تطمع في معرفة غيرك وقد أمرك

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ١٩٧).

(٢) انظر الآيات الواردة مثلًا في: الطارق (٥)، الذريات (٢١)، الحج (٥)، القيامة (٣٦-٤٠)، المرسلات (٢٠ - ٢٣)، يس (٧٧).

الله تعالىٰ بالتدبُّر في نفسك في كتابه العزيز؛ فقال: ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (الذاريات: ٢١»؟![1]

(فالاستدلال علىٰ الخالق بخلق الإنسان في غاية الحسن والاستقامة، وهي طريقة عقليّة صحيحة، وهي شرعيّة دلّ القرآن عليها، وهدىٰ النّاس إليها، وبيّنها وأرشد إليها، وهي عقليّة[2]؛ فإنّ نفس كون الإنسان حادثًا بعد أن لم يكن، ومولودًا ومخلوقًا من نطفة، ثمّ من علقة، هذا لم يُعلم بمجرّد خبر الرسول، بل هذا يعلمه النّاس كلهم بعقولهم، سواء أخبر به الرسول، أو لم يُخبر)[3].

(فارجع الآن إلىٰ النطفة وتأمّل حالها أولًا، وما صارت إليه ثانيًا، فإذا تفكّر الإنسان في نفسه؛ استنارت له آيات الربوبية، وسطعت له أنوار اليقين، واضمحلت عنه غمرات الشك والريب، وانقشعت عنه ظلمات الجهل، فإنه إذا نظر في نفسه؛ وجد آثار التدبير فيه قائمات، وأدلة التوحيد علىٰ ربه ناطقات، شاهدة لمدبّره، دالة عليه، مرشدة إليه، وأنه لو اجتمع الإنس والجن علىٰ أن يخلقوا له سمعًا، أو بصرًا، أو عقلًا، أو قدرة، أو علمًا، أو روحًا، بل

---

(١) مفتاح دار السعادة، لابن القيم (١/ ١٨٨)، وإحياء علوم الدين للغزالي (٤/ ٤٣٥) (بتصرف).

(٢) قال ابن تيمية: «فإنّ الفاضل إذا تأمّل غاية ما يذكره المتكلمون والفلاسفة من الطرق العقلية، وجد الصواب منها يعود إلىٰ بعض ما ذكر في القرآن من الطرق. وفي طرق القرآن من تمام البيان والتحقيق ما قد نبهنا علىٰ بعضه في غير هذا الموضع». شرح الأصفهانية، ت السعوي (١/ ٤١).

(٣) النبوات، لابن تيمية (١/ ٢٩٢ - ٢٩٣).

عظمًا واحدًا من أصغر عظامها، بل عرقًا من أدق عروقها، بل شعرة واحدة؛ لعجزوا عن ذلك، بل ذلك كله آثار صنع الله الذي أتقن كل شيء في قطرة من ماء مهين، فمن هذا صنعه في قطرة ماء؛ فكيف صنعه في ملكوت السماوات، وعلوها، وسعتها، واستدارتها، وعظم خلقها، وحسن بنائها، وعجائب شمسها وقمرها وكواكبها، ومقاديرها وأشكالها، وتفاوت مشارقها ومغاربها، فلا ذرة فيها تنفك عن حكمة، بل هي أحكم خلقًا، وأتقن صنعًا، وأجمع العجائب من بدن الإنسان، بل لا نسبة لجميع ما في الأرض إلىٰ عجائب السماوات، قال تعالىٰ: ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴾ (النازعات: ٢٧ - ٢٨))[1].

وانظر: من الذي رفع السماء بغير عمد؟ من الذي يمسك السماء أن تقع علىٰ الأرض؟ من وراء هذه القدرة الكامنة في هذا الخلق؟

وقد ورد في كتاب الله الكثير في وصف السماء وما فيها[2]، قال تعالىٰ:

---

(١) مفتاح دار السعادة، لابن القيم (١/ ١٩٦)، والتبيان في أقسام القرآن، لابن القيم (٣٠٣).

(٢) انظر مثلًا الآيات الواردة في: البقرة (٢١ - ٢٢)، السجدة (٧)، الملك (٣ - ٤)، النازعات (٢٧ - ٢٨ - ٣٠ - ٣١)، الرعد (٢)، الحج (٦٥)، الصافات (٦ - ٧)، الفرقان (٦١)، فصلت (٩ - ١٢)، الأنبياء (٣٠)، النبأ (٩ - ١٣)، الطلاق (١٢). قال ابن القيم: «ولهذا قل أن تجيء سورة في القرآن إلا وفيها ذكر السماء، إما إخبارًا عن عظمها وسعتها، وإما إقسامًا بها، وإما دعاء إلىٰ النظر فيها، وإما إرشادًا للعباد أن يستدلوا بها علىٰ عظمة بانيها ورافعها، وإما استدلالًا منه سبحانه بخلقها علىٰ ما أخبر به من المعاد والقيامة، وإما استدلالًا منه بربوبيته لها علىٰ وحدانيته، وأنه الله الذي لا إله إلا هو، وإما استدلالًا منه بحسنها واستوائها والتئام أجزائها وعدم الفطور فيها علىٰ تمام حكمته وقدرته، وكذلك=

﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ﴾ (الأنبياء: ٣٢). (فانظر إلىٰ هذا البناء العظيم الشديد الواسع الذي رفع سمكه أعظم ارتفاع، وزينه بأحسن زينة، وأودعه العجائب والآيات، وكيف ابتدأ خلقه من بخار ارتفع من الماء، وهو الدخان)[1].

وكوكب الشمس، ودقة سيرها ونظامه، ودلالتها علىٰ الخالق المدبر؛ فقد استدل بها الخليل إبراهيم ﷺ علىٰ النمرود في إثبات وجود الله وربوبيته، وكان الاستدلال كافيًا بتسليمه وإخراسه واعتراف لسان حاله بالعبودية.

وقد تجلت عظمة الله - سبحانه - في خلق الكواكب والنجوم، والبحار، والجبال، والرياح، والدواب، والنبات، والحيوان، والإنسان، (ولو أردنا نستوعب ما في آيات الله المشهورة من العجائب والدلالات الشاهدة لله بأن الله الذي لا إله إلا هو الذي ليس كمثله شيء، وأنه الذي لا أعظم منه، ولا أكمل منه، ولا أبر، ولا ألطف؛ لعجَزْنا نحن والأولون والآخرون عن معرفة أدنىٰ عشر معشار ذلك، ولكن ما لا يُدرَكُ جميعُه لا ينبغي ترك التنبيه علىٰ بعض ما يستدل به علىٰ ذلك)[2].

وقد أثريت المكتبة العقدية بالعديد من مؤلفات العلماء والباحثين في بيان خلق الله، وعجائب صنعه، وحكمته، وتجلي قدرته في مخلوقاته، بضرب

=ما فيها من الكواكب والشمس والقمر والعجائب التي تتقاصر عقول البشر عن قليلها».
مفتاح دار السعادة، لابن القيم (١/ ١٩٧ - ١٩٦).

(١) مفتاح دار السعادة، لابن القيم (١/ ١٩٧).

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٠٦).

الأمثال[1]، وبما توصَّل إليه العلم في القديم والحديث[2]، ليشهد بصنع الرب الخالق الحكيم.

***

(١) «قدِّر في ذهنك بيتًا منسق البنيان، فاخر الأثاث، قائمًا على جبل مرتفع، وقدر أن رجلًا جاء فلم يجد فيه ولا حوله ديارًا، فحدثته نفسه بأنه عسى أن تكون صخور الجبل قد تناثر بعضها، ثم تجمع ما تناثر منها ليأخذ شكل هذا القصر البديع، وأن تكون أشجار الغابة قد تشققت بنفسها ألواحًا، وتركبت أبوابًا وسورًا، ألست تحكم بأن هذا حديث خرافة؟! فما ظنك بقصر السماء سقفه والأرض قراره والجبال أعمدته؟! أيكون في حكم العقل أهون شأنًا من ذلك البيت الصغير؟! أوَلا يكون أحق بلفت النظر إلى بارئ مصور، حي قيوم، خلق فسوى، وقدر فهدى؟!». الدين، محمد دراز (١١٦ - ١١٧) (بتصرف واختصار).

(٢) انظر شواهد على ذلك: العلم يدعو إلى الإيمان: موريس بوكاي، الله يتجلى في عصر العلم: نخبة من العلماء الأمريكيين، الإسلام يتحدى: وحيد الدين خان، الله جل جلاله: سعيد حوى، الآيات الكونية: الشعراوي، الفيزياء ووجود الخالق: جعفر شيخ إدريس، الدين: محمد دراز، الله والعلم الحديث: صقر المري، الموسوعة الكونية الكبرى آيات العلوم الكونية، ٢٦٩ عالمًا وباحثًا شاركوا بآرائهم في هذه الموسوعة: د. ماهر الصوفي.

المبحث الثالث:

دليل العناية

يراد بالعناية: الترتيب والنظام في الوجود بين الموجودات، وموافقة بعضها لبعض، وموافقتها للإنسان، واعتناؤها به على وجه الخصوص.

والشواهد على العناية الربانية التي تحيط بالكون ذُكر كثير منها في القرآن[1]، فالمتأمل في الوجود، كبيره وصغيره، يجد فيه مقتضى دلالة العناية الإلهية، والرعاية التامة للخلق، وكمال علمه، وحسن لطفه، وعنايته بالوجود، ورعايته للإنسان، ومحيطه الذي يعيش فيه، وأعظم عناية تجلت في الكيان الإنساني هي من الناحية الروحية.

قال ابن القيم: (فإن رحمته تمنع إهمال عباده، وعدم تعريفهم بما ينالون به غاية كمالهم، ومتضمن لإرسال الرسل، وإنزال الكتب، أعظم من تضمنه إنزال الغيث، وإنبات الكلأ، وإخراج الحب، فاقتضاء الرحمة لما تحصل به حياة القلوب والأرواح أعظم من اقتضائها لما تحصل به حياة الأبدان)[2].

---

(١) انظر الآيات الواردة مثلًا في: النحل (٤ - ١٨، ٤٨ - ٧٢ - ٧٩ - ٨١ - ٨٣)، الأنعام (١٤١ - ١٤٤)، لقمان (٢٠)، فصلت (٣٧)، القصص (٧١ - ٧٣)، البقرة (٢٥٥).

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم (١/ ٣٢) (بتصرف).

(وانتظام أمر العالم العلوي والسفلي، وارتباط بعضه ببعض، وجريانه على نظام محكم لا يختلف ولا يفسد من أدل دليل على أن مدبّره واحد لا إله غيره)[1].

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (فاطر: ٤١). (ثم تأمل الممسك للسموات والأرض، الحافظ لهما أن تزولا أو تقعا، أو يتعطل بعض ما فيهما، يا ترى من الممسك لذلك؟ ومن القيم بأمره؟ ومن المقيم له؟)[2].

وقد أشار ابن الوزير[3] لهذه الآية، وقال: (إن الجميع اتفقوا على أن العالم في الهواء أرضه وسماءه، وما فيه من البحار والجبال وجميع الأثقال، وقد ثبت بضرورة العقل أن الثقيل لا يستمسك في الهواء إلا بممسك، وأن هذا الإمساك الدائم المتقن لا يكون بما لا يعقل من الرياح، من غير رب عظيم قدير عليم مدبِّر حكيم)[4].

---

(١) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، لابن القيم (٢/ ٤٦٤).

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ٢١٥).

(٣) هو محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين، من آل الوزير: مجتهد باحث، من أعيان اليمن. له كتب نفائس، منها: (تنقيح الأنظار في علوم الآثار - في مصطلح الحديث، العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم - ثلاثة مجلدات، ومختصره «الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم»، ترجيح أساليب القرآن على قوانين المبتدعة واليونان). انظر: الأعلام للزركلي (٥/ ٣٠٠).

(٤) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات، لابن الوزير (٥٤) (باختصار).

وملخص قول ابن الوزير هنا: أن المراد «بالهواء» الفراغ الكوني، وأن العالم بكل ما فيه، وجد في هذا الفراغ، وأن مقتضىٰ الضرورة العقلية يدرك أن الأشياء الثقيلة من المستحيل أن تكون في الهواء هائمة دون أن يكون لها ممسك، وهو أيضًا ضرورة تجريبية حسية، وأن هذا التماسك والنظام والتجاذب بين الأجسام والترابط بينها لا يمكن أن يكون من غير منظِّم، ومنسِّق ومدبِّر، فاعل مريد لها. وذكره «للرياح» يقابلها في المصطلح العلمي الحديث (الجاذبية)، وأن هذا الفراغ الكوني الذي تسبح فيه الأجرام السماوية العظيمة وتتجاذب فيما بينها، بكل اتزان وانضباط، أكبر دليل علىٰ وجود المسير لها، المنظم لحركتها، دون خلل أو اضطراب. وأنه لولا أن الله ﷻ خلق الجاذبية في الأرض وبين الموجودات؛ لكان الاضطراب والفساد وعدم القدرة علىٰ العيش والسكن في الكوكب الأرضي، فهل يكون ذلك الصنع الرحيم، والاتزان الدقيق، والانضباط العجيب، إلا من قِبل الخبير العليم بمصالح الخلق والعبيد.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ (يس: ٣٨).

تأمل في بُعد الشمس عن الأرض، (إن الشمس، التي هي مصدر كل حياة، تبلغ درجة حرارة مسطحها (١٢.٠٠٠) درجة فهرنهايت، وكرتنا الأرضية بعيدة عنها إلىٰ حد يكفي لأن تمدنا هذه «النار الهائلة» بالدفء الكافي لا بأكثر منه. وتلك المسافة ثابتة بشكل عجيب، وكان تغيرها في خلال ملايين السنين من القلة، بحيث أمكن استمرار الحياة كما عرفناها، ولو أن درجة الحرارة علىٰ الكرة الأرضية قد زادت بمعدل خمسين درجة في سنة

واحدة؛ فإن كل نبت يموت، ويموت معه الإنسان حرقًا أو تجمدًا. والكرة الأرضية تدور حول الشمس بمعدل ثمانية عشر ميلًا في الثانية، ولو أن معدل دورانها كان مثلًا ستة أميال أو أربعين ميلًا في الثانية؛ فإن بعدنا عن الشمس أو قربنا منها يكون بحيث يمتنع معه نوع حياتنا)[1].

هل من المعقول أن تكون الشمس تجري بهذه النسب الموزونة، والمقادير المقدرة، والدقة اللامتناهية دون أن يكون لها مدبِّر ومقدِّر وعليم بأمرها؟ وأن تكون المصادفة العمياء هي مسيرة الكون بما فيه من شمس وقمر، واختلاف من ليل ونهار؟

(بل إن توافق الثوابت الكونية بنسب مدهشة دفع العلماء الفيزيائيين الماديين إلىٰ تسمية هذا التوافق باسم: الكون المُـعَـدّ بعناية (fine - tuned universe)، بل إن أكبر داعية للإلحاد في وقتنا المعاصر «ريتشارد دوكنز» في حواره مع «ستيفن وينبرج»[2] علىٰ موقعه الرسمي[3] قال: (إذا اكتشفت هذا الكون المدهش المعد فعليًا بعناية...؛ أعتقد ليس أمامك إلا تفسيران اثنان...: إما خالق عظيم، أو أكوان متعددة)[4]. وفي حقيقة الأمر: إن العناية

---

(١) العلم يدعو للإيمان، أ.كريسي موريسون، المترجم: محمود صالح الفلكي (٣٢). والكتاب غني بالنماذج عن العناية في الخلق والتكوين، في فصل ضوابط وموازين (١١١).

(٢) ستيفن واينبرج (بالإنجليزية: Steven Weinberg) هو أحد رموز الإلحاد الجديد المعاصر.

(٣) رابط موقع (ريتشارد دوكنز):
VOICES OF SCIENCE..Richard - Dawkins - Steven - Weinberg - Lawrence - Krauss - PZ - Myers- David - Buss

(٤) منتدىٰ التوحيد، بعنوان: (الحجة الكونية علىٰ وجود الخالق). الرابط:
http://www.eltwhed.com

الكونية الإلهية إذا تجلت للإنسان؛ فإنها تفضي إلىٰ أحد أمرين - كما ذكر ابن القيم -: (إما مكابرة ظاهرة، ودعوىٰ أن ذلك اتفاق من غير مدبِّر ولا صانع، - وهو ما وقع به (ريتشارد دوكنز) وباقي الملحدين الجاحدين -. وإما الاعتراف برب العالمين، والإقرار بقيوم السماوات والأرضين، والدخول في زمرة أولي العقل من العالمين، ولن تجد بين القسمين واسطة أبدًا، فلا تتعب ذهنك بهذيانات الملحدين؛ فإنها عند من عرفها من هوس الشياطين وخيالات المبطلين)[1].

(والتأمل بما يحدث ويتجدد في العالم في طلوع القمرين والكواكب وغروبها عند دوران الأفلاك الدائرات، وإنارة القمر والكواكب في ظلمة الليل وما اقتضته من حِكم، والسفن الجاريات والرياح الذاريات، والغيم والصحو وتعاقبهما، لما فيه صلاح العالم، ولو دام أحدهما كان فيه فساده، فلو توالت الأمطار لأهلكت ما علىٰ الأرض، ولو زادت علىٰ الحاجة أفسدت الحبوب والثمار، ثم تأمَّل الحكمة الإلهية في إخراج زروع الأقوات والثمار والحبوب والفواكه متلاحقة شيئًا بعد شيء متتابعة، ولم يخلقها كلها جملة واحدة)[2].

ومظاهر العناية في الكون أكثر من أن تُحصَىٰ، والوجود - بما يحمل من تفاصيل ومنافع في الموجودات - دلالة جلية علىٰ الخالق الحكيم الذي أحسن كل شيء خلقه، وقدَّر الأشياء أتم تقدير، ونظَّم العالم أحسن تنظيم.

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٢١٥) (بتصرف).

(٢) إيثار الحق علىٰ الخلق في رد الخلافات، لابن الوزير (٥١)، ومفتاح دار السعادة، لابن القيم (١/ ٢٢٤) (بتصرف).

وبعد تطور العلم والمعطيات الحديثة في الفيزياء واكتشاف العلماء لقانون الجاذبية في علم الفلك؛ استبدله الملاحدة بالعناية الإلهية، يقول صاحب كتاب التصميم العظيم: (طالما أنه يوجد قانون كالجاذبية؛ فالكون يستطيع وسيقوم بخَلْق نفسه من لاشيء! الخَلْق التلقائي هو سببُ وجود شيء بدلًا من لاشيء... ليس لزامًا أن نُقحِم إلهًا ليبدأ عمل الكون)[1].

فإذا كانت الجاذبية هي التي خلقت الكون، وهي التي جعلت الترابط بين أجزائه، فمن الذي خلق هذه الجاذبية؟ وجعل لها كل هذا التحكم والإرادة؟ ومن الذي جعل لها قانونًا تسير عليه؟

وهي من أبرز الشبهات التي يتمسك بها الملاحدة لنفي وجود الإله الخالق الحافظ لهذا الكون، وهي: (أن هذا الكون محفوظ بقانون الجاذبية، ومتماسك بسببها لا بقدرة إله خالق، ولا شك أن هذا الفهم تافه سخيف؛ إذ يقال لهم: هل نظام الجاذبية ينفي وجود إله خالق قادر؟ أم أنه على العكس يدل على وجود الإله ﷻ الذي خلق الجاذبية ذاتها؛ لتعمل وفق ما أراد وقدر، لا وفق ما تريد هي؛ إذ لا إرادة لها ولا وجود لها من نفسها، فهي قد وجدت بعد أن لم تكن؟! وهذا الترتيب العجيب في الكون يفوق كل قدرة، ويفوق كل تدبير، لقد حيَّر العقول وتضاءلت دون إدراكه الأفهام، فكيف يُنسَب هذا كله إلى الجاذبية المحدثة المخلوقة؟ كما أن كثيرًا من الملاحدة يعترفون بعجزهم عن الوصول - عن طريق الأبحاث والتجارب - إلى معرفة أسرار

---

(١) التصميم العظيم، ستيفن هوكينج وليوناردو ملودينو (١٤٢).

كثير من الحقائق المشاهدة في هذا الكون، وهذا الإقرار يلزمهم أن يُقِرّوا أيضًا بحقيقة الإله، بل وحقيقة الدين؛ لأنه يشتمل علىٰ كثير من الحقائق التي لا يصل العقل إلىٰ معرفتها، لا عن طريق البحث ولا عن طريق التجارب، فكيف ساغ لهم الإيمان بأن لبعض الحقائق المشاهدة حقائق باطنية عجز العلم عن معرفتها، بينما ينفون وجود الإله، وحقيقة الدين، بحجة أن الدين قائم علىٰ أمور لا تدرك حقيقتها الباطنية عن طريق البحث والتجربة، هذا تناقض واضح وتفريق بلا مستند)"[1].

***

---

(١) المذاهب الفكرية المعاصرة، د.غالب العواجي (٢/ ١١٦٧).

المبحث الرابع:

دليل الإحكام والإتقان

إن كان وجودُ الموجودات وحدوثُها دليلًا علىٰ الموجد الخالق؛ فإن كل مخلوق يدل علىٰ وجود الإله البارئ بما يبدو فيه من إحكام وإتقان وإبداع، بالإدراك الحسي الضروري في طبائع النفوس البشرية، الذي يؤكد بدلالة قاطعة علىٰ أن لهذا العالم الكوني بمخترعاته ومصنوعاته المحكمة صانعًا حكيمًا مبدعًا.

ونلحظ أن دليل الإحكام والإتقان يقوم علىٰ دليل الخلق، إلا أن دليل الإحكام والإتقان أكثر بيانًا وتفصيلًا لما في الخلق من بديع الصنع، ولطيف الانتظام، وغاية الانسجام.

إن كثيرًا من المتكبِّرين والمتعنتين ينكرون هذا الإحكام والتناسق البديع؛ لبداهة العقول أن في إثباتها يلزمهم الإقرار بوجود خالق حكيم، متقن لذرات هذا الوجود، فيتمسكون بنظريات وفلسفات واهية، متهافتة، ويزعمون أن هذا التناغم الكوني من قبيل المصادفة، وقد شهدت الفطر السوية أن هذا الوجود المحكم المتقن، التام التصوير والتقدير، لا يمكن أن يصدر إلا من رب حكيم قدير بارئ مصوّر لا إله غيره.

ويـذكر البـاحثون والمحققـون أن لهـذه الدلالـة مترادفـات عـدة في المسميات، منها: دلالة التسوية، أو التقدير، أو التخصيص، وقد يطلق عليها أيضًا: (برهان النظام، أو الغاية، أو القصد)[1].

(إن هذا العالم منظَّم، وكل منظَّم يحتاج إلىٰ منظِّم، هـذا العـالم يحتاج إلىٰ منظِّم، ويتألف دليـل النظام من مقدمتين: إحداهما حسيّة، وهي: هذا العالم منظَّم، والأخرىٰ عقلية، وهي: كل منظَّم يحتاج إلىٰ منظِّم، وإذا تمّت المقدمتان يثبت المطلوب، وهو: هذا العالم يحتاج إلىٰ منظِّم.

أما المقدمة الأولىٰ: فلا شك أن هناك نظامًا سائدًا في الظـواهر الطبيعية التي يعرفها الإنسان، إمّا بالمشاهدة الحسيّة الظاهريـة، وإمّا بفضـل الأدوات والطرق العلميّة التجريبية. ومن هنا؛ فإن للعلوم الطبيعيـة دورًا واسعًا في هذا الدليل.

ثم المقدمة الثانية: إنّ العقل، بعدما لاحظ النظام وما يقوم عليه من دقة وروعة في التقدير والتوازن والانسجام؛ يحكم بالبداهـة بـأن أمرًا هكـذا شأنه يمتنع صدوره إلا عن فاعل قادر عليم ذي إرادة وقصد، ويـستحيل أن يتحقق ذلك صدفة وتبعًا لحركات فوضوية للمادة العمياء الصمّاء، فإنّ تصوّر مفهوم النظام، وأنه ملازم للحساب الدقيق والعلم؛ يكفي في التـصديق بـأن النظام لا ينفك عـن وجـودِ منظِّـم عـالِم أوجـده، وحُكـم العقـل بـذلك مـن البـديهيات.

النتيجة: بما أن العالم منظَّم بحسب المشاهدات الحسية والوقـائع التجريبية؛

---

(١) انظر: الفلسفة القرآنية، للعقاد (١١٥).

وبما أن كل منظَّم يحتاج إلىٰ منظِّم بالبداهة العقلية؛ إذن فالعالم يحتاج إلىٰ الخالق المنظِّم، وبذلك يثبت المطلوب، وهو وجود الله ﷻ.

إنك إذا نظرت إلىٰ السماء؛ وجدت فيها نظامًا كونيًا عظيمًا، بحيث لو اختلّ هذا النظام لحظة واحدة لتحطّمت الأجرام السماوية ولاصطدمت بعضها ببعض، والهواء الذي نستنشقه فيه من النظام الشيء الكثير، بحيث لو زادت نسبة الأوكسجين فيه أو نقصت لهلك البشر، كما أن الماء الذي نشربه فيه من النظام العجيب، بحيث لو اختلفت مركّباته لما وجد هذا الماء، وهكذا في كل شيء تجده في هذا العالم، سواء كان في السماء أو في الأرض، وحتىٰ هذا الإنسان الذي يجري علىٰ سطح الكرة الأرضية إذا وضعت يدك علىٰ عينه وجدت النظام الرائع فيها، وإذا وضعت يدك علىٰ أنفه، أو معدته، أو أذنه، أو دورته الدموية، أو قلبه، أو كبده...؛ لوجدت النظام العجيب فيه، وهذا النبات الذي نأكله، واللحوم، والأنهار، والبحار، والمحيطات، كلها محتوية علىٰ نظام عجيب، أفلا يدل هذا النظام علىٰ وجود خالق منظِّم؟!)[1].

إن الآيات الدالة علىٰ الإحكام والإتقان في كتاب الله كثيرة[2]، قال تعالىٰ: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (النمل: ٨٨)، وقوله تعالىٰ: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ

---

(١) موقع الألوكة بعنوان: جامع الأدلة علىٰ وجود الله مع نقد شبهات الملاحدة حولها سلسلة متجددة - الكاتب: ربيع أحمد السلفي، الرابط:
http://majles.alukah.net/t78401
(باختصار).

(٢) انظر الآيات الواردة مثلًا في: الفرقان (٢)، القمر (٤٩)، الرعد (٢٨)، عبس (١٧ - ١٩)، الحجر (١٩)، طه (٥).

شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ (السجدة: ٧). وشواهد الكون بعظمة الخالق، وكمال قدرته، وحسن خلقه، وإتقان صنعه، في دلائل كثيرة في هذا الوجود نشاهدها في غاية الإحكام، والانتظام العجيب، تأمّل في الحكمة من الشمس والقمر، ومقادير الليل والنهار، وعالم الفلك بجماله وسعته وانتظامه دون خلل، واختلاف الكواكب بأحجام مختلفة، ومقادير الفلك وأبعاده، التي بهرت العقول، وحيّرت الأفهام بدقائق الحسابات الفلكية، ولم يحيطوا بكثير منها علمًا. قال تعالىٰ: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾ (الواقعة: ٧٥). (إن عدد نجوم السماء مثل عدد ذرات الرمال الموجودة علىٰ سواحل البحار في الدنيا كلها[1]، منها ما هو أكبر بقليل من الأرض، ولكن أكثرها كبير جدًّا، حتىٰ يمكن أن نضع في واحد منها ملايين النجوم، في مثل حجم الأرض التي نعيش عليها، ولسوف يبقىٰ فيه مع ذلك مكان! والحقيقة: أن الإنسان لم يستطع إلىٰ الآن أن يفهم سعة هذا الكون!)[2].

فما هدف الطبيعة العمياء من صنع ذلك؟ وأي قدرة استطاعت صنع هذا الفلك، وهذه الأعداد الهائلة بهذه الأحجام العظيمة؟ ولم يُلِمّ - حتىٰ العلم الحديث - بكل مواقع النجوم التي أقسم الله بها؟

فهل هذا إلا صنع الصانع الخبير الحكيم المتقن، الذي شهدت المخلوقات - بدقة صُنعِها وإحكامها - بوجوده جل جلاله. قال ابن القيم:

---

(١) وقوله: «إن عدد النجوم بمثل عدد رمال السواحل في العالم كله»، ليس بالضرورة أنه يقصد تحديد العدد، وإنما تصوير للكثرة، والسعة والأحجام الكبيرة.

(٢) الإسلام يتحدىٰ، وحيد الدين خان (٥٦).

(يُعلَم من استِقْرَاء العالم وأحواله: انتهاؤه إلىٰ عالم واحد، وقادر واحد، وحكيم واحد، أتقن نظامه أحسن الإتقان، وأوجده علىٰ أتم الوجود)[1].

(فتأمل خلق السماء، وارجع البصر فيها كرة بعد كرة، كيف تراها من أعظم الآيات في علوها وارتفاعها وسعتها وقرارها؟!)[2]. وقد تكررت الآيات في القرآن التي تصف السماء وعظمتها[3]، وسعة سلطانه وكمال قدرته، قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ (الملك:٣ - ٤). أي: (كل واحدة فوق الأخرىٰ، وليست طبقة واحدة، وخلقها في غاية الحسن والإتقان، ليس فيها اختلاف ولا تنافر، ولا نقص ولا عيب ولا خلل، ولهذا؛ قال: ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾، أي: انظر إلىٰ السماء فتأملها، هل ترىٰ فيها عيبًا أو نقصًا أو خللًا أو فطورًا - شقوقًا -! وإنك لو كررت البصر، مهما كررت، لانقلب إليك، أي: لرجع إليك البصر، ﴿خَاسِئًا﴾ عن أن يرىٰ عيبًا أو خللًا، ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ أي: كليل قد انقطع من الإعياء من كثرة التكرر، ولا يرىٰ نقصًا)[4]. (وفي هذا دلالة علىٰ حكمة صانعها، وأنه لم يخلقها عبثًا)[5].

---

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (٢٣٣).

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٠٧).

(٣) انظر الآيات الواردة مثلًا في: البقرة (٢٩)، فصلت (١١ - ١٢)، المؤمنون (١٩)، نوح (١٥)، النبأ (١٢)، الذاريات (٧).

(٤) تفسير ابن كثير (٨/ ١٧٧) (بتصرف واختصار)، وتفسير السعدي (٨٧٥).

(٥) انظر: التفسير الكبير (٣٠/ ٥٨٢).

والشواهد في القرآن الكريم على ما في الخلق من إبداع وتنظيم، وإحكام وإتقان، وتصميم وتقدير في الليل والنهار، أكثر من أن تُذكر[1]، قال تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (البقرة: ١١٧).

وإن العقل يدرك هذا التنظيم والإحكام بيسر وسهولة، ولا حاجة إلى الغوص في لُجَج الاستدلال المنطقي الفلسفي، بل اقتضت الحكمة الإلهية أن خاطب الناس كافة، بالدليل الأيسر، والأسهل، والأوضح، الذي يزداد مع الأيام وضوحًا، كلما تقدَّم العلم ومكتشفاتُه، تبرز أسرار النواميس الكونية وما فيها من الإحكام والإتقان الرباني[2].

إن مظاهر ومشاهد الإبداع الكوني، والإتقان المحسوس، والإحكام التام في الوجود، يعجز المرء عن حصرها، فتأمل عالم النبات وعجائبه[3]، وعالم الحيوان الذي يثير الدهشة، إن النحل الذي أشار إليه القرآن بقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ

---

(١) انظر الآيات الواردة مثلًا في: آل عمران (١٩٠)، يونس (٦)، المؤمنون (٨٠)، الروم (٢٢)، الجاثية (٥)، الحج (٦١)، لقمان (٩٠)، فاطر (١٣)، الحديد (٦)، النحل (١٢)، الإسراء (١٢)، الأنبياء (٣٣ - ٤٢)، النور (٤٤)، الفرقان (٦٢).

(٢) انظر: قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، نديم الجسر (٢٨١).

(٣) انظر الآيات الواردة مثلًا في: الرعد (٤)، الحج (٥ - ٦)، النحل (١٠ - ١١)، ق (٧ - ٨)، المؤمنون (١٩ - ٢٠)، النمل (٦٠). ومن العلماء المتخصصين في علم النبات من أرشده الإحكام والإتقان فيها إلى وجود الله والإقرار به. انظر: الله يتجلى في عصر العلم، تأليف: نخبة من العلماء الأمريكيين، ترجمة: د. الدمرداش عبد المجيد سرحان، بعنوان عجائب التربة (١١٦)، والتربة والنباتات (١٢١).

ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ (النحل: ٦٨ - ٦٩)؛ فيها من التنظيم الهندسي، والتعاون الجماعي ما يثير العجب،[1] وعند التأمل في حياة النمل وذكائه في اقتناء القوت، وفي عجيب حِيَلِ العنكبوت في النسج والاصطياد، إلىٰ غيرها من الكائنات البديعة الصنع؛ نتساءل: أين علاقة هذه الكائنات فيما بينها في سلم «التطور» المزعوم؟!

وعالم الخلايا الدقيق الذي أبهر العقول، العقل الذي تميز به الإنسان دون سائر الكائنات، والقلب الذي شُيِّد وأتقن صنعه، وأحكمت أجزاؤه، بدقة وإبداع. قال تعالىٰ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ﴾ (الملك: ٢٣). (هل المصادفات جعلت تسعة آلاف عقدة صغيرة كلها تصلح للتذوق، وفي كل أذن مئة ألف خلية للسمع، وفي كل عين مئة وثلاثون مليون خلية كلها تصلح لاستقبال الضوء؟ والأرض بما فيها من العجائب والأسرار، والهواء الذي يحيط بها، وما يحمله من أحياء لا تُرىٰ ولا تُدرك!)[2].

---

(١) من أراد التوسع في عالم النحل: فليراجع: مفتاح دار السعادة، لابن القيم، بعنوان: تأمل في النحلة (٣٢٢) وما بعدها. وانظر: الإنسان لا يقوم وحده، أ.كريسي موريسون، وترجم بعنوان: العلم يدعو إلىٰ الإيمان، ترجمة: محمود صالح الفلكي (٩١ - ٩٢). والنحلة تسبح الله بلغة العلم ولسان الحال، محمد حسن الحمصي، قد فصل القول في مملكة النحل.

(٢) التعريف بدين الإسلام، علي الطنطاوي (٧٥).

وبالتالي: يظهر أن كل ما في الكون متقن محكم على أتم وجه، وهذا الإتقان والإحكام ليس من ذاته بالتأكيد، فيلزم وجود قادر حكيم متقن أبدع الوجود، بل إن العلم الحديث والملاحظة الدقيقة أكدت ذلك.

* * *

المبحث الخامس:

دليل التسخير والتدبير

يراد بالتسخير: التذليل والإخضاع للأمر والإرادة[1]، سخَّر الشَّيءَ: أي: ذلله وأخضعه ويسّره (سخَّر اللهُ قُوىٰ الطبيعة في خدمة الإنسان)[2].

إن التكريم البشري بتسخير وإخضاع كل السنن والنواميس الكونية الدقيقة، لما يوافق هذا الكيان الإنساني، من دلائل العناية الربانية، ولهذا؛ فإنّ هذه الدلالة ترجع إلىٰ دلالة العناية.

حين نتأمل في الكون نجد فيه تسخيرًا وتدبيرًا عجيبًا، يستوجب الوقوفَ، وإعمالَ الفكر والعقل والتبصير والتحليل، والوصولَ بشهادة الحس والعقل والفطرة إلىٰ أن وراء تسخير السماوات والأرض وتدبير الأمر بينهن قوة قادرة حكيمة مُسخّرة مدبّرة.

إن تدبير الأمور بلا مدبِّر، وتسخيرها بلا مسخِّر، أمر غير مقبول عقلًا وعلمًا، ومع ذلك نجد أن الملحد يرىٰ أنه بإمكانه تفسير الظواهر الكونية، وتعليل الوجود دون وجود الله، بتعليلات قد تكون علمية، أو عقلانية، أو

---

(١) انظر: مقاييس اللغة (٣/ ١٤٤).

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (٢/ ١٠٤٤).

حسية، أو ظنية، وإن لم يجد لها تعليلًا وتفسيرًا على مقتضى العقل والعلم الحديث؛ علّل ذلك أنه باستطاعة العلم في المستقبل كشف وبيان ذلك،[1] ويرفض تمامًا فرضية وجود الله، أو أن هذا التسخير والتدبير في الكون، وراءه ذات خالقة قادرة مدبّرة مسخّرة.

أيمكن لهذا العالم الكوني أن يحدث دون تخطيط وتدبير واعٍ، أو أن يحدُث مصادفة، أو موافقًا للعلم والتجربة الحديثة المزعومة، دون قدرة وتسخير من العلام الحكيم؟!

وقد عرض الجاحظ[2] صنوفًا من التدبير في الكائن الإنساني، وقال: (تأمل في الإنسان، وما يُدبّر له من الأحوال المختلفة، هل يجوز أن تكون قد تهيأت له الأسباب دون مُدبّر مُسخّر؟ أرأيت لو لم يجر إليه ذلك الدم وهو في الرحم: ألم يكن سيذوي ويجف كما يجفّ النبات إذا فقد الماء؟ ولو لم يزعجه المخاض عند استحكامه: ألم يكن سيبقى في الرحم كالموؤود؟ ولو لم يوافقه اللبن مع ولادته: ألم يكن سيموت جوعًا؟... فمن الذي كان يرصده حتى يوافيه بكل شيء من هذه المآرب في وقته، إلا الذي أنشأه خلقًا بعد أن لم يكن؟!).

ثم يرد على من يزعم أن هذا من فعل الطبيعة، ويقول: (سألناك عن هذه

---

(١) انظر: الله جل جلاله، سعيد حوى (٧٤).

(٢) الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر: العلامة، المتبحر، ذو الفنون، المعتزلي، ولد عام (١٦٣هـ)، مولده ووفاته في البصرة. من مؤلفاته: (الحيوان - أربعة مجلدات)، البيان والتبيين، سحر البيان، البخلاء، المحاسن والأضداد. توفي عام (٢٥٥هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٢٦). والأعلام، للزركلي (٥/ ٧٤).

الطبيعية: أهي شيء له علم وقدرة علىٰ هذه الأفعال؟ فإن أوجبت لها ذلك، فما امتناعك من إثبات الخالق؟ فإن هذه صفة الخالق، فإن زعمت أنها تفعل هذه الأفعال بغير علم وعمد فهو محال؛ لأن أفعالها ما قد ترىٰ من الصواب والحكمة، فعُلِم أن هذا الفعل للخالق العظيم وأن الذي سميته طبيعة هي سنته»[1].

أما مظاهر التسخير في الكون فلا تحصىٰ، وقد جاءت الآيات القرآنية بالتنبيه علىٰ ذلك في صورة مُجملة، وأن السماوات والأرض وما فيها مسخرة للإنسان، كما في قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ (لقمان: ٢٠)، وقال تعالىٰ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ (الجاثية: ١٣)، أشارت الآيات إلىٰ التسخير الأرضي، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ﴾ (الذاريات: ٤٨)، وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا﴾ (الملك: ١٥)، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (النحل: ١٥).

ووردت الآيات القرآنية بصورة مفصلة، شملت الكون من أصغر ذراته إلىٰ أكبر مجراته، مسخرًا لهذا الإنسان الذي يعيش في هذا الكوكب الصغير بالنسبة للأجرام السماوية[2]، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ

---

(١) الدلائل والاعتبار علىٰ الخلق والتدبير، الجاحظ (٤٤ - ٤٦) (بتصرف واختصار).

(٢) سخرت السماوات بمليارات المجرَّات لهذا الإنسان الذي يعيش في كوكب صغير واحد في عالم المجرَّات، ويقول علماء الفلك: إن مجرتنا يوجد فيها أكثر من مئة مليار نجم غير الكواكب والأقمار والنيازك...! انظر: الموسوعة الكونية الكبرىٰ (٣/ ١٦٠).

مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ (الأعراف: ٥٤)، وقوله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ (فاطر: ١٣)، وقوله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾ (إبراهيم: ٣٣)، وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ (الأنعام: ٩٧)، وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ﴾ (يونس: ٥)، وقوله تعالى: ﴿ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ (النحل: ١٦)، وفي تسخير البحر والفلك والرياح[1]، فلولا البحر ما كانت الفلك، ولولا الرياح ماجرت الفلك، ولولا التسخير الإلهي والقدرة الربانية ما جرىٰ أي واحد منها، قال تعالىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ﴾ (الحج: ٦٥)، وقال تعالىٰ: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ﴾ (إبراهيم: ٣٢)، وقال تعالىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ ﴾ (النحل: ١٤)، وقال تعالىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ ﴾ (فاطر: ٩)، وقال تعالىٰ: ﴿ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (البقرة: ١٦٤).

وقد نبّه كثير من المحققين[2] علىٰ صنوف وضروب من التسخير والتدبير

---

(١) انظر الآيات الواردة مثلًا في: الأعراف (٥٧)، الحجر (٢٢)، الفرقان (٤٨)، النمل (٦٣)، الروم (٤٦، ٤٨)، الشورىٰ (٣٢ - ٣٣).

(٢) انظر مثلًا: الحكمة في مخلوقات الله للغزالي. وشفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ومفتاح دار السعادة، لابن القيم. والعلم يدعو للإيمان، أ. كريسي=

في عالم الكائنات الحية، وأشارت الآيات إلىٰ تسخير الأنعام والطير[1]، كما في قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ﴾ (النحل: ٧٩)، وقوله تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (الحج: ٣٦)، وقوله تعالىٰ: ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ۝ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ﴾ (يس: ٧٢ - ٧٣)، وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ (النحل: ٦٦).

ولفتت الآيات إلىٰ دلالات التسخير والتدبير في الإنسان وخلقته، مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل: ٧٨).

تأمل في هذه الدلائل الربانية اليقينية، والكثير منها في القرآن الكريم، التي تزيل الشبه والشكوك، وتلزم المعاندين والجاحدين الحجة، تتيقن أن كل عناصر الكون مُسخَّرة للوجود الإنساني، ولا تُجيز الضرورة العقلية أن تكون سخرت نفسها بلا مُسخِّر، أو دبَّرت نفسها بلا مُدبِّر، فترتب قطعًا وجود رب قادر جبار مُسخِّر ومُدبِّر لهذا الكون.

وبهذا نختم الأدلة القرآنية علىٰ وجود الله علىٰ وجه الإيجاز والإجمال، وإن كانت هناك أدلة أكثر إطنابًا وتفصيلًا وبيانًا، بحكم أن القرآن غنيّ بالأدلة العقلية التي لم نوفها حقها، إلا أن الغالب أنها لا تخرج عما سبق ذكره.

❊ ❊ ❊

=موريسون، المترجم: محمود صالح الفلكي. والله والعلم الحديث، صقر المري.

(١) انظر الآيات الواردة مثلًا في: النحل (٥ - ٨٠)، المؤمنون (٢١)، الزمر (٦)، غافر (٧٩).

الفصل الثالث:

دحض شبهات الملحدين عن الله

ويشتمل على أربع شبهات:

- الشبهة الأولى: قول فرعون: ﴿ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.
- الشبهة الثانية: قول النمرود: ﴿ أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ ﴾.
- الشبهة الثالثة: سؤال النمرود عن صفات الرب سبحانه.
- الشبهة الرابعة: قول فرعون: ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾.

الفصل الثالث:

دحض شبهات الملحدين عن الله

وقد سلك القرآن في دحض شبهات الملاحدة مسلكين: الأول: تقرير الأدلة العقلية والبراهين الساطعة الدالة على ربوبيته وألوهيته، وذلك بالتذكير بدلائل القدرة الإلهية في الآفاق والأنفس.

الثاني: تضمن الآيات للقصص القرآني، وبيان مصير الأمم السالفة المنحرفة عن الحق، في باب الربوبية، والألوهية، والإنكار للمعاد، وذلك بعرض شبهاتهم وإبطالها بالحجة والعقل، والبرهان.

شبهات الملحدين التي عالجها القرآن:

تختلف الشبهات التي عالجها القرآن بالمناقشة والدحض باختلاف المتبنّين لها، ويمكن أن نقسم خط الشبهات تقسيما عاما يندرج تحته أربعة أقسام، وهي كما يلي:

القسم الأول: الشبهات المتعلقة بالربوبية والألوهية:

إن من أشهر الذين جحدوا حقائق الإيمان هو فرعون، وقد بعث الله كليمه موسى عليه السلام إليه بعدما ألهمه الحجة وبين له منهجية التعامل مع الشبهات التي سيثيرها فرعون في التشكيك في دعوته، كما بيَّن له قواعد

دحضها، وكيفية مخاطبته ومسايرته؛ لينقاد للحق ويُسلم به بقناعة وإذعان، وذلك عن طريق تبصير الله لموسىٰ ﷺ بسمات النفس البشرية وطبيعتها، والتي تتلخص في:

- ميلها إلىٰ المعاملة بالحسنىٰ والملاطفة واللين في الحديث والمحاورة، ونفورها من الشدة والغلظة في الحديث.

- النفس عادة بها كبرياء وأنفة تأبىٰ التسليم دون دليل وبرهان وحجة وإقناع، فتحتاج إلىٰ تفنيد معتقدها الباطل ودحض أباطيله ورده.

فكان الأسلوب الذي سار عليه موسىٰ ﷺ في جدال الملحدين هو: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ (طه: ٤٤).

- واللين في القول: المقصود به في الأسلوب والتعبير بالألفاظ، وليس في مضمون الحديث ومحتواه وماهيته، وذلك؛ ليكون سبيلًا للإنصات والاهتمام بفحوىٰ خطابه، فيأتي التأثير.

فمن أراد أن يلج النفوس البشرية الملحدة عن الحق، الزائغة عن الطريق الصواب، ويردها إلىٰ صوابها ويكشف زيف شبهاتها ويدحضها، فليسلك سبيل موسىٰ ﷺ وهارون في دعوتهما طاغيةَ الكفر والإلحاد، وما كان من فرعون بعد رؤية الدلائل والحقائق اليقينية إلّا أن أبىٰ واستكبر عن قبول الحق، مع يقينه بصدقه، وتبعه الملأ الفاسقون، قال تعالىٰ: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ (النمل: ١٤).

وتختلف منهجية المحاورة مع فرعون عند تغير الأحوال والمنطق، فنجد أن موسىٰ ﷺ اتخذ المنهج الجدلي العقلي المفحم للخصم لما رأىٰ

من فرعون شدة وغلظة في التمسك في الباطل.

- وقد تميز موسىٰ ﷺ بالحجج الدامغة عندما يُظهر الطاغية الصلافة والتعنت والاستكبار، يتضح ذلك من خلال الرد علىٰ الشبهات.

وكذلك الذي حاج إبراهيم في ربه؛ سلك الخليل ﷺ في محاجته طريقًا واضحًا تتجلىٰ فيه ربوبية الله العظيم ووحدانيته، فلم يسلك مسالك المذاهب الفلسفية العقيمة، بل ألهمه الله الحجة العقلية القوية الداحضة للباطل أمام الملك الطاغي المتجبر.

وقد تناول القرآن هذا القسم عن طريق عرضه لعدة شبه، منها:

***

الشبهة الأولى:

قول فرعون: ﴿ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

وهي استفهام إنكاري تهكمي تعجبي جاء في صورة سؤال فرعون لموسىٰ عليه السلام: من هو الرب الذي تزعم أنك مرسل من عنده؟ وذلك بسبب ما أوتي من الملك القدري الذي أدىٰ به إلىٰ الاستكبار والتعالي.

فقال فرعون لموسىٰ عليه السلام: ﴿ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الشعراء: ٢٣). وقال لموسىٰ وهارون عليهما السلام: ﴿ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴾ (طه: ٤٩).

ومضمون الشبهة: أن فرعون طرح هذه الشبهة لما غلبه موسىٰ عليه السلام بالإجابات المفعمة بالحجة، والمفحمة بالدليل، ولم يجد له سبيلًا، رجع إلىٰ معارضة موسىٰ عليه السلام في قوله: ﴿ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الزخرف: ٤٦)، فاستفهامه استفهام إنكار وجحد[1]، وحول مجرىٰ الحديث إلىٰ الطعن في ماهية الدعوة وصدقها، ومن المرسِل الذي أرسل موسىٰ عليه السلام إليه؟ وهذا السؤال ليس سؤال الباحث عن الحقيقة، الراغب في معرفتها، وإنما سؤال المستنكر المستغرب حقيقة هذه الدعوة، القاصد تهييج الملأ في دعوىٰ

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٣/ ٩٨)، ومجموع الفتاوىٰ (١٦/ ٣٣٣)، والصفدية (١/ ٢٤٢).

موسىٰ عليه السلام، وتشكيكًا في وجود ما يدعيه، واستبعادًا عن أن يكون هناك رب بعث موسىٰ عليه السلام له ولقومه؛ فقال له: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الشعراء: ٢٣). وفي لفظ آخر وجه السؤال إلىٰ موسىٰ وهارون عليهما السلام فقال: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾ (طه: ٤٩). (فكأنه يقول لهما: ومن رب العالمين الذي تزعُمان أنه أرسلكما وابتعثكما؟!)[1].

ويقول: (وأي شيء هو رب العالمين؟)[2] يريد بذلك فرعون: أن يثبت للقوم أن ليس هناك رب غيره، فقال لموسىٰ عليه السلام: من هذا الذي تزعم أنه إله غيري، وأنك مرسل من عنده؟ فيستنكر القول من أساسه، مستغربًا الدعوىٰ؛ حتىٰ ليراها غير ممكنة التصور، ولا قابلة إلىٰ التفكير ومراجعة الحال[3].

ونسبة نفسه إلىٰ الألوهية إنما هي انتساب إلىٰ الآلهة المتعددة التي يعتقد بها الأقباط؛ حتىٰ يتمكن من إدارة الحكم والتدبير باسم الإله، ويتنافى في حس معدد الآلهة أن تنصرف عبوديته في وحدانية إله واحد.

إن فرعون علم أن حقيقة الدعوة التي جاء بها موسىٰ عليه السلام هي ربوبية الله - الواحد الأحد - للعالمين، أي: ألوهية واحدة، وعبودية شاملة، وربوبية كاملة، وهذا يعني سقوط ربوبيته علىٰ شعبه وعبوديته لهم، وألوهيته عليهم، وتنحيته من سلطانه وملكه، فواجهه فرعون بكل ما يملك من محاولة استهجان دعوته، ومقصده، والطعن في مطلبه، وماهية مرسله، ومحاولة

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول (١/ ١٠٩).

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٣٤٣).

(٣) انظر: في ظلال القرآن (٥/ ٢٥٩٢).

استبعاد أذهان الناس الذين حوله أن يكون هناك رب للعالمين أرسل موسىٰ ﷺ، فسأله سؤالَ متجاهل أنه لا يعرفه، مستنكرًا أن تتوحد الآلهة لرب للعالمين، وجاحدًا لوجوده.

الجواب علىٰ هذه الشبهة:

قد أجاب موسىٰ ﷺ جوابًا يكافئ ذلك التجاهل والتغافل والاستكبار، وأغاظ فرعون وبيّن له أن معرفة الله أساسًا مستقرة في الفطر، وأنه أظهر من أن يسأل عنه، وأن معرفته أبين من كل معروف، وظاهرة في كل موجود.

- نهج موسىٰ ﷺ وصية ربه، مذكرًا فرعون بآيات الخالق علىٰ خلقه، علىٰ أن الفطر تقر بذلك وتعرف الخالق بدون هذه الآيات الكونية، وقال له هو: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ (الشعراء: ٢٤). فهذا من أعظم المسالك التي يسلكها القرآن في مواجهة أشد الملحدين ودحض شبهاتهم وإلحادهم؛ لأن التذكير بالآيات والأبعاد الكونية من السماوات والأرض وما بين المشرق والمغرب، فيه إيقاظ لأصل الفطرة البشرية التي تعرف ربها، لعلها ترجع إلىٰ معدن فطرتها وتهتدي لخالقها.

ثم إن معرفة الله تتفق مع الفطر السليمة والعقول المستقيمة؛ إذ الإنسان - بحسب فطرته - يعترف بوجود الله، وفرعون - رغم غطرسته - لم تكن دعواه الربوبية أنه الرب ولا رب غيره، وإنما كان يميل إلىٰ اللجوء إلىٰ أن ثمة رب يعتقد فيه القوة الخارقة، والسيطرة الكاملة عليه وعلىٰ المخلوقات من حوله.

- استدل موسىٰ ﷺ لفرعون بدلالة الأثر علىٰ المؤثر التي يوقن بها كل

ذي عقل واع، ولا يشك بها ويجحدها إلا من خالط عقله ريب وعاند وتمرد عن قبول الحق.

فكانت الإجابة مستصغرةً لملك فرعون، ودالة علىٰ بطلان ما يدعيه، فقد كان أقصىٰ ما يدعيه ربوبية علىٰ قومه، أي: أنه رب مصر وإلهها، أما رب موسىٰ ﷺ الذي يدعو إليه هو رب هذا الكون العظيم بأكمله الذي لا تملك منه - يا فرعون - إلا قُطْرًا يسير منه، كالذرة في الصحراء، ثم لفت نظره إلىٰ التأمل في ملكوت السماوات والأرض وما بينهما، فثمة خالق عظيم لهذا الخلق العظيم، وهو الله رب العالمين، المستحق للعبادة دون ما سواه.

ولا يوجد أحد يدعي أنه خالق للسماوات والأرض، مهما بلغ به الكفر والإلحاد، بل حتىٰ فرعون كان يدعي ربوبيته علىٰ أهل مصر، وأهل مصر في جزء من الأرض، والأرض يسكنها العالمون، والعالمون جزء من السماوات الأرض، التي ترجع ملكيتها إلىٰ الله رب العالمين.

فهو رب السماوات والأرض ومابينهما، وليس رب قُطْرٍ صغير من الأرض، بل هو الخالق وماسواه مخلوق، وهو المحدث وما سواه حادث، فقرر موسىٰ ﷺ لفرعون أن الله خالق السماوات والأرض وما بينهما، أي: (مالكه، والمتصرف فيه، وإلهه، لا شريك له، هو الله الذي خلق الأشياء كلها، العالم العلوي وما فيه من الكواكب الثوابت والسيارات النيرات، والعالم السفلي وما فيه من بحار وقفار، وجبال وأشجار، وحيوان ونبات وثمار، وما بين ذلك من الهواء والطيور، وما يحتوي عليه الجو، الجميع عبيد له خاضعون ذليلون، ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ أي: إن كانت لكم قلوب موقنة، وأبصار

نافذة)[1]. هذه الآثار المبثوثة بين السماوات والأرض لا بد لها من مؤثر، أخرجها من العدم إلىٰ الوجود، وهو الله تبارك وتعالىٰ.

فكل ذي عقل بصير ولبٍّ رشيد يعلم أن كل محدث موجود لا بد له من مُحدِث ومُوجِد، أحدثه وأوجده، وأنه لا يمكن أن تكون السماوات والأرض أوجدت نفسه بنفسها، فلا بد لها من خالق خلقها وأوجدها، وهو الله رب العالمين. (فخاطبه موسىٰ ﷺ بما بيّن له أنه أعرف من أن ينكر، وأعظم من أن يجحد، وأن آياته ودلائل ربوبيته ظاهرة جلية، وأنه سبحانه أعرف وأظهر وأبين من أن يجهل، بل معرفته مستقرة في الفطرة أعظم من معرفة كل معروف)[2].

تنبيه:

ذهب بعض المفسرين[3] إلىٰ أن الاستفهام هنا: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الشعراء: ٢٣) هو (استفهام استعلام عن الماهية، أي: سؤال عن ماهية الرب؟ كالذي يسأل عن حدود الأشياء، وأنه لـمّا لَمْ يكن للمسؤول عنه ماهية عدل موسىٰ ﷺ عن الجواب إلىٰ بيان ما يعرف به؛ فقال له: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (الشعراء: ٢٤)، وهذا باطل؛ فإن سؤال فرعون إنما كان استفهام إنكار

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ١٣٨). وانظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول (١/ ١٠٩).

(٢) انظر: منهاج السنة النبوية (١/ ٢٣١)، ودرء تعارض العقل والنقل (٨/ ٣٩)، وشرح الطحاوية (١/ ٢٦).

(٣) انظر ما ذكره الرازي في كتابه: التفسير الكبير (٢٤/ ٤٩٨)، فقد توسع في التأويلات البدعية.

وجحد، لم يسأل عن ماهية رب أقر بثبوته بل كان منكرًا له جاحدًا، كما دلت سائر آيات القرآن علىٰ أن فرعون كان جاحدًا لله نافيًا له، لم يكن مثبتًا له، طالبًا للعلم بماهيته، فاستفهامه كان إنكارًا وجحدًا، يقول: ليس للعالمين رب يرسلك؛ فمن هو هذا؟ إنكارًا له، فبين موسىٰ ﷺ أنه معروف عنده وعند الحاضرين، وأن آياته ظاهرة بينة لا يمكن معها جحده»[1].

وقول فرعون: وما رب العالمين؛ متجاهلًا أنه لا يعرفه فيجحده وينكره بعد مجيء الآيات الدالة علىٰ وجوده.. أشبهُ ما يكون بقول اللاأدرية[2] المتجاهلين، الذي يتوقفون في إثبات وجود الله، وعن نفي وجوده، ويعتقدون أن الدين مجرد صناعة بشرية، بحجة عدم وجود دليل يثبت وجوده، وعدم وجود دليل ينفي وجوده، ولو تأملوا لوجدوا آيات الله ودلائله في الأنفس والآفاق أجلّ دليل وأوضحَه علىٰ وجوده سبحانه.

واللاأدرية المعاصرون يتمتعون بالإلحاد «المقنع» الذي لا يقر بوجود

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٦/ ٣٣٣) (باختصار وتصرف). وانظر: منهاج السنة النبوية (٢/ ٢٧١)، والصفدية (١/ ٢٤٢)، ودرء تعارض العقل والنقل (٨/ ٣٩)، وتفسير ابن كثير (٦/ ١٣٨)، وشرح الطحاوية (١/ ٢٦).

(٢) واضع مصطلح اللاأدرية هو «توماس هكسلي» (١٨٢٥ - ١٨٩٥)، عالم الأحياء الإنجليزي، وهو من أشهر القائلين بنظرية التطور وأكثرهم تحمسًا لها. انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم (٣٦٤)، والموسوعة الفلسفية، إشراف: رونتال - يودين (٤٠٢). إن المفكرين القدماء خاصة الإغريق كانت عندهم بوادر لاأدرية، وقد أعلن هذا المذهب (بيرون) في عصر الإسكندر المقدوني، عندما تعارضت عليه الأدلة لم يجد مخرجًا إلا بالتوقف عن الحكم. انظر: الدين، د. محمد دراز (١٥).

الإله؛ نظرًا لعدم وجود دليل، وأغلب الملاحدة المعاصرين من هذا النوع؛ فهم غير متيقنين من إلحادهم بنسبة ١٠٠٪؛ لأن الفطر البشرية مفطورة علىٰ الإقرار بوجود الله، حتىٰ أشهر ملاحدة هذا العصر «البيولوجي الداروني الشهير (ريتشارد دوكنز)» يقول: (لو أن هناك جدول قياس من ١ إلىٰ ٧، حيث ١ هو من يعتقد بوجود الله بنسبة ١٠٠٪، و٧ هو من يعتقد أن احتمال وجود الله ٠٪؛ فأنا اعتبر نفسي في الدرجة ٦)[1]. وهذا يشير إلىٰ عدم الاقتناع بسلامة المنهج وعدم الوثوق بصحة الطريق الذي هم عليه، وذلك باعتبارهم أن الكون كلّه مادة، ولو تأمل هؤلاء المنكرون الماديون فيما حولهم لوجدوا أن النفس البشرية بحد ذاتها دليل علىٰ مصور خالق بارئ جعلها في أحسن تقويم، وأن الآيات الدالة علىٰ وجود الله مبسوطة في ملكوت السماوات والأرض وما بينهما، لكن هل أنتم موقنون وناظرون بعين البصيرة حتىٰ تدلكم علىٰ وجوده. بل إن جواب موسىٰ ﵇ علىٰ فرعون بما يبين حقيقة رب العالمين فيه دلالة علىٰ (أن الاستدلال علىٰ ثبوت الخالق الواحد يحصل بالنظر في السماوات والأرض وما بينهما، نظرًا يؤدي إلىٰ العلم

---

(١) إن (ريتشارد دوكنز) في الحقيقة ملحد يميل إلىٰ اللاأدرية بالنسبة إلىٰ الوجود الإلهي ولم يصل إلىٰ الإلحاد الجازم. ولكنه ملحد شرس ضد الأديان، حريص علىٰ إعلان إلحاده والتفاخر به مع الهجوم علىٰ الدين والمتدينين والسخرية المفرطة بهم. انظر: مقال:

'I can't be sure God DOES NOT exist World's most notorious atheist Richard Dawkins admits he is in fact agnostic»

صحيفة الديلي ميل. الرابط:

http://www.dailymail.co.uk/news/article-2105834/Career-atheist-Richard- Dawkins-admits-fact-agnostic.html

بحقيقة الرب الواحد الممتازة عن حقائق المخلوقات)[1].

(فمن نظر إلىٰ ما ترشد إليه هذه الآيات والدلائل الواضحات في السماوات والأرض وما بينهما، من سنن الله في العالم نظرًا ثاقبًا، وفكر في عجائب خلقها، وحسن تنسيقها، وشدة أسرِها تفكيرًا عميقًا، وبحث في أحكامها، وبديع صنعها بحثًا بريئًا من الهوىٰ، والحمية الجاهلية، وأنصف مناظره من نفسه، فلم يمنعه من فهم ما عرض عليه من الحق والإذعانِ له كِبْرٌ يُرديه، ولا عناد يطغيه، اتضح له طريق الهدىٰ، واضطره ذلك أن يستيقن النتيجة، ويؤمن من أعماق قلبه، بأن للعالم ربًّا خلَّاقًا فاعلًا مختارًا حكيمًا في تقدير، وتدبيره، أحاط بكل شيء علمًا، وهو علىٰ كل شيء قدير. ومع قيام الدليل، ووضوح السبيل، تعامىٰ فرعون موسىٰ ﷺ عن الحق، وتجاهل ما استيقنته نفسه، وأنكر بلسانه ما شهدت به الفطرة، ودل عليه العقل من وجود واجب الوجود، فأقام موسىٰ ﷺ عليه الحجة، بدلالة الأثر علىٰ المؤثر، والصنعة علىٰ الصانع، ووجود العالم، وعظم خلقه علىٰ وجود الخالق، وعظيم قدرته، وسعة علمه، وكمال حكمته، فغلبه بحجته)[2].

وتساؤل فرعون يشبه التساؤل الذي يردده الملحدون منذ القديم، وقد أخبرنا الرسول ﷺ عنهم فقال: «**لن يبرح الناس يتساءلون حتىٰ يقولوا: هذا الله خالق كل شيء، فمن خلق الله؟**»[3].

---

(١) التحرير والتنوير (١٩/ ١١٧).

(٢) مذكرة التوحيد، عبد الرزاق عفيفي (٢١ - ٢٠) (بتصرف يسير).

(٣) صحيح البخاري (٩/ ٩٦). كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: ما يكره من كثرة

و(من أبزر من تبنىٰ هذه المقولة من الفلاسفة: الفيلسوف «هيوم»[1]، فقال: «إذا كان لا بد لنا من البحث عن علة لكل شيء، لوجب إذَنْ أن نبحث عن علة للإله نفسه». وأيضًا الفيلسوف «هربرت سبنسر»[2]، ثم تلقفها الملاحدة العرب، وتبنىٰ هذه الفكرة: الملحد العربي «صادق جلال العظم»، أخذها من «سبنسر» وعرض لها في كتابه «نقد الفكر الديني»)،[3] ومن الملحد المعاصر «ريتشارد دوكينز» الذي يلهج بهذا السؤال في كتابه «وهم الإله».

وقد بيَّن العلماء زيف هذه المقولة، وأنها حجة شيطانية يوسوس بها الملحدون، وأنها مغالطة؛ لأنها تريد أن تجعل الأزلي حادثًا، وأن تجعل واجبَ الوجود عقلًا ممكنَ الوجود عقلًا، وأن الأصل فيه العدم، لذلك؛ يتساءل الملحد عن علة وجود الله!

وأنها مغالطة من المغالطات الفكرية؛ لأنها قائمة علىٰ التسوية بين الخالق والمخلوق، فالخالق هو الذي وجوده يسبق كل شيء، والمخلوق هو المفتقر إلىٰ خالق يخلقه، فبينهما تباين واضح وجلي، ولا يصح التسوية بين

=السؤال وتكلف ما لا يعنيه، حديث رقم (٧٢٩٦).

(١) ديفيد هيوم (١٧١١ - ١٧٧٦م): فيلسوف ومؤرخ إنجليزي، وهو من أكبر الفلاسفة الحسيِّين في إنجلترا. انظر: موسوعة الفلسفة، بدوي (٢/ ٦١١)، والموسوعة الفلسفية، بإشراف: رونتال - يودين (٥٧٠).

(٢) هربرت سبنسر (١٨٢٠ - ١٩٠٣م): مؤلفاته كلها تدور حول مبدأ التطور، ومن كتبه: (مبادئ علم النفس، المبادئ الأولىٰ، مبادئ البيولوجيا). انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم (٣٥٦).

(٣) كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، حبنكة الميداني (٥٤٤) (باختصار).

الخالق والمخلوق، والسؤال عن «من خلق الخالق؟»[1].

وأن سؤال «من خلق الله؟» سؤال متهافت متناقض، فالله خالق وليس مخلوقًا، ومُحدِث وليس مُحدَثًا، فالموجودات مفتقرة إلىٰ موجِد، والمخلوقات مفتقرة إلىٰ خالق، والله ﷻ يستحيل أن يكون مخلوقًا، بل هو خالق ليس مفتقرًا إلىٰ غيره، بل غيره مفتقر إليه، فلو قلنا: الله الخالق؛ فمن خلق الله؟ لزم التسلسل، وهذا محال.

والله -جل وعلا- هو الخالق الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، وقول القائل: من خلق الله؟ يساوي قوله: ما الذي سبق الشيء الذي لا شيء قبله؟ أو ما الذي بعد الشيء الذي لا شيء بعده؟

ويستحيل أن يكون الله خالقًا ومخلوقًا في آن واحد، والمخلوقية من صفات الحوادث؛ فكيف نصف الخالق الأزلي الأبدي بصفات الحوادث والموجودات؟!

فالضرورة العقلية والفطرة السوية تثبتان أن الله هو الخالق الذي لم يُخلَق، بل هو الخالق لما سواه.

يقول ابن حجر: (فإن قال الموسوس: فما المانع أن يخلق الخالق نفسه؟ قيل له: هذا ينقض بعضه بعضا؛ لأنك أثبت خالقا وأوجبت وجوده، ثم قلت: يخلق نفسه، فأوجبت عدمه، والجمع بين كونه موجودا معدوما فاسد؛ لتناقضه؛ لأن الفاعل يتقدم وجوده علىٰ وجود فعله فيستحيل كون

---

(١) انظر: كواشف زيوف في المذاهب الفكرية، حبنكة الميداني (٥٤٥)، ويراجع من أراد التوسع (٥٤٤ - ٥٤٨).

نفسه فعلا له)[1].

وقد جاء الإرشاد النبوي للجواب على هذه الشبهة -كما ثبت في صحيح البخاري-، قال رسول الله ﷺ: «يأتي الشيطانُ أحدَكم فيقول: من خلق كذا، من خلق كذا، حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه؛ فليستعذ بالله ولينته»[2].

وقد فهم بعض النظّار أن التوجيه النبوي اقتصر على الاستعاذة والانتهاء دون النظر والبحث والتحقق، وهذا فهم خاطئ، فالتوجيه النبوي اشتمل على أفضل الطرق البرهانية وأشملها، فمع أمره بالاستعاذه بالله من هذا التسؤال، أمره بالانتهاء عن التفكير فيه؛ لاشتماله على مغالطة عقلية وخطإ ظاهر. (فإن النفس تطلب سبب كل حادث وأول كل شيء حتى تنتهي إلى الغاية والمنتهى... فإذا وصل العبد إلى غاية الغايات، ونهاية النهايات، وجب وقوفه، فإذا طلب بعد ذلك شيئًا آخر وجب أن ينتهي، فأمر النبي ﷺ العبد أن ينتهي مع استجارته بالله من وسواس التسلسل، كما يؤمر كل من حصّل نهاية المطلوب وغاية المراد أن ينتهي؛ إذ كل طالب ومريد فلا بد له من مطلوب ومراد ينتهي إليه، وإنما وجب انتهاؤه؛ لأنه من المعلوم بالعلم الضروري الفطري لكل من سلمت فطرته من بني آدم أنه سؤال فاسد، وأنه يمتنع أن يكون لخالق كل مخلوق خالق، فإنه لو كان له خالق لكان مخلوقًا.

ولم يكن خالقًا لكل مخلوق، بل يكون من جملة المخلوقات،

---

(1) فتح الباري، لابن حجر (١٣/ ٢٧٣).

(2) صحيح البخاري (٤/ ١٢٣)، كتاب: بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده، حديث رقم (٣٢٧٦).

والمخلوقات كلها لا بد لها من خالق، وهذا معلوم بالضرورة والفطرة، وإن لم يخطر ببال العبد قطع الدور والتسلسل؛ فإن وجود المخلوقات كلها بدون خالق معلوم الامتناع بالضرورة)[1].

* * *

(١) درء تعارض العقل والنقل (٣/ ٣١٤).

الشبهة الثانية:

قول النمرود: ﴿ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ ﴾

وهو ادعاء النمرود للربوبية، بحكم أنه يملكهم ويتصرف في أمورهم؛ فهو ربهم.

حيث يقول: ﴿ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ ﴾ (البقرة: ٢٥٨).

مضمون الشبهة:

ما دمت أنا الحاكم والسيد، والقادر على إنفاذ الأوامر، المتصرف في شؤونكم؛ فإذَنْ أنا الرب الذي يجب أن تخضعوا لطاعته، وتسلِّموا لحكمه.

الجواب على هذه الشبهة:

لما رأى الملك الطاغية (النمرود) آفاقَ ملكه، وقوة سلطانه، وجبروت أوامره؛ أُعجب بحاله واغترّ بما يملك، فادعى أنه الرب الذي يملكهم، المتكفل بهم وبما يصلح حالهم، الرقيب عليهم، الذي يملك القوة النافذة، والأمر المطاع.

فاستمال المحكومين؛ فمالوا لمن يُموِّلهم بالمال والرزق، وانساقوا وراءه طائعين منقادين لأوامره، مسلِّمين لنواهيه. حتى جاءهم إبراهيم عليه السلام يرشدهم إلى الصواب، ويدلهم على الإله الحق.

وهذه من أكبر الشبهات المشهورة عن ملك بابل الذي سجّل القرآن والتاريخ مقالته، ومقالة فرعون.

تلاشت هذه الشبهة في نهاية الحوار مع إبراهيم عليه السلام، وبهت الذي كفر وأُخرس لسانه. قال تعالىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (البقرة: ٢٥٨). وهذا الغرور النمرودي والفرعوني هو شبيه للغرور العلمي المعاصر الذي قادهم إلىٰ الإلحاد.

وشبهتهم: أنه بعد الاكتشافات والانفتاح العلمي والتقني العجيب؛ ثبت لهم أنه ليس هناك إله لهذا الكون، ولا دليل علمي علىٰ وجوده، ولا حاجة لوجوده أصلًا!

فلم يعد العالم برأيهم بحاجة إلىٰ الاتكاء علىٰ الوجود الإلهي، أو علىٰ فكرة الإله والدين والمعتقدات، والشعائر الدينية سواء كان مستندها سماويًا أم وثنيًا.

ومع توالي الإنجازات وتحقيق العديد من الكشوفات العلمية، اغتروا بما وصلوا إليه، واستشرىٰ داء العجب والغرور حتىٰ أنساهم خالقهم، وحدود إنسانيتهم، وجنحوا إلىٰ السخرية بالإله والأديان والمعتقدات الغيبية، حتىٰ وصلوا إلىٰ مقولة: (لقد مات الإله)، وأن العلم الحديث قد أصبح قادرًا علىٰ صنع المعجزات، وباستطاعته الإجابة عن كل الاستشكالات والسؤلات الفكرية التي تعرض للإنسان.

وهذه الشبهة المقيتة إذا اجتاحت النفسَ البشرية؛ دفعتها إلىٰ الاستغناء عن الوجود الإلهي، كما فعل النمرود، وكما يفعل الإلحاد الجديد بإعلان موت الإله، ورفض الأديان ووصمها بالأساطير والخرافات.

- ثم إنه لو استقبل الإنسان هذه المخترعات والمكتشفات بموضوعية واتزان؛ لزاد إيمانه بربه، وبمعرفة دلائل قدرته، وسعة ملكه، واستصغر نفسه أمام القدرة العليا الخارقة التي يعجز عن مضاهاتها.

بينما لو نحا منحىٰ الإعجاب بنفسه، وبما يقدمه العلم له؛ لجرفه تيار الغرور والاستغناء عن الله.

وإن هذه القرارات بسبب الطغيان بالعلم، والغرور بما توصلوا إليه: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴾ (العلق: ٦). وقد جاء الوصف القرآني للذين يفتنون بالعلم ويرفضون البينات من الدين، ويستغنون بالعلم عن الدين! قال تعالىٰ: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ (غافر: ٨٣).

ولو فكر الإنسان الجاحد بروية وحيادية ومنطقية، وقارن بين علمه الضئيل وبين ما هو جاهل به من العلم في كل مساحات الكون الواسع ومجالاته، وبين ما هو تحت قدرته وسيطرته، وما لا يملك له قدرة ولا سلطانًا:

- لأدرك بوعي واتزان أن للإنسان حدودًا معرفية لا يستطيع مجاوزتها، وقدرات لا يتعداها.

- وأن الإنسان خاضع بقدر إلىٰ سلطان القدرة العليا، وإلىٰ قوانين ونواميس كونية، من صناعة ربانية، لا سلطان لبشر عليها.

- وعند التأمل بحال الغرب الملحد، نجد أن هناك الكثير من الأمور التي لا حصر لها عجز العلم عن الإجابة عنها، والعديد من المشكلات والمعضلات البسيطة والمعقدة التي تفتك بالبشرية، ولم يجد لها العلم حلًا ولا جوابًا، ويعللون ذلك بأنه سيأتي العلم في قابل الزمان بحلول لها!

- وهذا دلالة علىٰ إخفاق العلم الذي يملك زمام الأمور - بزعمهم - في حل أبسط الأمور.

- ثم إن بلاد النمو العلمي الإلحادي أصبحت مراتع الانتحار الذين يلجؤون إليه كحل سلمي للصراع النفسي والاضطرابات في الحياة الغربية، أكبر دليل علىٰ عجز علمهم وإخفاقه في حل مشكلة «الانتحار»، وعلىٰ أن ذلك من نتائج ترك الدين ومعاكسة الفطرة.

- أن كون العلم لم يثبت وجود الله، هذا مخالفة للواقع ومصادمة للحقيقة، فإن العلم المعاصر بشتىٰ فروعه، يؤكد علىٰ الوجود الإلهي، ويزيد الاستشعار بالقدرة الربانية المسيطرة علىٰ نواميس الوجود.

فالعلم والدين مرتبطان، بل العلم يوافق الدين ويدعو إليه، ولا حقيقة لما يزعمون من تقديس للعلم، ونبذ للدين.

وأن الإنسان إذا سلمت آلات الاستقبال عنده من الهوىٰ والغرور، وكانت أكثر حيادية واتزانًا عند استقبال المكتشفات العلمية، فستكون خير دليل يدله علىٰ الخبير العليم الخالق الحكيم.

❊ ❊ ❊

الشبهة الثالثة:
سؤال النمرود عن صفات الرب سبحانه

وهي الاستفهام عن صفات الرب الذي يدعو إبراهيم عليه السلام إلىٰ عبادته.

مضمون الشبهة: من الرب الذي تزعم أنه الإله الحق؟! وما صفات ربك الذي تدعو إليه يا إبراهيم عليه السلام؟! ومن هذا الإله الذي يستحق العبادة وحده دون شريك وند؟!

إنه لا يوجد إله واحد توجّه له العبادة دون غيره! ويملك كل مقومات الإله، ويستطيع إدارة الكون بأكمله!

فكانت علامات التعجب والاستنكار لما جاء به إبراهيم عليه السلام؛ لأن أذهانهم السقيمة اعتادت علىٰ الشركية وتعدد الآلهة، فلم تقبل إفراد الآلهة في إله واحد.

وهذه الشبهة مستنبطة من قول إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾ (البقرة:٢٥٨)؛ توحي بأن الملك طلب من إبراهيم عليه السلام الدليل علىٰ ربه؛ فأجابه بهذا القول، وقد قرر المفسرون: أنها جواب لسؤال سابق غير مذكور تقديره: قول الملك لإبراهيم عليه السلام: من ربك؟[1].

---

(١) انظر: تفسير البغوي (١/ ٣٥١)، وزاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (١/ ٢٣٢)،=

الجواب علىٰ هذه الشبهة: ردّ إبراهيم عليه السلام علىٰ هذا الطاغية ردًا يردّه إلىٰ الحق، ويبصّره بحقيقة أمره، ويُبيّن له عجزه البشري الذي يمنعه من الربوبية، ويخوله للعبودية، ويقرر كذب دعواه الربوبية.

قال إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾ فقام إبراهيم عليه السلام بالتدليل علىٰ وجود الله بصفة من أدق صفات المولىٰ عز وجل، وهي صفة الإحياء والإماتة، التي يتصف بها الله - جل وعلا - وحده دون ما سواه، ولا يمكن لأحد أن يتصف بها.

وقد قصد إبراهيم عليه السلام أن يظهر قدرة الله عز وجل في خلق الحياة وإنشائها بعد أن لم تكن، وإيجادها بعد العدم، وفي سلب الحياة التي تحيا في أرواح الكائنات المختلفة من إنسان وحيوان ونبات وغيرهم، وموتها بعد أن كانت تنعم في الحياة.

فيتساءل المجادل: من الذي خلق الكائنات؟ من الذي جعل الحياة تدب في أحشاء الأمهات بأجنة يولدون؟ ومن الذي قبض الأرواح وأنهىٰ الآجال؟ ومن الذي يحيي ويميت في كل مجالات الحياة المتنوعة؟

إنه الله - سبحانه - المحيي المميت، وهذا الأمر قد عُلم بالفطرة والضرورة العقلية عند جميع الخلق، وذلك؛ بأن حدوث الحياة بعد عدمها، وعدمها بعد وجودها، دليل علىٰ أن هناك محدثًا فاعلًا مريدًا أحدثها وأعدمها بقدرته ومشيئته، وأنها لم تحدث بنفسها، ولا يمكن أن تحدث بنفسها وتفنىٰ

=والتفسير الكبير (٧/ ٢٢)، وتفسير ابن كثير (١/ ٦٨٦).

بنفسها، فثبت وجود رب عظيم قادر هو المحيي والمميت، وهو الذي يدعو الخليلُ إبراهيمُ ﷺ إلىٰ توحيده وعبادته.

وإن أمر الحياة والموت مشاهد في طبيعة الحياة كلها، ولكن حقيقة الحياة والموت مجهولة، تقف عندها كل القدرات المزعومة؛ لأنها سر من أسرار الكون التي لا يعلمها إلا الله: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء: ٨٥).

فالله وحده المالك لهذه الحقيقة التي تعجز عنها كل الطاقات البشرية لو اجتمعت، فكيف بملك ضعيف لا يملك أمر نفسه، فضلًا عن أمر غيره، ادعىٰ الربوبية الباطلة، فوقف عاجزًا أمام صفة واحدة للرب العظيم القادر الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، فهو المستحق للعبادة، ومن صفاته أنه يخلق ويوجد الحياة في الكائنات بعد عدمها، وهو الذي يخرج الأرواح من الأجسام، ولا يملك أيّ أحد أن يفعل ذلك، أو أن يعيد الحياة للجسد.

فبدّد إبراهيم ﷺ دعوىٰ النمرود بتقريره أن هذا العمل وهذه الصفة الفعلية ثابتة للرب المتفرد الذي لا يمكن لأحد أن يشاركه، بدعوىٰ مزيفة بأنه رب لكونه حاكمًا لقومه.

فما دام أن الله هو الإله الذي يملك هذه القدرة؛ فهو الأجدر بالانفراد في العبودية، وهو المستحق للخضوع والانقياد، وأن ينتهي الكافر الطاغي بعد معرفته للحق عما هو عليه من ضلال وإلحاد.

❊ ❊ ❊

الشبهة الرابعة:

قول فرعون: ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي ﴾

وهي نفي وجود الله بسبب عدم معرفته؛ فعدم علم فرعون بوجود إله بالمواصفات التي ذكرها موسىٰ ﷺ، جعله ينفىٰ وجود الإله؛ لأنه يشكل القوة المعرفية والسلطانية للقوم.

قال تعالىٰ: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي ﴾ (القصص: ٣٨).

مضمون الشبة:

أن الإله منتفي الوجود ما دام فرعون أقر بعدم العلم بوجوده، (والمراد بنفي علمه بذلك: نفي وجود إله غيره بطريق الكناية، يريهم أنه أحاط علمه بكل شيء حق، فلو كان ثمة إله غيره لعلمه، والمقصود بنفي وجود إله غيره: نفي وجود الإله الذي أثبته موسىٰ ﷺ، وهو خالق الجميع، وإلا فالقوم يعتقدون بالآلهة المتعددة، وفرعون هو مظهر الآلهة المزعومة وابنها)[1].

ثم نسب الألوهية لنفسه؛ لطغيانه وتمرده علىٰ قومه، واستخفافه لعقولهم ولسخافة أحلامهم، دعاهم إلىٰ ألوهيته وأنكر دعوىٰ موسىٰ ﷺ بألوهية رب

---

(١) التحرير والتنوير (٢٠/ ١٢١) (بتصرف يسير).

العالمين، فأجابه قومه طائعين مسلِّمين، كما قال تعالىٰ: ﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ (الزخرف: ٥٤).

الجواب علىٰ هذه الشبهة: أن هذه الشبهة اشتملت علىٰ مقدمتين، الأولىٰ: نفي إلهية غيره، واعتمد علىٰ هذه المقدمة بناءً علىٰ أن ما لا دليل عليه لا يجوز أن نثبته.

وهي - بلا شك - مقدمة كاذبة؛ لأننا لا نسلم أنه لا دليل علىٰ وجود الصانع، فدلائل الله مبثوثة في الأنفس والآفاق، فعدم العلم ليس علمًا بالعدم، فانتفاء العلم بوجود الشيء، ليس دليلًا علىٰ عدم وجوده وانتفائه، وقد اتخذ التعبير بعدم وجود الإله، بانتفاء العلم بوجوده، الذي يوَدّ منه التسليم بوجود ألوهيته وحده.

وقد دل علىٰ وجود الله: العقل والفطرة والحس، فحدوث الأشياء بعد عدمها دليل علىٰ أن مُوجِدًا أوجدها، فلا يمكن أن تُوجِدَ نفسها بنفسها، فثبت قطعًا أن هناك خالقًا أوجدها.

والمقدمة الثانية: إثبات إلهية نفسه، وأن إثبات ألوهيته علىٰ مَلَئِه ليس المقصود بها كونه خالقًا للسماوات والأرض وما بينهما؛ لأن العلم بامتناع ذلك من بدائه العقول، فلم يدّع أحد ذلك، بل إن مقصده: أن السلطة والقيادة علىٰ الناس لا تكون إلا له، وأن طاعته والانقياد لأوامره واجبة؛ فهو ملكهم وسيدهم، ومن هنا ادعاء ربوبيته عليهم.

وأن في كلامه ما يؤكد عدم ثقة في ألوهيته عليهم، وأنه من المحتمل وجود إله غيره يستحق العبودية له.

ويتبين ذلك من تصريحه في نفس تلك اللحظة بأنه شاك بكذب موسىٰ ﷺ غير متيقن من دعوىٰ وجود رب العالمين (إله غيره)، وذلك بقوله: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ (القصص: ٣٨) فإذا كان ظن أن موسىٰ ﷺ كاذبًا في إثبات إله غيره، ولم يتيقن من كذبه ويعلم علم اليقين بذلك؛ فهذا دليل إقرار غير مباشر أن ثمة إله غيره في الوجود، فما دام ظن أن موسىٰ ﷺ كاذبًا، فقد ظن أن في الوجود إلهًا غيره، بل إن الآيات علىٰ لسان موسىٰ ﷺ أخبرت أنه كان عالمًا بصحة دعوة موسىٰ ﷺ وليس ظنًّا، وذلك بقول موسىٰ ﷺ له: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (الإسراء: ١٠٢)[1].

وقد شابه قولَه كثيرٌ من الملاحدة المعاصرين الذين ينفون وجود الله بحجة عدم وجود الدليل علىٰ ذلك، فما لا دليل عليه؛ وجب نفيه!

ويزعمون أنهم بحثوا وسبروا وتحرّوا مواطن إمكان وجوده، ومع ذلك لم يجدوه؛ فوجب انتفاء وجوده!

وعلقوا وجوده علىٰ جانب حسي تجريبي، فإذا تحقق إثبات وجود الله عن طريق العلوم التجريبية المحسوسة؛ وجب إثباته.

فحصروا الدليل عليه، وأثبتوا نفيه وعدم وجوده، فكان فرعون أحسن حالًا منهم - مع تجبره وتكبره -، حيث شك في وجوده وقال: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ ولم ينف وجود الخالق جازماً كما فعل ملاحدة العصر النفاة.

إن المنكرين (يطلبون الدليل علىٰ ثبوت الشيء، فإذا لم يجدوه نفوه،

---

(١) انظر: التفسير الكبير (٢٤/ ٥٩٩).

ومعلوم أن عدم العلم ليس علما بالعدم، وعدم الوجدان لا يستلزم عدم الوجود)[1].

فإذا لم يتمكنوا من العلم به، لم يكن هذا حجة على عدم علم غيرهم به، بل هم كما قال الله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ (يونس: ٣٩)[2].

وقد ضل كثير من الملحدين بسبب الجحود والنكران، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (بنو آدم ضلالهم فيما جحدوه ونفوه بغير علم، أكثر من ضلالهم فيما أثبتوه وصدقوا به. قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ (يونس: ٣٩). وهذا؛ لأن الغالب على الآدميين صحة الحس والعقل، فإذا أثبتوا شيئًا وصدقوا به كان حقًّا)[3].

❊ ❊ ❊

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٦/ ٤٦٩).

(٢) انظر: الرد على المنطقيين (١٠٠).

(٣) مجموع الفتاوى (١٧/ ٣٣٦).

الفصل الرابع:

دحض شبهات الملحدين عن النبوة والأنبياء

ويشتمل على ثلاث شبهات:

- الشبهة الأولى: بشرية الرسل واحتقار قومهم لهم.
- الشبهة الثانية: بشرية الأنبياء والرسل.
- الشبهة الثالثة: وصف المعجزات بالسحر.

الشبهة الأولى:

بشرية الرسل واحتقار قومهم لهم

حيث قال تعالىٰ: ﴿ فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴾ (المؤمنون: ٤٧).

مضمون الشبهة:

أورد فرعون وملؤه على القوم هنا شبهتين، الأولىٰ: أن موسىٰ وهارون عليهما السلام مجرد بشرين! فكيف نؤمن لبشر مثلنا لا يختلفون عنا؟!

الثانية: أن قومهم خاضعون ذليلون لنا، ليس لهم حكم ولا سلطان، بل هم مسخَّرون لخدمتنا وتحت عبوديتنا.

في محاولة التهوين والاستهانة من موسىٰ وهارون عليهما السلام وما كان معهم من معجزات.

الجواب على هذه الشبهة: أن هذا طعن في نبوتهما ومصداق رسالتهما من جانبين، الجانب الأول: ذاتي: وهو أن الرسولين من البشر ولم يكونا من الملائكة.

والجانب الثاني: في المرجع الذين نشؤوا منه، والعشيرة التي ينتمون إليها، حيث كانوا ذليلين تحت سلطان فرعون وطغيانه، فكيف لنا أن نجعل

أمثال هؤلاء العبيد لنا هم وقومهم أسيادًا يَحكمون فيُطاعون؟!

وتساؤل المستنكر لبشرية الرسل دائمًا ما يتكرر من المكذبين للرسل، وما علموا أن البشرية هي المؤهلة لحمل الرسالة، وما كان لغيرها أن يحملها أو يقدر عليها أو يتمكن من إيصالها على الوجه الصحيح. بل إن من يورد هذه الشبهة؛ لم يقدر للإنسان مؤهلاته التي منحه الله إياها، قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (الأحزاب: ٧٢).

ويستنكر ويستعظم أن يرسل الله بشرًا؛ لأن نظرته محدودة تتعلق بالمظهر الخارجي للإنسان، على أن له دوافع وحاجات يحتاج إليها، من مأكل ومشرب، ونوم وقيام، وسعي في الأسواق: ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ (الفرقان: ٧). وقد قالها قوم نوح ﷺ من قبلهم: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً ﴾ (المؤمنون: ٢٤). وقد رددها كل الأقوام السابقة الكافرة المكذبة لرسل الله: ﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ۝ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴾ (المؤمنون: ٣٣ - ٣٤).

وتجاوزوا التكوين الروحي الجوهري في الخلقة البشرية، الذي جاء في الأصل بنفخ من الله ﷻ: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ (الحجر: ٢٩). والتكوين البشري الذي أعده الله منساق لأداء مهمة الرسالة على أكمل وجه، بل إن الله – سبحانه – يتولى إعداد رسله بشكل خاص لأداء المهمة، كما بيَّن ذلك في صناعته لموسى ﷺ، والعناية التي أحاطت به منذ ولادته إلى أن

تولىٰ البلاغ عن ربه، التي تجلت في قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴾ (طه: ٤١).
وقوله تعالىٰ: ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾ (طه: ٣٩).

والرعاية التي حفت نبينا الكريم: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾ (الضحىٰ: ٦ - ٨).

فمقتضىٰ البشرية التي يتصف بها الرسل مؤهّلة لتبليغ الرسالة، ولحكمة الاتباع والاقتداء، فالرسل يتصفون بكل صفات البشر، ويحتاجون لكل اللوازم الإنسانية من مأكل ومشرب وغيرها، ويعترضهم ما يعترض البشر من علل وعوارض وابتلاءات، واشتغال بالأعمال، وليس لهم شيء من خصائص الألوهية ولا شيء من نسبتهم إلىٰ الملائكية؛ لأن كونهم بشرًا أقدر وأيسر علىٰ اتباع القوم لهم، وحتىٰ لا يلتبس الأمر علىٰ الناس، كما قال تعالىٰ: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ (الأنعام: ٨ - ٩).

والبشر عادة يتفاوتون في القدرات والإمكانات، ولكن الرسل امتازوا بالكمال البشري من جميع النواحي، من الكمال الخَلقي، كما قال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾ (الأحزاب: ٦٩). والكمال الخُلقي، بثناء الله عليهم في آيات كثيرة، كما في قوله تعالىٰ عن موسىٰ ﷺ: ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾ (القصص: ٢٦). وخيرهم نسبًا، فليسوا عبيدًا ولا أرقاء، عبوديتهم خالصة لله تعالىٰ لا شريك له[1].

---

(١) انظر: الرسل والرسالات، د. عمر الأشقر (٦٣ - ٧٩).

وقد جاء رد الرسل مفحِمًا لهذه الشبهة بطريقة منطقية مقنعة، وقد سرد القرآن في كيفية إفحام المعاند بطريقة منظمة يسيرة مُلزمة للمخالف بالتصديق، كما يظهر في قوله تعالىٰ: ﴿ قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (إبراهيم: ١٠ - ١١). قامت الرسل بمجاراة قول الخصم والتسليم لهم في بعض مقدماته، حتىٰ يرىٰ موضع تعثره، وأن الشبهة التي يتمسك بها كدليل قوي علىٰ كفره، هي في الحقيقة ليست دليلًا، بل هي دلالة علىٰ صدق قول الداعي، وقد سلَّموا بقولهم: ﴿ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾، وهذه شبهة يبنىٰ عليها كل كفر كفره معاند، وهي اعتراف أمامهم ظاهره التسليم بشبهتهم، وأن بشريتهم هي انتفاء نبوتهم، ولكنهم سلَّموا بالدليل دون الدلالة، وذلك بالتعقيب مباشرة بقول قوي ينقض عليهم نتائج قولهم، ويبطل دعواهم بالحجة والبرهان بقولهم: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾. ومقتضاه أن البشرية لا تنافي الرسالة، وأن كوننا بشرًا حقّ لا ننكره، ولكن لا يمنع من امتنان الله علينا بالنبوة والرسالة[1].

وإن بشرية الرسل هي سنة قد قضاها الله لخلقه، وهو أعلم سبحانه بمصالح عباده، قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ۝ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾ (الإسراء: ٩٤ - ٩٥).

---

(١) انظر: منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد، حسن عثمان (١/ ٣٩٠ - ٤٠٨).

الشبهة الثانية:

بشرية الأنبياء والرسل

حيث قالوا أن الذي جاء بخبر المعاد والبعث والنشور يوم القيامة هو رجل من جنس البشر؛ فمن أين له هذا الخبر؟ وكيف حصل عليه؟ وكيف توصل إلىٰ الله - إن كان يزعم أنه خبر من عند الله -؟ وهل هو يعلم الغيب؟

مضمون الشبهة:

التشكيك في نبوة الرسل التي جاءت بخبر البعث في اليوم الآخر، وعدم إمكانية وصول الوحي إليهم من الله، أو معرفة شيء من علم الغيب.

الجواب علىٰ هذه الشبهة: هذا التوهم يقدح في مصداقية نزول الوحي علىٰ بشر، ودلائل النبوة، فالطعن في المصدر تكذيب لكل الأخبار المنقولة عنه، قال تعالىٰ: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (المؤمنون:٣٧ - ٣٨).

فبعد رمْيهم للرّسل بالكذب؛ استبعدوا إمكانية البعث، وأرسلوا الشبهة تطعن في صحة دلائل نبوة من أخبر بالبعث.

وفي الآية الكريمة التالية يصف قولهم، في قوله تعالىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ (سبأ: ٧).

ولم يكتفوا بالاتهام بالتكذيب، بل طالبوا بمطالب التصديق في أنه رسول من عند الله، لكي يصدقوا في أن ما جاء به من خبر البعث والنشور حق لا مرية فيه! فقالوا: ﴿ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَـٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴾ (سبأ:٨).

كل هذا تحايل وكيد حتىٰ يكفروا باليوم الآخر، وتطمئن قلوبهم وتستكين إلىٰ الباطل دون خوف أو وجَل، فيعمل ما يشاء دون حساب، أو رقيب، أو جزاء.

ثم طالبوا بأن تكون أخبار الغيب تأتي عن طريق الملائكة ليصدقوا بها، أو يروا الله ﷻ، فذكر الله تعالىٰ مقالتهم، في قوله تعالىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴾ (الفرقان:٢١). والمنكرون للنبوات في هذا العصر من الملاحدة كثير، وهم الذين يؤمنون بوجود الإله، ولكن ينكرون تواصل هذا الإله مع الخلق، بطريق الرسل والرسالات، فيؤمنون بالله ويرفضون الدين، وهم طائفة الربوبيين المعاصرين، ومقصدهم من إنكار الديانات هو: إنكار البعث والحساب في اليوم الآخر، فتتلاشىٰ في حياتهم كل العبادات والأوامر والنواهي الشرعية.

ويناقش أمثال هؤلاء بتذكيرهم بإجماع الرسل والمرسلين(١) الذين

---

(١) أول الرسل نوح ﷺ قال لقومه: ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾ (نوح: ١٧ - ١٨)، وأبو الأنبياء الخليل ﷺ يدعو الله فيقول: ﴿ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ۝ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ (الشعراء: ٨١ - ٨٢)، وموسىٰ

يستحيل تواطؤهم علىٰ الكذب في الخبر الواحد، وهذا رادع لهذه الشبهات والتوهمات، التي تصُدّ عن الإيمان باليوم الآخر والتصديق به، ثم إن حقيقة وقوعه وعد من الله واقع لا محالة، قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴾ (المرسلات: ٧).

وأن الرسل الذين يرسلهم الله ويؤيدهم بالمعجزات الباهرات، والبراهين القاطعات، نقلوا هذا الخبر إلىٰ أممهم، كما ينقل الخبر الرجل الواحد الصادق، فلا مجال إلا للتصديق واليقين، بمصداقية الرسول وسلامة دعواه، واستحالة الكذب علىٰ الله جل في علاه، ثم إن الله ﷻ يصطفي من رسله من يشاء ويختار، ويعضدهم بالمعجزات المناسبة لأقوامهم؛ ليقيم الحجة عليهم، والأنبياء لا تأتي بما تستحيل العقول وقوعه، وإنما تأتي بمحارات العقول.

فما دام أن العقل يقبله ولا يستحيله؛ فيجب قبوله وعدم نفيه بحجة أنه خروج عن المألوف والعادة، وهذا كما إذا جاء رجل لم نعهد عليه إلا الصدق والأمانة، وأخبرنا أن هناك يومًا يُبعث فيه الناس من قبورهم للحساب والجزاء، فيوجب العقلُ تصديقَه، فكيف لو كان مؤيدًا بالمعجزات والبراهين الدالة علىٰ صحة الإخبار الغيب التي نقلها من عند الله ﷻ؟!

ونلحظ مما سبق أن شبهات المنكرين لليوم الآخر ليس لها مرتكز يدلل علىٰ حجية رفضهم للإيمان بالبعث والحياة الآخرة، وإنما جاءت تلك

= ﷺ يخاطبه الله جل في علاه، في قوله تعالىٰ: ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴾ (طه: ١٦). فجميع رسل الله أجمعوا علىٰ حقيقة وجود اليوم الآخر والبعث والنشور.

الشبهات؛ نتيجة للجهل المركب والمطبق عليهم من كل النواحي، وهي:

١ - الجهل بالرب الخالق الحكيم القادر وصفاته - سبحانه -، هذا الجهل جعلهم قاصري التصور لمدى القدرة الإلهية العظيمة التي لا يعجزها شيء.

٢ - الجهل بكمال الأمر والإرادة الربانية التي تتجلى في كلمة: (كن فيكون).

٣ - الجهل بالغاية والحكمة من خلق الكون والإنسان في هذه الأرض، وأن العبث واللهو مقدّم على أن يكون هناك هدف وغاية لخلق البشرية.

فهذا ناتج عن قصور في عقولهم، وضحالة في تفكيرهم، وسقامة في أذهانهم، فاستبعدوا حدوث البعث في العقول، وقالوا باستحالته في الواقع!

وقد يكون هذا نابعًا عن خوف من الالتزام بالتعاليم الربانية؛ بغية الانطلاق إلى الفساد والفجور دون رادع ضمير حي.

ثم إن العقول المستقيمة لا تستطيع أن تعلم شيئًا من علم الغيب، ولا سبيل إلى معرفته إلا عن طريق الرسل المؤيدة بالمعجزات، التي جاءت بالأخبار الصادقة اليقينية التي لا تقبل الشك أو الريب، مبشرة بحياة أخروية يكافأ فيها المحسن وينعم، ويحاسب فيها المسيء ويعاقب. وقد قررت الأدلة والبراهين التي ناقشت شبهاتهم شمولية العلم الإلهي، وعظمة قدرته، وكمال حكمته جل في علاه.

وبهذه الاستدلالات العقلية المتنوعة المستوحاة من داخل النفس والكون، دلت عليها الفطر السليمة، والعقول الرشيدة؛ نلحظ أنها لم تترك أدنى شبهة

من شبهات الدهرية إلا فنّدتها بالأدلة الرصينة والبراهين الحكيمة، وبأساليب شتىٰ، وطرق متنوعة، تلفت أولي الألباب والبصائر إلىٰ الاعتقاد الحق، الذي لا يكابر ويصد عنه إلا جاحد معاند، مثلته الآية الكريمة في قوله تعالىٰ: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ (النمل: ١٤).

❊ ❊ ❊

الشبهة الثالثة:

وصف المعجزات بالسحر

حيث قالوا إن معجزات الأنبياء هي من جنس سحر السحرة، يستخدمون السحر لإخراج الناس من أرضهم وتكون لهم السيادة في الأمر.

ومن ذلك: قول فرعون - كما قال تعالىٰ -: ﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ۝ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ (الشعراء: ٣٤ - ٣٥).

مضمون الشبهة:

أن معجزات موسىٰ ﷺ التي جاء بها هي من قبيل سحر السحرة، يريد بها الرياسة عليكم وإخراجكم من أرضكم وموطنكم، وتكون الكبرياء له ولبني إسرائيل من دونكم.

وقد قالها الملأ من بعده: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ۝ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ (الأعراف: ١٠٩ - ١١٠)، وقوله تعالىٰ: ﴿ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴾ (طه: ٦٣).

وقالها القوم من بعدهم: ﴿ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ (غافر: ٢٤). وجميعهم

تلقفها من فرعون - كما قال الله عنه -: ﴿ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ (الذاريات: ٣٩).

الجواب على هذه الشبهة: أن هذه الشبهة تلاشى غبارها بعد اجتماع موسى وهارون عليهما السلام مع السحرة في المبارزة في يوم الزينة، وكان لإيمان السحرة الخبيرين بالسحر أكبر دليل على أن ما جاء به موسى عليه السلام ليس من جنس السحر، بل هو خارج عن نطاق السحرة وإمكانيات أعلم ساحر، وإنما هي مؤيدة من قدرة عليا ليس لأحد سلطان عليها، فخروا لله ساجدين.

قال تعالى: ﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ۝ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ۝ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ (الأعراف: ١١٨ - ١٢٢) ولكن - مع ذلك - النفوس الكافرة المستعصية المتكبرة عن الانقياد للحق - إذا ظهر -؛ أبتْ واستكبرت عن التصديق.

وهذه الشبهة مندرجة منذ القديم في جميع الأمم، يرمي بها المكذبون للحق رسل البشرية. فقوم ثمود يقولون لنبي الله صالح عليه السلام: ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴾ (الشعراء: ١٥٣).

وقوم عيسى عليه السلام بعد أن جاءتهم الآيات البينات: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (الصف: ٦).

وهي تهمة قذف بها رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴾ (يونس: ٢). وبعد مجيء الآيات البينات على صدقه: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (الأحقاف: ٧).

ولا عجب من هذا التواطؤ على الإنكار والتوافق في إصدار الأحكام،

فالكفر ملة واحدة.

وتارة قالوا بأنه رجل مسحور: ﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ (الفرقان: ٨).

وقد التبس لدىٰ طائفة من الناس بين هذه المقولة وحادثة سحر النبي ﷺ التي وردت في الصحيحين: عن عائشة قالت: سحر النبي ﷺ، حتىٰ كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله، حتىٰ كان ذات يوم دعا ودعا، ثم قال: «أشعرت أن الله أفتاني فيما فيه شفائي، أتاني رجلان: فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، فقال أحدهما للآخر: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب، قال: ومن طبه؟ قال لبيد بن الأعصم، قال: فيما ذا؟ قال: في مشط ومشاقة وجف طلعة ذكر، قال فأين هو؟ قال: في بئر ذروان»؛ فخرج إليها النبي ﷺ، ثم رجع، فقال لعائشة حين رجع: «نخلها كأنه رءوس الشياطين»، فقلت: استخرجته؟ فقال: «لا، أما أنا فقد شفاني الله، وخشيت أن يثير ذلك علىٰ الناس شرا» ثم دفنت البئر[1].

ومضمون شبهتهم:

أن النبي ﷺ ما دام أنه تعرض لسحر - وقد صحت الروايات في نقل ذلك -؛ فهذا يطعن في مقام النبوة وما جاء به من تشريعات وأحكام، فقد يخيل إليه أنه رأىٰ جبريل ﷺ وهو لم يره، وأنه يوحىٰ إليه ولم يوح إليه في

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الطب، باب: هل يستخرج السحر، (٧/ ١٣٧)، حديث رقم (٥٧٦٥). وفي باب: السحر (٧/ ١٣٨)، حديث رقم (٥٧٦٦). وكتاب: بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده (٤/ ١٢٢)، حديث رقم (٣٢٦٨).

الحقيقة. فبالتالي يُحكِّم العقل ويرفض الحديث؛ لأنه ينافي العصمة ويطعن في منصب النبوة ويشكك فيها.

فمال قوم إلىٰ التشكيك في رواية الحديث وتضعيفه، والحديث ثابت في الصحيحين؛ فلا يرد.

الرد عليهم: أن هذا القول باطل؛ لما يلي:

- أن النبي ﷺ معصوم في تبليغه عن ربه، قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (النجم: ٣ - ٤).

- أن الآية نزلت في مكة، وأن ما تعرض له النبي ﷺ من السحر كان بعد الهجرة إلىٰ المدينة بعد صلح الحديبية، فكان الاتهام سابقًا.

- أن ما تعرض له النبي ﷺ من سحر، يعتبر مرضًا من الأمراض وعارضًا من العوارض، وأن الأنبياء بشر فتعرض لهم العوارض الجسدية كغيرهم، وهي لا تقدح في نبوته ولا تخل في رسالته ولا في تبليغه للوحي، وأن عصمة الله لنبيه إنما هي في تبليغه رسالته، وليست العوارض والعلل التي تعرض للأبدان البشرية ثم تزول[1].

- أن السحر إنما تسلط علىٰ ظاهره وجوارحه، لا علىٰ قلبه واعتقاده وعقله، ومعنىٰ الآية عصمة القلب والإيمان، دون عصمة الجسد عما يرد عليه من الحوادث الدنيوية.

- ويتضح من ذلك أن جملة: (أنه كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما

---

(١) انظر: المعلم بفوائد مسلم، المازري (٢/ ٣٥٦)، وعمدة القاري، العيني (٢١/ ٢٨٣)، وحاشية السندي علىٰ سنن النسائي، السندي (٢/ ٣٦٤).

يفعله) المقصود بها: أن السحر أثر على النبي تأثيرا ظاهريًا بدنيًا، وليس تأثيرًا عقليًا يتصور الشيء على غير حقيقته.

- (أن النبي ﷺ معصوم من الكذب ومن تغير شيء من الأحكام الشرعية في حال صحته وحال مرضه، ومعصوم من ترك بيان ما أمر ببيانه وتبليغ ما أوجب الله عليه تبليغه، وليس معصوما من الأمراض والأسقام العارضة للأجسام ونحوها مما لا نقص فيه لمنزلته ولا فساد لما تمهد من شريعته)[1].

- (لم يغير عليه شيئًا من الوحي، ولم يداخله شيء في أمر الشريعة بسببه، وإنما شيء اعتراه وأثر على ظاهره، فأصابه شيء من التخيل والوهم، ثم لم يتركه الله تعالى على ذلك، بل تداركه بعصمته، وأعلمه موضع السحر، وعلمه استخراجه، وحله منه، ودفع أثره وأذهبه، ولهذا لم يعاقب الذي فعله ﷺ)[2].

- وثبوت الحديث عند البخاري ومسلم في صحيحهما وعند أهل العلم يعني: أن الحديث في أعلى درجات الحديث الصحيح، وقد ثبت عند الإمام أحمد وابن ماجه وابن حبان، فهو بلا شك حديث ثابت صحيح.

- وقد أجاب علماء الحديث وشراحه على ذلك[3].

***

(١) شرح محمد فؤاد عبد الباقي على صحيح مسلم (٣/ ١٢٥٨).

(٢) تعليق صحيح البخاري (٤/ ١٠١).

(٣) انظر: فتح الباري، لابن حجر (١٠/ ٢٢٦). تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة (٢٦٠)، وزاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم (٤/ ١١٥).

الفصل الخامس:

دحض شبهات الملحدين عن اليوم الآخر

ويشتمل على مبحثين:

- المبحث الأول: بيان منهج القرآن الكريم في دحض شبهات الدهرية.
- المبحث الثاني: شبهات المنكرين لليوم الآخر والرد عليها.

الفصل الخامس:
دحض شبهات الملحدين عن اليوم الآخر

قد جاءت الآيات القرآنية والسنة النبوية شاهدة علىٰ حقيقة المعاد الأخروي والبعث الجزائي للخليقة بعد موتهم في مواضع كثيرة، وأنه واقع لا محالة، وقد دلت عليه الدلائل الواضحة والأخبار الصادقة، ووصفت النصوص أحواله وأهواله مستوفية وملزمة للإيمان بحقيقة البعث، ثم إن قضية التكذيب بالبعث من أكبر القضايا إنكارًا في البشرية، فأصبحت المحور الأكثر مناقشةً في القرآن، قد ساقت الآيات دلائلَ وبراهين بتأصيل ويقين لإثبات حتمية البعث يوم القيامة، وجاءت الأمثال المضروبة والأقيسة الصريحة تفنّد حجج المنكرين بالحجة والبرهان.

وعضد العقل الصريح والفطرة السليمة ذلك بإمكان وقوعه وعدم امتناعه عقلًا، ولا دليل ولا صحة لما يزعمه الملحدون من أن العقول تستحيل إمكانية البعث والمعاد، فالعقول لا تنفي إمكانه، بل توجب وقوعه بدلالة ملزمة لضرورة الجزاء الأخروي ومحاسبة المحسن علىٰ إحسانه، والمسيء علىٰ إساءته.

ثم إن رسل البشرية جميعَهم متفقون علىٰ الإخبار باليوم الآخر،

والعقائد التي جاءت بها الرسل لا تخبر بمُحَالات العقول بل بمُحَاراتها، فما أخبرت به الرسل لا يعلم امتناعه عقلًا، ولكن قد تحار العقول في كيفية وقوعه؛ لأنه ليس مما تحيط بها، ولا مما وقع مثيله في حسها.

(فالرسل - صلوات الله عليهم - تخبر بمحارات العقول، وما لا تعرفه العقول، أو ما تعجز عن معرفته، فما علم العقل إمكانه ولم يعلم «هل يكون أم لا يكون؟» تخبر الرسل بوقوعه أم عدم وقوعه، وما لم يعلم العقل إمكانه تخبر الرسل أيضًا إمّا بإمكانه، وإمّا بوقوعه المستلزم إمكانه. ولكن لا تخبر الرسل بوجوده ولا إمكانه، وما علم عدمه لا تخبر بوجوده، فلا تأتي الرسل - صلوات الله عليهم - بما يعلم نقيضه، ولكن قد تأتي بما لم يكن يعلم، كما قال تعالى: ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ١٥١))[١].

وهناك وقائع وإشارات تقتضي: ألا يكون الإنسان والكون في شكلهما الحالي أبديّيْن، وأن أبديتهما مستحيلة، وأن حتمية الموت والزوال واقعة لا محالة، فتقرر في الفطر أن هناك حياة أخرى، وليست هذه الحياة هي الأبدية التي لا حياة بعدها، وقد تخبط العقل البشري الحديث في مسألة الحياة بعد الموت، وتردد على الأذهان كثيرًا، هل هناك حياة بعد الموت؟ ثم استطرد العقل الملحد قائلًا:[٢] (أن لا حياة بعد الموت؛ لأن الحياة التي أعرفها لا توجد إلا في ظروف معينة من تركيب العناصر المادية، وهذا التركيب

---

(١) شرح العقيدة الأصبهانية (١٠٢ - ١٠٣).

(٢) انظر: الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان (٨٣).

الكيماوي لا يوجد بعد الموت، إذن: فلا حياة بعد الموت)[1].

وإن ضرورة الحاجة إلىٰ الحياة الآخرة، غريزة إنسانية في الطبيعة البشرية، تميل إلىٰ تبنيها الفطر، وتطمئن لها القلوب، ويذكر أحد الفلاسفة: (أن عقيدة الحياة بعد الموت «لا أدرية مفرحة cheerful agnosticism»، ومن الممكن اعتبار هذا القول خلاصة أفكار الفلاسفة الملحدين المعاصرين، فهم يرون أن عقيدة الآخرة اخترعتها عقلية الإنسان الباحثة عن عالم حر، مستقل عن حدود هذا العالم، وعن مشكلاته، مليء بالأفراح، وإنما يدفعه إلىٰ الإيمان بهذه العقيدة أمله في الحصول علىٰ حياته المفضلة، التي لا جهد فيها ولا كدح.

وإن هذه العقيدة تنتهي بالإنسان إلىٰ عالم مثالي وخيالي، حيث يحلم بأنه سوف يظفر به حتىٰ الموت، ولكن الحقيقة - كما يراها الفلاسفة -: أن لا وجود لشيء كهذا العالم الثاني في الأمر الواقع!

وفي الحقيقة: إن هذا المطلب الإنساني «دليل نفسي» قوي علىٰ وجود عالم آخر، كالظمأ، فهو يدل علىٰ الماء، وعلىٰ علاقة خاصة باطنة بين الماء وبين الإنسان، وهكذا فإن تطلع الإنسان نفسيًا إلىٰ عالم آخر دليل في ذاته علىٰ أن شيئًا مثل ذلك موجود في الحقيقة، أو أنه علىٰ الأقل خليق بأن يوجد، وهذا المطلب النفسي يؤكد علاقة مصيرنا بهذه الحقيقة، ويدلنا التاريخ علىٰ وجود هذه الغريزة الإنسانية منذ أقدم العصور، علىٰ مستوىٰ إنساني... كيف يمكن أن يؤثر أمر باطل علىٰ البشر في هذا الشكل الأبدي، وعلىٰ مستوىٰ إنساني؟

---

(١) الإسلام يتحدىٰ، وحيد الدين خان (٨٣).

وهذا الواقع نفسه يدلنا على قرينة قوية بإمكان وجود العالم الآخر، وإنكار هذه الحاجة النفسية بدون أدلة يعتبر جهالة وتعصبًا.

إن الذين ينكرون حاجة نفسية عظيمة مثل هذه، زاعمين أنها باطلة، هم من أعجز الناس حقًا عن تفهم أي «واقع» على سطح الأرض بعد هذا، ولو كانوا يزعمون الفهم في الواقع؛ فلا أدري بأي دليل؟ وعن أي برهان؟

ولو كانت هذه الأفكار نتاج المجتمع - كما يزعمون -؛ فكيف لا يزال تطابق التفكير الإنساني بهذه الصورة المدهشة منذ أقدم العصور؟ هل تجدون مثالًا لأي أفكار إنسانية أخرى ظلت باقية إلى العصر الحاضر، وبهذا التسلسل الرائع منذ ألوف السنين؟ هل يستطيع أذكى أذكيائكم أن يخترع فكرًا واهيًا، ثم يدخله إلى النفس الإنسانية، وكأنه موجود بها منذ الأزل؟)[1].

ومع هذه الضرورة النفسية والدلالة التاريخية، يسوق الله - جل وعلا - الأدلة العقلية لدحض الفكر الإلحادي المنكر لقضية البعث ببراهين مقنعة وأقيسة صريحة، وأمثال مضروبة، واستدلالات منطقية خالية من التعقيد الأرسطي، والفلسفة الأفلاطونية، **ومن المسالك العقلية في القرآن الكريم لمحاجة المنكرين لله وللمعاد يوم القيامة ما يلي:**

❊❊❊

---

(١) الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان (٩١ - ٩٢) (بتصرف يسير).

المبحث الأول:

بيان منهج القرآن الكريم في دحض شبهات الدهرية

- الاستدلال بدلالة السبر والتقسيم[1].

لما كانت الدهرية منهم ملاحدة منكرون للخالق مثبتون للمخلوق، جاحدون للرب مثبتون للمربوب، نافون للصانع مثبتون للمصنوع، وكان كثير منهم يتبجح بهذا الإنكار والإلحاد من ملاحدة العصر من دهريين، وماديين، وداروننيين، وطبعيين، ولا دينيين، وعقلانيين، ووجوديين، وكل منهم اتخذ سياسة الإنكار للوجود الإلهي منهجًا له في حياته، نعرض لدليل واحد في القرآن الكريم يدحض إنكارهم، ويزلزل بناءهم المعرفي الخاوي، ويهز الوجدان، بجمال البيان، وبإيجاز الكلمات، وتعجز الألباب المتكبرة عن ردّه، فليس ثَمَّ إلا التسليم والانقياد أو التكبر والضلال.

---

(١) معناه لغة: الاختبار، والسبر والتقسيم من الطرق العقلية المستخدمة في القرآن، فأولًا: يحصر الأوصاف والأقسام، وهذا هو التقسيم. ثانيًا: يعمل على اختبارها وتمحيصها ومعرفة حكم كل نوع منها؛ ليبطل الباطل منها ويحقق الحق، وهذا هو السبر. انظر: البحر المحيط في أصول الفقه، للزركشي (٧/ ٢٨٢ - ٢٨٤).

قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (الطور: ٣٥).

أن الأمر لا يخلو من أحد هذه الأمور، تقسم ثم تختبر الأصناف لإبطال القسمة الباطلة وإبقاء الصحيحة منها.

هناك فروض يرجع فرض واحد إلى الأصل لهذا الوجود الكوني:

الأول: أن يكون الوجود الإنساني خُلِق من غير خالق، أي: من العدم!

الثاني: أن يكون الإنسان أوجد نفسه بنفسه!

الثالث: أن يكون ثمة خالق موجد أوجدهم واجب الوجود بنفسه.

فأما أن يكون الوجود وجد من عدم، فهذا باطل بالبداهة العقلية؛ لاستحالة صدور الوجود من عدم؛ لأن العدم يعني عدم الوجود، فلا يوجد عدم الوجود وجودا، والقول بهذا الفرض يستلزم التناقض، وهو كون الشيء موجودًا ومعدومًا، وهما نقيضان، والنقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان.

وأما الفرض الثاني - وهو كونهم خلقوا أنفسهم بأنفسهم -، فهذا باطل؛ لأنه يلزم منه الدور[1]؛ لأنهم إذا كانوا هم الخالقين لأنفسهم يلزم وجودهم قبل خلقهم؛ إذ لا يمكن للوجود أن يصدر من العدم، والعدم هو عدم الوجود، والوجود عدم العدم.

وبهذا يبطل الفرض الأول والثاني ويستحيل حدوثهما، يبقى الفرض

---

(١) الدَّور: هُوَ توقف كل وَاحِد من الشَّيْئَيْنِ على الآخر. الكليات، الكفوي (٤٤٧). قال الجرجاني: الدور: هو توقف الشيء على ما يتوقف عليه، ويسمى: الدور المصرح، كما يتوقف «أ» على «ب»، وبالعكس، أو بمراتب، ويسمى: الدور المضمر، كما يتوقف «أ» على «ب»، و«ب» على «ج»، و«ج» على «أ». التعريفات، الجرجاني (١٠٥).

الثالث - وهو وجود خالق خلقهم وأوجدهم بعد عدمهم -، وهو الفرض الصحيح الذي يجسد الحقيقة بلا شك ولا جدال ولا مراء في وجود واجب الوجود، الخالق، الغني بذاته عن غيره"[1].

(إن هذا تقسيم حاصر، ذكره الله بصيغة استفهام الإنكار؛ ليبين أن هذه المقدمات معلومة بالضرورة لا يمكن جحدها، يقول: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾، أي: من غير خالق خلقهم، أم هم خلقوا أنفسهم؟! وهم يعلمون أن كلا النقيضين باطل، فتعين أن لهم خالقًا خلقهم.

وهنا طرق كثيرة، مثل أن يقال: الوجود إما قديم وإما محدث، والمحدث لا بد له من قديم، والموجود إما واجب وإما ممكن، والممكن لا بد له من واجب ونحو ذلك. وعلىٰ كل تقدير؛ فقد لزم أن الوجود فيه موجود قديم واجب بنفسه، وموجود ممكن محدث كائن بعد أن لم يكن)[2].

ثم إن وجود الله ﷻ من البدهيات الأولية، ومن نوازع الفطرة السوية والمسلمات العقلية، فلا يشكك في وجوده ولا يطالب بالدليل إلا من لبس عليه إبليس فغوىٰ عن الطريق المستقيم، وكابر بعد قيام الحجة والدليل، وبيانه ووضوحه كالشمس في وضح النهار، وكل ما في الوجود ناطق وشاهد لوجود الرب الخالق الصانع الحكيم الذي ينفرد بالوحدانية والربوبية سبحانه.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ (١٨/ ٢٣٦). ومجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية - رشيد رضا (٤/ ٧٧ - ١٩١)، وشرح العقيدة الأصبهانية (٥٢)، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ٤٩٤).

(٢) شرح حديث النزول (٢٨).

والضرورة العقلية تسلم بذلك، يقول ابن تيمية: (أنه قد عُلم بضرورة العقل أنه لا بد من موجود قديم غني عما سواه؛ إذ نحن نشاهد حدوث المحدثات كالحيوان والمعدن والنبات، والحادث ممكن ليس بواجب ولا ممتنع، وقد عُلم بالاضطرار أن المحدَث لا بد له من محدِث، والممكن لا بد له من واجب)[1].

ثم قرر أن الذي عليه إجماع الأمة أن المعدوم ليس بشيء، فقال: (الذي عليه أهل السنة والجماعة وعامة عقلاء بني آدم من جميع الأصناف: أن المعدوم ليس في نفسه شيء وأن ثبوته ووجوده وحصوله شيء واحد، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع القديم، قال الله تعالى لزكريا: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ (مريم: ٩). فأخبر أنه لم يك شيئًا. وقال تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ (مريم: ٦٧). وقال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (الطور: ٣٥).

فأنكر عليهم اعتقاد أن يكونوا خلقوا من غير شيء خلقهم أو خلقوا هم أنفسهم، ولهذا؛ قال: جبير بن مطعم: لما سمعت رسول الله ﷺ قرأ هذه السورة أحسست بفؤادي قد انصدع[2]. ولو كان المعدوم شيئًا لم يتم الإنكار،

---

(١) التدمرية (٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ١٤٠). كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ (ق:٣٩) حديث رقم (٤٨٥٤). وفي رواية للبخاري: عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه رضي الله عنه، قال: «سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾ (الطور:٣٦-٣٧)» قال: كاد قلبي أن يطير.

إذا جاز أن يقال: ما خلقوا إلا من شيء، لكن هو معدوم يكون الخالق لهم شيئًا معدومًا)[1].

وقد رد ابن الجوزي علىٰ منكري الربوبية من الدهرية، فقال: (قد أوهم إبليس خلقًا كثيرًا أنه لا إله ولا صانع، وأن هذه الأشياء كانت بلا مكون، وهؤلاء لما لم يدركوا الصانع بالحس ولم يستعملوا فِي معرفته العقل جحدوه، وهل يشك ذو عقل فِي وجود صانع؟

فَإِن الإنسان لو مر بقاع ليس فيه بنيان ثم عاد فرأىٰ حائطًا مبنيًا، علم أنه لا بد لَهُ من بان بناه فهذا المهاد الموضوع، وهذا السقف المرفوع، وهذه الأبنية العجيبة، والقوانين الجارية عَلَىٰ وجه الحكمة؛ أما تدل عَلَىٰ صانع؟ وما أحسن مَا قَالَ بعض العرب: إن البعرة تدل عَلَىٰ البعير، فهيكل علوي بهذه اللطافة، ومركز سفلي بهذه الكثافة، أما يدلان عَلَىٰ اللطيف الخبير؟ ثم لو تأمل الإنسان نفسَه؛ لكفَتْ دليلًا ولشفَتْ غليلًا؛ فَإِن فِي هَذَا الجسد من الحكم مَا لا يسع ذكره فِي كتاب)[2].

ومما لا شك فيه: أن الفطرة والعقل والشرع تدل دلالة واضحة علىٰ الصانع، بل تلزم الدهرية المنكرين بإثبات إله واجب الوجود بذاته، وقد ساق شيخ الإسلام ابن تيمية مقالتهم وفنَّدها بدليل العقل، فقال: (فإن قال: أنا لا أثبت شيئًا، بل أنكر وجود الواجب. قيل له: معلوم بصريح العقل أن الموجود إما واجب بنفسه، وإما غير واجب بنفسه، وإما قديم أزلي، وإما

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية - رشيد رضا (٤/ ١٤).

(٢) تلبيس إبليس (٤٠).

حادث كائن بعد أن لم يكن، وإما مخلوق مفتقر إلىٰ خالق، وإما غير مخلوق ولا مفتقر إلىٰ خالق، وإما فقير إلىٰ ما سواه، وإما غني عما سواه.

وغير الواجب بنفسه لا يكون إلا بالواجب بنفسه، والحادث لا يكون إلا بقديم، والمخلوق لا يكون إلا بخالق، والفقير لا يكون إلا بغني عنه، فقد لزم - علىٰ تقدير النقيضين - وجود موجود واجب بنفسه قديم أزلي خالق غني عما سواه، وما سواه بخلاف ذلك.

وقد علم بالحس والضرورة وجود موجود حادث كائن بعد أن لم يكن، والحادث لا يكون واجبًا بنفسه، ولا قديما أزليًا، ولا خالقًا لما سواه، ولا غنيًا عما سواه، فثبت بالضرورة وجود موجودين: أحدهما غني والآخر فقير، وأحدهما خالق والآخر مخلوق، وهما متفقان في كون كل منهما شيئًا موجودًا ثابتًا، بل وإذا كان المحدث جسمًا فكل منهما قائم بنفسه)[1]. وبهذا يتقرر في الأذهان وجود واجب الوجود بذاته غنيًا عما سواه، وتتراجع القلوب للحق، وإلىٰ ما أملتْه الفطر بدليل عقلي لا يسع المخالف إلا التسليم والخضوع له أو التكبر والصدود عنه.

- الاستدلال علىٰ وجود الله بالموت والحياة.

تعتبر ظاهرة الموت والحياة أكبر دليل لمن له عقل وفكر علىٰ وجود الخالق سبحانه، فمَن واهب الحياة؟ ومن السالب لها؟ وأين تذهب هذه الروح؟ وماذا بعد الموت؟

---

(١) منهاج السنة النبوية (٢/ ١١٦).

فالموت والحياة ظاهرتان متكررتان في الحس الإنساني، ونادرًا ما يُعِيرُهما الإنسان اهتمامًا أو يجعلهما دليلًا، ولو التفت إليهما؛ لبعثت في نفسه التساؤل: من الذي بثّ الحياة في هذه الكائنات؟ ومن الذي يسلبها ويقدّر عليها الموت؟

وفي سياق الآيات القرآنية تبصير واضح بهذه الحقيقة، ووردت دلائل كثيرة في الآيات لتوقظ الحس، وتهز الوجدان في الحديث عن آيات القدرة في الكون والخلق المعجز الذي لا يقدر عليه أحد إلا الله جل شأنه.

فيتأمل تلك الخلية الحية (سواء أكانت نباتية أم حيوانية أم إنسانية، من الذي خلقها؟ وأي قدرة معجزة جعلت تلك الخلية تتحرك وتنمو وتكبر وتتشكل في أشكال شتىٰ؟

أمِن ذات نفسها؟ فلماذا إذَنْ لا تتصرف الخلية الميتة علىٰ نفس الصورة؟ أليس هناك سر معجز في هذه الخلية الحية؟! أليس الخالق - سبحانه - هو الذي أودع فيها ذلك السر المعجز: سر الحياة؟!

ثم حين تموت تلك الخلية الحية، ويموت الكائن الحي: أين تذهب الحياة التي كانت سارية فيه؟ إننا نقول في بساطة: إن ذلك الكائن قد مات، سواء أكان نباتًا أم حيوانًا أم إنسانًا.

ولكن هل الأمر بهذه البساطة في الحقيقة؟ أليست ذات القدرة المعجزة التي وهبت الحياة للكائنات الحية هي التي استردتها منه وتركته ميتًا بلا حياة؟!

ترىٰ: لو كان أمر حياتها بيدها هل كانت تتخلىٰ عن الحياة أبدًا؟ كلا!

ولكنها تموت؛ لأن الله قضىٰ عليها الموت، وهذا هو السر الحقيقي وراء كل الأسباب الظاهرة للعين!

الموت والحياة إذَنْ كلاهما من عند الله، كلاهما مشيئة ربانية وقدر رباني)[1].

والآيات في الكون والأنفس كثيرة لا حصر لها، في أن الحياة والموت بقدرة قوة عليا، ليس باستطاعة أعظم مخلوق في الأرض علىٰ خلقها ولا منعها، ومن يشكك في قدرته علىٰ الإحياء والإماتة، يشكك في قدرته ﷻ علىٰ البعث يوم القيامة، وقد أورد ابن القيم استدلالًا قاطعًا علىٰ قدرته ﷻ باستشهاده بقوله تعالىٰ: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (البقرة:٢٨)؛ فقال: (هذا استدلال قاطع علىٰ أن الإيمان بالله تعالىٰ أمر مستقر في الفطر والعقول، وأنه لا عذر لأحد في الكفر به البتة.

فذكر تعالىٰ أربعة أمور، ثلاثة منها مشهودة في هذا العالم، والرابع منتظر موعود به وعد الحق:

الأول: كونهم كانوا أمواتًا لا أرواح فيهم، بل نطفًا وعلقًا ومضغة مواتًا لا حياة فيها.

الثاني: أنه تعالىٰ أحياهم بعد هذه الإماتة.

الثالث: أنه تعالىٰ يميتهم بعد هذه الحياة.

---

(١) ركائز الإيمان، محمد قطب (٢٥).

الرابع: أنه يحييهم بعد هذه الإماتة فيرجعون إليه، فما بال العاقل يشهد الثلاثة الأطوار الأولىٰ، ويكذب بالرابع؟ وهل الرابع إلا طور من أطوار التخليق؟ فالذي أحياكم بعد أن كنتم أمواتًا، ثم أماتكم بعد أن أحياكم، ما الذي يعجزه عن إحيائكم بعد ما يميتكم؟ وهل إنكاركم ذلك إلا كفر مجرد بالله تعالىٰ! فكيف يقع منكم بعد ما شاهدتموه؟ ففي ضمن هذه الآية: الاستدلال علىٰ وجود الخالق وصفاته وأفعاله علىٰ المعاد)[1].

وأن دلائل وطرق معرفته سبحانه واضحة، من دلائل عقلية، ونقلية، وفطرية بديهية، تصدح بضرورة وجود خالق لكل مخلوق، وتبطل الشبه، وتزيل الأوهام، وتجلي صدأ القلوب، وتشفي عليلها، وتروي غليلها، وتبطل التضليل، وتزيح غشاوة الضلالة.

وأن الطغاة مهما بلغ بهم الإلحاد والصدود والكفر فداعي الفطرة المركوز بالنفس البشرية يعترف بوجود الله وبخالقيته للكون سبحانه.

وقد جاءت آيات تدل علىٰ اعتراف الصنف الآخر من الدهرية بوجود الله مع إنكارهم للمعاد واستبعادهم وقوعه، ومن الأقوال التي تصرح باعترافهم، قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ (الزمر: ٣٨). وقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (الزخرف: ٩). وقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ (الزخرف: ٨٧). وقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

(١) بدائع الفوائد (٤/ ١٣٧).

وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ (لقمان: ٢٥). وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ (العنكبوت: ٦١). وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ (العنكبوت: ٦٣).

وقد جاءت الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة لإثبات حقيقة البعث والجزاء، وقد أورد القرآن الكريم مسالك عقلية لدحض هذا الفكر الإلحادي منها، ومحاجة منكريه، يمكن تصنيفها إلىٰ صنفين:

١ - البرهان الأول: ويشمل الأقيسة الصريحة، والأمثال المضروبة، والاستدلالات العقلية.

٢ - البرهان الثاني: أن حكمة الله وعدله تقتضيان البعث والجزاء.

*** الأقيسة الصريحة:**

١ - قياس الأولىٰ[1].

إن استخدام هذا القياس في القرآن الكريم يختلف عن استعمال الفلاسفة والمناطقة، فيؤخذ هنا باعتبار الأولوية. وقد ورد في الإلهيات «إثبات صفات

---

(١) قياس الأولىٰ هو: أن يكون المقيس مماثلًا للمقيس عليه، أو أولىٰ بالحكم منه. (وهو من الأقيسة العقلية البرهانية المذكورة في القرآن في دلائل ربوبيته وإلهيته ووحدانيته وعلمه وقدرته وإمكان المعاد وغير ذلك). الرد علىٰ المنطقيين (١٥٠) (باختصار). و(يستعمل في حق الله ﷻ قياس الأولىٰ، كما جاء بذلك القرآن، وهو الطريق التي كان يسلكها السلف والأئمة كأحمد وغيره من الأئمة، فكل كمال ثبت للمخلوق فالخالق أولىٰ به، وكل نقص ينزه عنه المخلوق فالخالق أولىٰ أن ينزه عنه). شرح العقيدة الأصبهانية (١٣٤). وانظر أيضًا (٩٥). وانظر: درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٩ - ٣٠)، (٧/ ٣٦٢)، ومجموع الفتاوىٰ (١/ ٤٨).

الله وأفعاله»: قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ (النحل: ٦٠)، وفي مسائل الاعتقاد أيضًا، وجاء التقرير لحتمية البعث والجزاء باستعمال قياس الأولىٰ، لإثبات المعاد يوم القيامة في الضمائر.

ويتضمن:

أ - قياس الإعادة والبعث على النشأة الأولىٰ.

ب - قياس الإعادة والبعث علىٰ ما هو أعظم منها.

أ - قياس الإعادة والبعث علىٰ النشأة الأولىٰ:

قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (الروم: ٢٧).

إن الله ﷻ هو الخالق للإنسان من عدم، فقدرته علىٰ إعادة خلقته من بعد أن يكون ترابًا وعظامًا، أسهل وأهون من إيجاده من عدم؛ إذ إن من موجبات العقل أن إعادة الشيء بعد فنائه، أسهل من إيجاده ابتداءً، وهذا معهودا في الصناعات أيضًا؛ فالذي يبني بيتًا مثلًا ثم يهدمه لا يستحيل عليه إعادة بنائه مثلما كان وأفضل، فالله ﷻ الموجد والمحدث للمخلوقات كلها بعد العدم، فلا يعجزه إعادتها بعد فنائها.

وفي الحديث عن النبي ﷺ قال: «**قال الله: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولدًا؛ وأنا الأحد الصمد، لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفئًا أحد**»[1].

---

(١) صحيح البخاري (٦/ ١٨٠). كتاب: تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾=

وقوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (العنكبوت: ١٩ - ٢٠).

إن القادر على النشأة الأولىٰ هو على النشأة الثانية أقدر، وإن بعثكم بعد موتكم نظير خلقكم من عدم، وإن إثباتكم للنشأة الأولىٰ يلزم منه إثباتكم للنشأة الأخرىٰ، فما مستندكم في إنكار النشأة الثانية - مع إقراركم بنظيرها -؟!

ويذكر ابن القيم أن الله ﷻ قد دل علىٰ هذا المعنىٰ بأوجز العبارات، وأدلها، وأفصحها، وأقطعها للعذر، وألزمها للحجة، في قوله تعالىٰ: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ۝ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝ أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ۝ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (الواقعة: ٥٧ - ٦٢). فدلهم بالنشأة الأولىٰ على الثانية، وأنهم لو تذكروا لعلموا أن لا فرق بينهما في تعلق القدرة بكل واحدة منهما[1]. وقوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ

=(الصمد:٤) حديث رقم (٤٩٧٤). وفي موضع آخر برواية أخرىٰ: صحيح البخاري (٦/ ٢٠). كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ﴾ (البقرة:١١٦) حديث رقم (٤٤٨٢). وأيضا: صحيح البخاري (٦/ ١٨٠). كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ (الإخلاص:٢) حديث رقم (٤٩٧٥)، وفيه أيضا (٤/ ١٠٦). باب ما جاء في قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ (الروم:٢٧) حديث رقم (٣١٩٣).

(١) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ١٠٩).

رَمِيمٌ ۝ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (يس: ٧٧ - ٧٩).

وقد تضمنت هذه الآيات سبعة أدلة علىٰ إمكان البعث والرد العقلي علىٰ منكريه:

١ - (تذكيره بمبدأ خلقه من نطفة في قوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾ (يس: ٧٧)؛ ليدله به علىٰ النشأة الأخرىٰ.

٢ - أن هذا الملحد الجاحد لو ذكر خلقه لما ضرب المثل، بل لمَّا نسي خلقه ضُرب له هذا المثل.

٣ - في الإجابة عن هذا التساؤل المبني علىٰ الغفلة والنسيان؛ إجابة بألطف جواب وأبين دليل، في قوله: ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾.

٤ - الاستدلال القاطع والدليل البالغ علىٰ إثبات جحوده يتضمنها جوابه في قوله: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾. قال ابن الحنبلي[1]: (فإن إيجاد المبادئ أصعب في مطرد العرف وحكم العقل من رد شيء كان إلىٰ ما كان علىٰ ما لا يخفىٰ)[2].

٥ - الإخبار بعموم علمه لجميع الخلق، فإن تعذر الإعادة عليه إنما يكون لقصور علمه أو قصور في قدرته، ولا قصور في علم من هو بكل خلق عليم، ولا قدرة فوق قدرة من خلق السماوات والأرض، وإذا أراد شيئًا قال له كن

---

(١) عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب الجزري السعدي العبادي، أبو الفرج، ناصح الدين ابن الحنبلي، (٥٥٤ - ٦٣٤هـ). له عدة كتب منها: (أسباب الحديث، تاريخ الوعاظ). انظر: الأعلام، للزركلي (٣/ ٣٤٠).

(٢) استخراج الجدل من القرآن الكريم، ابن الحنبلي (٥٠).

فيكون، وبيده ملكوت كل شيء، فكيف تعجز قدرته وعلمه عن إحيائكم بعد مماتكم، ولم نعجز عن النشأة الأولىٰ ولا عن خلق السماوات والأرض؟)[1].

٦ - (احتج بالإبداء علىٰ الإعادة، وبالنشأة الأولىٰ علىٰ النشأة الأخرىٰ؛ إذ كل عاقل يعلم علمًا ضروريًا أن من قدر علىٰ هذه قدر علىٰ هذه، وأنه لو كان عاجزًا عن الثانية لكان عن الأولىٰ أعجز وأعجز. ولما كان الخلق يستلزم قدرة الخالق علىٰ مخلوقه، وعلمه بتفاصيل خلقه؛ أتبع ذلك بقوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (يس: ٧٩). فهو عليم بالخلق الأول وتفاصيله وجزئياته ومواده وصورته وعلله الأربع.

وكذلك هو عليم بالخلق الثاني وتفاصيله ومواده وكيفية إنشائه؛ فإن كان تام العلم كامل القدرة؛ كيف يتعذر عليه أن يحيي العظام وهي رميم؟!)[2].

٧ - ويقول الشنقيطي[3]: (ولأجل قوة دلالة هذا البرهان المذكور علىٰ البعث؛ بيَّن - جل وعلا - أن من أنكر البعث فهو نَاسٍ للإيجاد الأول، كقوله: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ (يس: ٧٨)؛ إذ لو تذكر الإيجاد الأول علىٰ الحقيقة، لما أمكنه إنكار الإيجاد الثاني، وكقوله تعالىٰ: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ۝ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ١٠٩ - ١١٠) (بتصرف واختصار).

(٢) الصواعق المرسلة في الرد علىٰ الجهمية والمعطلة (٢/ ٤٧٤).

(٣) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (١٣٢٥ - ١٣٩٣هـ): مفسر مدرّس من علماء شنقيط (موريتانيا). من مصنفاته: (أضواء البيان في تفسير القرآن، آداب البحث والمناظرة). انظر: الأعلام، للزركلي (٦/ ٤٥).

نَسِيًّا﴾ (مريم: ٦٦ - ٦٧)؛ إذ لو تذكر ذلك تذكرًا حقيقيًا لما أنكر الخلق الثاني)[1].

ثم لما استعظموا واستبعدوا إعادة خلقهم ورجوعهم بكامل هيئتهم، وأن يكونوا خلقًا جديدًا بعدما صاروا رفاتًا وعظامًا قالوا: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا﴾ (الإسراء: ٤٩). فرد الله عليهم ردًّا قاطعًا للشك والريب، وقال لهم: ﴿قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ۝ أَوۡ خَلۡقًا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ (الإسراء: ٥٠ - ٥١). أي: كونوا حجارة أو حديدًا أو أي خلق تستعظمون خلقته في نفوسكم (فإنكم مربوبون مخلوقون مقهورون علىٰ ما يشاء خالقكم، وأنتم لا تقدرون علىٰ تغيير أحوالكم من خلقة إلىٰ خلقة لا تقبل الاضمحلال كالحجارة والحديد، ومع ذلك فلو كنتم علىٰ هذه الخلقة من القوة والشدة؛ لنفذت أحكامي وقدرتي ومشيئتي، ولم تسبقوني ولم تفوتوني، كما يقول القائل لمن هو في قبضته: اصعد إلىٰ السماء فإني لاحقك؛ أي: لو صعدت إلىٰ السماء لحقتك، وعلىٰ هذا فمعنىٰ الآية: لو كنتم حجارة أو حديدًا أو أعظم خلقًا من ذلك؛ لما أعجزتموني ولما فتموني)[2].

ومن تأمَّل هذه الأدلة وهي كثيرة في القرآن؛ كانت له برهانًا ناصعًا ودلالة واضحة علىٰ قدرته الله سبحانه علىٰ البعث والنشور يوم القيامة، فقد جادل

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٤/ ٢٦٥).

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ١١١). وانظر: الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (٢/ ٤٧٩).

المنكرين بالاستدلال بتقرير القدرة الإلهية علىٰ خلقهم من عدم، فهو علىٰ إعادتهم أقدر؛ ولا غرابة في ذلك وهو الذي أنشأهم في النشأة الأولىٰ ابتداء.

ب - قياس الإعادة والبعث علىٰ ما هو أعظم من ذلك.

في استدلال القياس السابق قررت الآيات إمكان المعاد من خلال تذكير الإنسان بأصل نشأته الأولىٰ، وبنفس الطريق تسير بضرب قياس الأولىٰ جاءت الآيات بقياس الإعادة علىٰ ما هو أعظم منها، ويراد به: أن إمكان خلق الأكبر والأعظم، وقدرته علىٰ ذلك دلالة واضحة علىٰ قدرته علىٰ ما هو دونه وأقل منه، (والمقصود: أنه دلهم سبحانه بخلق السماوات والأرض علىٰ الإعادة والبعث، وأكد هذا القياس بضرب من الأولىٰ، وهو أن خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس، فالقادر علىٰ خلق ما هو أكبر وأعظم منكم أقدر علىٰ خلقكم)[1].

ومما لا شك فيه: أن خلق السماوات والأرض أعظم من خلق الإنسان؛ لقوله تعالىٰ: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (غافر: ٥٧).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فإنه من المعلوم ببداهة العقول أن خلق السماوات والأرض أعظم من خلق أمثال بني آدم، والقدرة عليه أبلغ، وأن هذا الأيسر أولىٰ بالإمكان والقدرة من ذلك)[2].

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ١١٤).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٣٢).

فالسماوات والأرض من أوضح الأدلة وأبينها للإنسان، وذلك؛ لعظمتها وسعتها، ولتباين الأحجام بين الإنسان وبينهما، وإذا تمكن من هذا الخلق العظيم؛ فكيف يعجز عن خلق هذا المخلوق الضعيف، وإعادته بعد أن كان؟!

قوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ (الإسراء: ٩٩).

وقوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (يس: ٨١ - ٨٣). يقول الطبري - في بسطه للدليل العقلي في هذه الآية علىٰ حقيقة المعاد -: (يقول تعالىٰ ذكره، منبهًا هذا الكافر الذي قال: ﴿مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ (يس:٧٨) علىٰ خطأ قوله، وعظيم جهله: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ﴾ السبع ﴿وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ﴾ مثلكم، فإن خلق مثلكم من العظام الرميم ليس بأعظم من خلق السماوات والأرض، يقول: فمن لم يتعذر عليه خلق ما هو أعظم من خلقكم؛ فكيف يتعذر عليه إحياء العظام بعدما قد رمَّت وبليَت؟ وقوله: ﴿بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ يقول: بلىٰ هو قادر علىٰ أن يخلق، وهو الخلاق لما يشاء، الفعَّال لما يريد، العليم بكل ما خلق ويخلق، لا يخفىٰ عليه خافية)[1].

ويقول في معناه ابن الحنبلي: (من قدر علىٰ خلق السماوات والأرض؛

---

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ٥٥٦).

قدر علىٰ خلق هذا النوع اللطيف والشكل الضعيف، وإذ قدر علىٰ إيجاده قدر علىٰ رده بعد نفاده، ثم أخبر سبحانه عن نفسه بماذا يخلق الأشياء وتكون، فقال: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾، وعند ذلك سبح نفسه فقال: ﴿ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾، فعمّ الموجود والمعدوم، والإبداء والإعادة، وجعل الرجوع خاتمة الكلام؛ لأن الإنكار له والأدلة أقيمت عليه)[1].

وأن السماوات والأرض خير شاهد علىٰ قدرة الله وعظمة خلقه وقدرته وعلمه سبحانه، قال ابن القيم: (فأخذ الدلالة من الشيء الأجل الأعظم علىٰ الأيسر الأصغر، وأن كل عاقل يعلم أن من قدر علىٰ العظيم الجليل فهو علىٰ ما دونه بكثير أقدر وأقدر.

فمن قدر علىٰ حمل قنطار فهو علىٰ حمل أوقية أشد اقتدارًا، فأخبر سبحانه أن الذي أبدع السماوات والأرض، علىٰ جلالتهما وعظم شأنهما وكبر أجسامهما وسعتهما وعجيب خلقتهما، أقدر علىٰ أن يحيي عظامًا قد صارت رميمًا فيردها إلىٰ حالتها الأولىٰ، وقوله تعالىٰ: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَلَمۡ يَعۡيَ بِخَلۡقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ (الأحقاف: ٣٣).

ثم أخذ سبحانه ذلك وبيّنه بيانًا آخر يتضمن - مع إقامة الحجة - دفع شبهة كل ملحد وجاحد، وهو أنه ليس في فعله بمنزلة غيره الذي يفعل

---

(١) استخراج الجدل في القرآن الكريم (٥١).

بالآلات والكلفة والتعب والمشقة، ولا يمكنه الاستقلال بالفعل، بل لا بد معه من آلة ومشارك ومعين، بل يكفي في خلقه لما يريد أن يخلقه ويكونه نفس إرادته، وقوله للمكون: كن؛ فإذا هو كائن كما شاءه وأراده)[1].

وبهذا تتضح صورة الضرب من قياس الأولىٰ الذي رسمته الآيات الكريمة في القرآن لإثبات إمكانية إعادة الخلق وبعثهم، ومثّل له بقياسه علىٰ قدرته علىٰ النشأة الأولىٰ فهو علىٰ الإعادة أقدر، وقدرته علىٰ خلق السماوات والأرض، وهي أكبر من خلق الإنسان بلا شك، فمن باب أولىٰ قدرته علىٰ إعادة خلق الإنسان الضعيف، الذي لا تناسب بينه وبين عظمة السماوات والأرض.

* - ضرب الأمثال.

الأمثال المضروبة في القرآن والسنة هي أوسع المجالات التي كان من خلالها يتم عرض الأدلة العقلية النقلية؛ وذلك أن ضرب المثل هو القياس العقلي بعينه، فإن المثل مأخوذ من المثال، وهو النموذج الذي يقاس عليه، لوجود المماثلة والمشابهة بينه وبين ما يقاس عليه[2].

ضرب المثل (يوضح صورة المقصود وحكمه)[3].

وقد ذكر ابن القيم الغرض من ضرب الأمثال؛ فقال: (لتقريب المراد،

---

(١) الصواعق المرسلة في الرد علىٰ الجهمية والمعطلة (٢/ ٤٧٥ - ٤٧٦ - ٤٧٧) (باختصار وتصرف).

(٢) انظر: الأمثال في القرآن الكريم، د. محمد جابر الفياض (٢٧ - ٣٤).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (١٤/ ٥٦).

وتفهيم المعنىٰ، وإيصاله إلىٰ ذهن السامع، وإحضاره في نفسه بصورة المثال الذي مثّل به؛ فإنه قد يكون أقرب إلىٰ تعقله وفهمه وضبطه واستحضاره له باستحضار نظيره؛ فإن النفس تأنس بالنظائر والأشباه الأنس التام، وتنفر من الغربة والوحدة وعدم النظير، ففي الأمثال من تأنيس النفس وسرعة قبولها وانقيادها لما ضرب لها مثله من الحق أمر لا يجحده أحد، ولا ينكره، وكلما ظهرت لها الأمثال؛ ازداد المعنىٰ ظهورًا ووضوحًا، فالأمثال شواهد المعنىٰ المراد، ومزكية له)"[1].

وضروب المثل في القرآن الكريم علىٰ البعث، ثلاثة:

١ - قياس الإعادة والبعث علىٰ إحياء الأرض الميتة.

٢ - قياس الإعادة والبعث علىٰ إحياء الموتىٰ في الحياة الدنيا.

٣ - قياس الإعادة والبعث علىٰ إخراج النار من الشجر الأخضر.

١ - قياس الإعادة والبعث علىٰ إحياء الأرض الميتة.

تقريب حقيقة البعث من الأذهان بضرب المثل للمنكرين الجاحدين، وذلك بتصوير صورتين متقابلتين، إحياء الأرض الميتة، بإحياء الأجساد الميتة، وقد جاء ذكر إحياء الأرض الميتة في مواضع كثيرة من القرآن[2].

قال تعالىٰ: ﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ (الروم: ٥٠).

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ١٨٢ - ١٨٣).

(٢) انظر مثلًا الآيات الواردة في: ق (٩ - ١١)، الحج (٥ - ٧)، نوح (١٧ - ١٨)، النحل (٦٥)، الأعراف (٥٧)، الجاثية (٢٥)، فاطر (٩)، البقرة (١٦٤).

(فدل سبحانه عباده بما أراهم من الإحياء الذي تحققوه وشاهدوه على الإحياء الذي استبعدوه، وذلك قياس إحياء على إحياء، واعتبار الشيء بنظيره، والعلة الموجبة هي عموم قدرته سبحانه، وكمال حكمته؛ وإحياء الأرض دليل العلة)[1].

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ (الزخرف: ١١).

وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (فصلت: ٣٩).

قال ابن القيم: (جعل الله - سبحانه - إحياء الأرض بعد موتها نظير إحياء الأموات، وإخراج النبات منها نظير إخراجهم من القبور، ودل بالنظير على نظيره، وجعل ذلك آية ودليلاً على خمسة مطالب:

أحدها: وجود الصانع، وأنه الحق المبين، وذلك يستلزم إثبات صفات كماله، وقدرته، وإرادته، وحياته، وعلمه، وحكمته، ورحمته، وأفعاله.

الثاني: أنه يحيي الموتى.

الثالث: عموم قدرته على كل شيء.

الرابع: إتيان الساعة وأنها لا ريب فيها.

الخامس: أنه يخرج الموتى من القبور كما أخرج النبات من الأرض)[2].

إن الله ﷻ ضرب المثل في إعادة الأجساد بعد موتها، وبعدما فقدت

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ١٠٧).

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ١١٢).

عناصر الحياة، وصارت جثثًا بالية، وعظامًا خاوية، وأنه سبحانه يحيها كما يحيي الأرض الجدباء القاحلة بالنبت والزرع اليانع، و(قد كرر سبحانه ذكر هذا الدليل في كتابه مرارا؛ لصحة مقدماته، ووضوح دلالته، وقرب تناوله، وبعده من كل معارضة وشبهة، وجعله تبصرة وذكرى)[1]، كما قال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ (ق: ٧ - ١١).

وفي السنة النبوية: الحديث الشريف عن النبي ﷺ عن أبي رزين العقيلي أنه قال: يا رسول الله، أكلنا يرىٰ ربه ﷻ يوم القيامة؟ وما آية ذلك في خلقه؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أليس كلكم ينظر إلىٰ القمر مخليًا به؟**» قال: بلىٰ، قال: «**فالله أعظم**»، قال: قلت: يا رسول الله، كيف يحيي الله الموتىٰ؟ وما آية ذلك في خلقه؟ قال: «**أما مررت بوادي أهلِك مَحْلًا؟**»، قال: بلىٰ، قال: «**أما مررت به يهتز خضرًا؟**»، قال: قلت: بلىٰ، قال: «**ثم مررت به محلًا؟**»، قال: بلىٰ، قال: «**فكذلك يحيي الله الموتىٰ وذلك آيته في خلقه**»[2].

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ١١٢).

(٢) أخرجه ابن خزيمة في التوحيد (٢/ ٤٤١)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٦٠). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: رواه الطبراني في الكبير، ورجاله موثقون (١/ ٨٥)، حديث رقم (٢٨١)، وفي صحيح أبي داود، حديث رقم (٤٧٣١). قال الألباني: حسن.

٢ - قياس الإعادة علىٰ إحياء الأموات في الحياة الدنيا.

إن من طرق الاستدلال القرآني علىٰ حقيقة المعاد ووقوعه لا محالة: أن استشهد بواقع ملموس مادي محسوس، تواترت به الأخبار، وشهدت النفوس المفطورة علىٰ الإيمان بتحققه، وذلك بواقع الذين أحياهم الله بعد موتهم في الحياة الدنيا، وقد تكرر الاستشهاد بهذه الوقائع في مواضع من القرآن، تُدَلِّلُ علىٰ إمكانية البعث ووقوعه حقيقة.

١ - في قصة الرجل الذي أماته الله مئة عام ثم بعثه، والمشهور أنه (عزير) عليه السلام قال تعالىٰ: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٥٩).

قال ابن كثير: ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ﴾ أي: (دليلًا علىٰ المعاد)[١].

إن ثبوت قدرته علىٰ الإحياء بعد الموت والفناء في دار الدنيا، ولو مرة واحدة، دلالة جلية علىٰ إمكان المعاد وبعث الأجساد؛ لأن من أحيا نفسًا واحدة بعد موتها قادر علىٰ إحياء جميع النفوس، قال تعالىٰ: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ (لقمان: ٢٨)[٢].

٢ - وفي قصة موسىٰ عليه السلام مع قومه تروي الآيات مقالتهم، قال تعالىٰ:

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٦٨٨).

(٢) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢/ ٣٣٩).

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة: ٥٥ - ٥٦). (عن الربيع بن أنس: هم السبعون الذين اختارهم موسىٰ ﷺ فساروا معه. قال: فسمعوا كلامًا، فقالوا: ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾، قال: فسمعوا صوتًا فصعقوا، يقول: ماتوا، وكان موتهم عقوبة لهم، فبعثوا من بعد الموت ليستوفوا آجالهم)[1].

٣ - وفي قصة قوم موسىٰ ﷺ (أصحاب البقرة) قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ۝ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة: ٧٢ - ٧٣).

والشاهد في قوله تعالىٰ: ﴿ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾، قال ابن عباس: (للبعث ﴿ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ إحياءه ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ لكي تصدقوا بِالْبَعْثِ بعد الْمَوْت)[2].

٤ - وقوله تعالىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة: ٢٤٣). (عن ابن عباس في قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾، كانوا أربعة آلاف، خرجوا فرارًا من الطاعون، قالوا: «نأتي أرضًا ليس فيها موت»! حتىٰ إذا كانوا بموضع كذا وكذا، قال لهم الله: «موتوا». فمر عليهم نبي من الأنبياء، فدعا ربه أن يحييهم،

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٢٦٤) (باختصار).

(٢) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (١١).

فأحياهم، فتلا هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾)[1].

٥ - وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ (البقرة: ٢٦٠).

٦ - وفيما أخبر الله عن عيسىٰ ﷺ ومعجزاته في قوله تعالىٰ: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾ (آل عمران: ٤٩).

٧ - وما جاء في قصة (أصحاب الكهف)، قوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ﴾ (الكهف: ٢١). قال ابن كثير: (ذكر غير واحد من السلف: أنه كان قد حصل لأهل ذلك الزمان شك في البعث وفي أمر القيامة. وقال عكرمة: كان منهم طائفة قد قالوا: تبعث الأرواح ولا تبعث الأجساد، فبعث الله أهل الكهف حجة ودلالة وآية على ذلك)[2].

وهذه الدلائل والوقائع الحسية التي استدلت بها الآيات في إحياء الموتىٰ، دلالة قاطعة علىٰ قدرته الإلهية علىٰ إحياء الأجساد بعد فنائها وتحللها؛ لتواتر الأخبار الصادقة التي توجب القطع بحقيقة وقوعه لا محالة.

---

(١) تفسير الطبري (٥/ ٢٦٧ - ٢٦٦).

(٢) تفسير ابن كثير (٥/ ١٤٦).

٣ - قياس الإعادة علىٰ إخراج النار من الشجر الأخضر.

ضرب المثل بقدرته علىٰ إحياء الأموات بإخراج النار من الشجر الأخضر، هو من أبلغ الأدلة، ومن قياس الشيء علىٰ نظيره، وبرهان علىٰ كمال القدرة الإلهية، في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ (يس: ٨٠). يقول ابن جرير الطبري: (الذي أخرج لكم من الشجر الأخضر نارًا تُحْرق الشجر، لا يمتنع عليه فعل ما أراد، ولا يعجز عن إحياء العظام التي قد رَمّت، وإعادتها بشَرًا سويًّا، وخلقًا جديدًا، كما بدأها أول مرة)[1].

والآية خير شاهد علىٰ ربوبيته وكمال قدرته علىٰ إحياء الموتىٰ، ومعناه: (إيجاد شيء مما ينافيه وينافره، فلا بد من قوة من خارج تغلب المتنافرين المتنافيين بفعل ذلك)[2].

وهذا الرد العقلي من أرشد الأدلة (علىٰ دليل واضح جلي متضمن للجواب عن شبه المنكرين بألطف الوجوه وأبينها وأقربها إلىٰ العقل، فقال: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ (يس: ٨٠)، فإذن هذا دليل علىٰ تمام قدرته وإخراج الأموات من قبورهم، كما أخرج النار من الشجرة الخضراء.

وفي ذلك جواب عن شبهة من قال من منكري المعاد: الموت بارد يابس، والحياة طبعها الرطوبة والحرارة، فإذا حل الموت بالجسم لم يمكن أن تحل

---

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ٥٥٦).

(٢) استخراج الجدل في القرآن الكريم، ابن الحنبلي (٥٠ - ٥١).

فيه الحياة بعد ذلك؛ لتضاد ما بينهما، وهذه شبهة تليق بعقول المكذبين الذين لا سمع لهم ولا عقل؛ فإن الحياة لا تجامع الموت في المحل الواحد ليلزم ما قالوا، بل إذا أوجد الله فيه الحياة وطبعها ارتفع الموت وطبعه، وهذا الشجر الأخضر طبعه الرطوبة والبرودة تخرج منه النار الحارة اليابسة)[1].

وقد خصص ذلك أبو الحسن الأشعري[2] بما يشاهده الناس بشجرتين يقال لهما «العفار والمرخ»[3]، وقال: (فدلّهم بما يشاهدونه من جعله النار من «العفار والمرخ» - وهما شجرتان خضراوان إذا حكت إحداهما الأخرىٰ بتحريك الريح لهما؛ اشتعل النار فيهما - علىٰ جواز إعادته المياه في العظام النخرة والجلود المتمزقة)[4].

وفي هذا الدليل حجة قوية وبرهان واضح وجواب مسدد لكل ملحد

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ١١٠).

(٢) علي بن إسماعيل بن إسحاق، العلّامة (٢٦٠ - ٣٢٤هـ): إمام المتكلمين، مؤسس مذهب الأشاعرة، كان من الأئمة المتكلمين المجتهدين. أثنىٰ عليه العلماء في كتب التراجم، ومصنفاته كثيره منها: (مقالات الإسلاميين، الإبانة عن أصول الديانة، اللمع في الرد علىٰ أهل البدع). انظر: سير أعلام النبلاء (١٥/ ٨٥)، وطبقات الشافعية الكبرىٰ، للسبكي (٣/ ٣٤٧)، والأعلام، للزركلي (٤/ ٢٦٣).

(٣) المراد بذلك شجر المرخ والعفار، ينبت في أرض الحجاز فيأتي من أراد قدح نار وليس معه زناد، فيأخذ منه عودين أخضرين، ويقدح أحدهما بالآخر، فتتولد النار من بينهما، كالزناد سواء. روي هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما. وفي المثل: لكل شجر نار، واستمجد المرخ والعفار. وقال الحكماء: في كل شجر نار إلا العناب. انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٥٩٥)، ومجمع الأمثال، للميداني (٢٧٥٢).

(٤) رسالة إلىٰ أهل الثغر، أبو الحسن الأشعري (٩١ - ٩٢).

منكر لقدرة الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ إحياء الأموات إذا رمّت عظامُهم وكانت فتاتًا.

(فأخبر سبحانه بإخراج هذا العنصر، الذي هو في غاية الحرارة واليبوسة، من الشجر الأخضر الممتلئ بالرطوبة والبرودة؛ فالذي يخرج الشيء من ضده وتنقاد له مواد المخلوقات وعناصرها ولا تستعصي عليه، هو الذي يفعل ما أنكره الملحد ودفعه من إحياء العظام وهي رميم)[1].

وبهذا النهج القرآني بالاستدلال بضرب الأمثال؛ يلفت العقول إلىٰ إمكانية البعث، وسهولة تحققه، وحتمية وقوعه، مع ما فطرت عليه النفوس من الإيمان، فلا تملك إلا التسليم لهذه الحجج القرآنية.

* الاستدلالات العقلية:

١ - الاستدلال علىٰ البعث بعظيم خلقه للإنسان.

إن المتأمل في بديع صنع الله - سبحانه - للإنسان، وخلقه له في أحسن تقويم، يتمالكه العجب ويوقعه بالعلم به سبحانه وبجلال قدره، وعظيم صنعه، وكمال قدرته، تأمل دقة وصفه لمراحل خلق الإنسان في هذه الآية وكيف يستشهد بها علىٰ قدرته علىٰ البعث، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ

---

(١) الصواعق المرسلة في الرد علىٰ الجهمية والمعطلة (٢/ ٤٧٦). وانظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ١١٠)، وقد ذكر الرازي وجه استدلال آخر علىٰ البعث انظر: التفسير الكبير (٢/ ٣٥٥)، ووجه أيضًا ابن عاشور الآية إلىٰ معنىٰ مختلف في وصف الشجر بالأخضر إلىٰ أن المراد اللون. انظر: التحرير والتنوير (٢٣/ ٧٧).

﴿لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ (الحج: ٥). قال ابن القيم: (إن من نقل الإنسان من نطفة مني إلىٰ العلقة، ثم إلىٰ المضغة، ثم خلقه وشق سمعه وبصره، وركب فيه الحواس والقوىٰ والعظام والمنافع والأعصاب، والرباطات التي هي أسره[1]، وأتقن خلقه وأحكمه غاية الإحكام، وأخرجه علىٰ هذا الشكل والصورة التي هي أتم الصور وأحسن الأشكال، كيف يعجز عن إعادته وإنشائه مرة ثانية؟! أم كيف تقتضي حكمته وعنايته به أن يتركه سدىٰ؟! فلا يليق ذلك بحكمته ولا تعجز عنه قدرته)[2].

قال تعالىٰ: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ (القيامة: ٣٦ - ٤٠). قال ابن كثير: (أمَا هذا الذي أنشأ هذا الخلق السوي من هذه النطفة الضعيفة بقادر علىٰ أن يعيده كما بدأه؟ وتناول

---

(١) الإسار الرباط، والإسار المصدر كالأسر، وجاء القوم بأسرهم؛ قال أبو بكر: معناه جاؤوا بجميعهم وخلقهم. والأسر في كلام العرب: الخلق. قال الفراء: أسر فلان أحسن الأسر: أي أحسن الخلق، وأسره الله: أي خلقه. وأما الأسر في قوله جل ثناؤه: ﴿وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾ (الإنسان:٢٨) فهو الخلق. قال الراغب: إشارة إلىٰ حكمته تعالىٰ في تراكيب الإنسان المأمور بتأملها وتدبرها في قوله تعالىٰ: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات:٢١). مجمل اللغة، لابن فارس (٩٧)، والمفردات في غريب القرآن (٧٦). وانظر: لسان العرب (١٩/٤).

(٢) الصواعق المرسلة في الرد علىٰ الجهمية والمعطلة (٢/ ٤٨٠).

القدرة للإعادة إما بطريق الأولىٰ بالنسبة إلىٰ البداءة، وإما مساوية علىٰ القولين في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ (الروم: ٢٧))[1].

وقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾ (القيامة: ٣ - ٤).

(أي: قدرتنا صالحة لجمعها، ولو شئنا لبعثناه أزيد مما كان، فتجعل بنانه - وهي أطراف أصابعه - مستوية)[2].

قال ابن القيم: (أنكر علىٰ الإنسان حسبانه وظنه أن الله لا يجمع عظامه بعد ما فرقها البلىٰ، ثم أخبر سبحانه عن قدرته علىٰ جمع غيرها من عظامه؛ وعلىٰ هذا فيكون سبحانه قد احتج علىٰ فعله لما أنكره أعداؤه بقدرته عليه، وأخبر عن فعله بأنه لا يلزمهم من القدرة وقوع المقدور، والمعنىٰ بل نجمعها قادرين علىٰ تسوية بنانه)[3].

وفي هذه الآية خص البنان دون (بقية الأعضاء، أي: نقدر علىٰ أن نسوي بنانه بعد صيرورته ترابًا كما كان، وتحقيقه أن من قدر علىٰ الشيء في الابتداء؛ قدر أيضًا عليه في الإعادة، وإنما خص البنان بالذكر؛ لأنه آخر ما يتم خلقه، فكأنه قيل: نقدر علىٰ ضم سلاماته علىٰ صغرها ولطافتها، بعضها إلىٰ بعض، كما كانت أولًا من غير نقصان ولا تفاوت، فكيف القول في كبار العظام)[4].

---

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٢٨٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٢٧٦).

(٣) التبيان في أقسام القرآن (١٤٧).

(٤) التفسير الكبير (٣٠/ ٧٢٢). وانظر: تفسير الكشاف، للزمخشري (٤/ ٦٥٩).

فلو تأمل العبد عظيم خلقته؛ لعلم أن المعاد حق وهو معلوم بالعقل مع الشرع.

٢ - الاستدلال علىٰ البعث بإخراج الشيء من ضده.

إن المنكرين للمعاد يشهدون هلاك الإنسان ومراسم دفنه، وفناءه في الأرض وتفتت أجزائه، فيستبعدون إمكانية إعادته بعد أن تحلل واختلط بالتراب، فجاءت الآيات القرآنية البينات الهاديات تجلي قدرة الله وكمال ألوهيته في إخراج الشيء من ضده. ويقصد بهذا الاستدلال: إخراج الحي من الميت، والميت من الحي، وإخراج النبات من الأرض القاحلة، والنار من الشجر الأخضر - كما تقدم -، وفي هذا برهان قاطع علىٰ عظمة كمال قدرته الربانية، مما يستدعي الإيمان بأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، فكيف بإعادة الحياة إلىٰ مخلوق ميت؟!

ويورد الله ﷻ التعجب من مقالتهم ويقول: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (الرعد: ٥). قال ابن الحنبلي: (إن كان لك عجب من شيء؛ فمن إنكارهم البعث فاعجب؛ لأن العجب مما ندر وجوده، وخفي سببه، وليس هذا مما ندر وهم يشاهدون إحياء الأرض بعد موتها، واكتساء الأشجار بعد عريها، وعود النهار بعد زواله، والليل بعد ذهابه، وإخراج الحي من الميت، والميت من الحي، ولا مما خفي سببه، فإن الله - سبحانه - هو الفاعل لذلك، والمخترع له والقادر عليه، وحكمته إظهار ما استتر عن خلقه من تدبيره، وما النشأة الثانية بأعجب من الأولىٰ)[1].

---

(١) استخراج الجدل في القرآن الكريم (٥٤).

قال تعالىٰ: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ (الروم: ١٩). (فدل بالنظير علىٰ النظير، وقرب أحدهما من الآخر جدًّا بلفظ الإخراج، أي: يخرجون من الأرض أحياء؛ كما يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي)[1].

وإن التذكير بخلق الأشياء من أضدادها فيه دلالة واضحة علىٰ كمال قدرة الحي الذي لا يموت، الذي يخرج الحي من الميت، والميت من الحي، قال ابن كثير في وصف ذلك: (هو ما نحن فيه من قدرته علىٰ خلق الأشياء المتقابلة، ليدل خلقه علىٰ كمال قدرته، فمن ذلك إخراج النبات من الحب، والحب من النبات، والبيض من الدجاج، والدجاج من البيض، والإنسان من النطفة، والنطفة من الإنسان، والمؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن)[2].

أما عملية الإحياء والإماتة، وخروج الحي من الميت، والميت من الحي؛ فهي (العملية الدائبة التي لا تكف ولا تني لحظة واحدة من لحظات الليل والنهار في كل مكان، علىٰ سطح الأرض، وفي أجواز الفضاء، وفي أعماق البحار، ففي كل لحظة يتم هذا التحول، بل هذه المعجزة الخارقة التي لا ننتبه إليها لطول الألفة والتكرار، في كل لحظة يخرج حي من ميت، ويخرج ميت من حي، وفي كل لحظة يتحرك برعم ساكن من جوف حبة أو نواة فيفلقها ويخرج إلىٰ وجه الحياة، وفي كل لحظة يجف عود أو شجرة تستوفي أجلها فتتحول إلىٰ هشيم أو حطام، ومن خلال الهشيم والحطام توجد الحبة

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ١٠٨).

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (٦/ ٣٠٨).

الجديدة الساكنة المتهيئة للحياة والإنبات، ويوجد الغاز الذي ينطلق في الجو أو تتغذىٰ به التربة، وتستعد للإخصاب، وفي كل لحظة تدبُّ الحياة في جنين إنسان أو حيوان أو طائر، والجثة التي ترمىٰ في الأرض وتختلط بالتربة وتشحنها بالغازات هي مادة جديدة للحياة وغذاء جديد للنبات فالحيوانِ والإنسان! ومثل هذا يتم في أغوار البحار، وفي أجواز الفضاء علىٰ السواء.

إنها دورة دائبة عجيبة رهيبة لمن يتأملها بالحس الواعي والقلب البصير، ويراها علىٰ هدىٰ القرآن ونوره المستمد من نور الله.

﴿ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ﴾: فالأمر عادي واقعي لا غرابة فيه وليس بدعًا مما يشهده الكون في كل لحظة من لحظات الليل والنهار في كل مكان!)[1].

٣ - الاستدلال علىٰ البعث بحصول اليقظة بعد النوم.

إن هذا الاستدلال القرآني يذكرنا بتشبيه جزئي بالمعاد الأخروي، وذلك أن النوم (موتة صغرىٰ)، واليقظة بعد النوم أشبه ما تكون بالبعث الأكبر يوم القيامة، وهذا استدلال لطيف قريب من الأذهان، ومألوف لكل الحياة البشرية، وقد لفتت الآيات الكريمة إلىٰ الاستشهاد به علىٰ إمكانية البعث ووقوعه.

قال تعالىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٦٠ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ (الأنعام: ٦٠ - ٦١).

---

(١) في ظلال القرآن (٥/ ٢٧٦٢ - ٢٧٦٣).

وقوله تعالىٰ: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الزمر: ٤٢).

وكما تحصل اليقظة بعد الموتة الصغرىٰ (النوم) تحصل الحياة بعد الموت يوم القيامة.

والقرآن الكريم مليء بالحجج والبراهين العقلية، التي تدحض كل شبه المنكرين للبعث، مهما اختلفت توجهاتهم وتفكيرهم وأساليبهم في التعبير عن هذا الإنكار والجحود، ويقيم عليهم براهين حسية وعقلية، سهلة التصور تدل علىٰ حقيقة المعاد.

ونلحظ مما سبق: أن قضية البعث والنشور نوقشت وعرضت في أساليب شتىٰ، وإن هذا من خصائص الجدل القرآني، فمرة يؤكد وقوعها بصيغة القسم، كقوله تعالىٰ: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (التغابن: ٧).

ومرة يؤكد البعث استنادًا إلىٰ وقوعه في الحياة الدنيا وتحققه، ويذكر قصص من أحياهم الله ثم أماتهم، كقوله تعالىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ ﴾ (البقرة: ٢٤٣).

وغيرها من الوقائع التي ثبتت بالخبر القاطع، ولكن لا يسلم بها من لا يصدق بالوحي والرسالات، ولهذا جاء القرآن باستدلالات ودلائل وبراهين عقلية قاطعة الشك باليقين.

مثل: الاستدلال علىٰ البعث بوجود نظيره، وأن القادر علىٰ إيجاد الحياة

في الأرض الميتة، وفي إيجاد الشيء من ضده، فهو علىٰ إحياء الأموات وبعثهم من قبورهم أقدر.

ومرة بالاستدلال بقياس الأولىٰ، وهو ما يكون وجود البعث والقدرة عليه أولىٰ من وجوده، وقد وردت الأدلة والاستدلالات القرآنية بدلائل عقلية ضرورية، تستلزم حتمية البعث وإمكانه، فلا يجحده إلا معاند مستكبر.

(وهكذا فتنوع عرض القضية الواحدة يزيد في سبل الإقناع وضروب الهداية؛ حتىٰ يوافق مشارب الناس، علىٰ تباين مقاصدهم، وتفاوت مداركهم، فتجد كل طائفة منهم في القرآن ما يقنعها أو يرشدها أو يقطعها)[1].

- البرهان الثاني: الاستدلال علىٰ المعاد بأن حكمة الله وعدله تقتضيان البعث والجزاء.

زعم المنكرون للبعث أن لا حياة بعد الموت، ولا بعث ولا نشور ولا حساب، وأن لا حكمة من الوجود الإنساني، وأن لا صحة لعقيدة البعث والجزاء التي يتداولها الناس، وأن الغاية هي دوام النوع البشري، فيموت قوم ويحيا آخرون!

وقد جاءت الاستدلالات القرآنية الصريحة الدلالة لتقرير حقيقة البعث، وتؤكد حتمية الجزاء والحساب يوم القيامة، ثم إن الإجماع الذي اتفق عليه الأنبياء والمرسلون علىٰ وجوب المعاد والجزاء كافٍ بالرد عليهم.

وإن ذلك من مقتضىٰ الحكمة الإلهية التي تستلزم عدم عبثية الخلق في الحياة، تنزيهًا للرب سبحانه من أن يخلق الكون بمخلوقاته عبثًا، ويؤكد

---

(١) منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد، د. عثمان علي حسن (١/ ٣٩١).

القرآن الكريم في كثير من الآيات على ثبوت البعث والجزاء وأنه واقع لا محالة، وأن الحكمة الربانية والعدل الإلهي يقتضيان ذلك، وقد وردت آيات دلت على الحكمة الإلهية، وآيات دلت على العدل الإلهي.

أما مواطن الآيات باقتضاء الحكمة الإلهية، فنوعان:

- آيات اقترنت حكمة الله - تعالى - في خلقه للأنفس والآفاق بحكمته في أمره وحكمه:

فكل ما يتجلى من مظاهر القدرة الربانية من خلق وتدبير في الأنفس والآفاق، هو دليل على كمال حكمته في أمره وحكمه[1].

دلالة الآفاق، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (آل عمران: ١٩٠ - ١٩١).

قد أثنى الله على من تنبهوا لهذه الدلالة وجمعوا بين التفكر والتذكر، وقالوا: (ربنا ما خلقت هذا الذي نراه من العوالم السماوية والأرضية باطلًا، ولا أبدعته وأتقنته عبثًا، سبحانك وتنزيهًا لك عن الباطل والعبث، بل كل خلقك حق مؤيد بالحكم، فهو لا يبطل ولا يزول، وإن عرض له التحول والتحليل والأفول، ونحن بعض خلقك لم نخلق عبثًا، ولا يكون وجودنا من كل وجه باطلًا، فإن فنيت أجسادنا، وتفرقت أجزاؤنا بعد مفارقة أرواحنا لأبداننا، فإنما يهلك منا كوننا الفاسد، ووجهنا الممكن الحادث، ويبقى

---

(١) انظر: الأدلة العقلية والنقلية (٥٣٤).

وجهك الكريم، ومتعلق علمك القديم. يعود بقدرتك في نشأة أخرىٰ، كما بدأته في النشأة الأولىٰ، فريق ثبتت لهم الهداية، وفريق حقت عليهم كلمة الضلالة)[1].

وأما دلالة الأنفس فقوله تعالىٰ: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ (القيامة: ٣٦ - ٤٠). أي: (ليس يترك في هذه الدنيا مهملًا لا يؤمر ولا ينهىٰ، ولا يترك في قبره سدىٰ لا يبعث، بل هو مأمور منهي فِي الدنيا، محشور إلىٰ الله في الدار الآخرة، والمقصود هنا: إثبات المعاد، والرد علىٰ من أنكره من أهل الزيغ والجهل والعناد؛ ولهذا قال مستدلًا علىٰ الإعادة بالبداءة فقال: ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴾؟ أي: أما كان الإنسان نطفة ضعيفة من ماء مهين يمنىٰ، يراق من الأصلاب في الأرحام. ﴿ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴾ أي: فصار علقة، ثم مضغة، ثم شكل ونفخ فيه الروح، فصار خلقا آخر سويًا سليم الأعضاء، ذكرًا أو أنثىٰ، بإذن الله وتقديره؛ ولهذا قال: ﴿ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴾، ثم قال: ﴿ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ أي: أما هذا الذي أنشأ هذا الخلق السوي من هذه النطفة الضعيفة بقادر علىٰ أن يعيده كما بدأه؟)[2].

فهل يظن عاقل أن الحياة بلا هدف ولا قيمة لها، ولا غاية من ورائها، وأن يخلق هذا الخلق في أحسن تقويم، وتسخر له السماوات والأرض وما

---

(١) تفسير المنار (٤/ ٢٤٦).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٢٨٣).

فيها ثم يترك هملًا بلا أمر ولا نهي؟! حاشا الحكمة الربانية ذلك.

- آيات تنزه الله ﷻ عن خلق الناس عبثًا، تقتضي كمال حكمته سبحانه:

إن الحياة لم تكن عبثًا بلا هدف ولا غاية، وبلا بعث ولا نشور، بل إن الله تعالىٰ يتنزه عن ذلك.

قال تعالىٰ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ (المؤمنون:١١٥ - ١١٦).

وهذه الآية تقرر أن الحياة لحكمة، ودلالة علىٰ البعث، وتساءل: هل ظننتم أنكم مخلوقون عبثًا ولعبًا وباطلًا بلا حكمة وبلا قصد ولا إرادة منكم، لتلعبوا وتعبثوا فتستوون مع البهائم في الخلق والغاية، لا ثواب ولا عقاب؛ وإنما خلقتم لهدف وغاية، وهو عبادته واتباع أوامره واجتناب نواهيه، ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ أي: تقدَّس أن يخلق شيئًا عبثًا، فإنه الملك الحق المنزه عن ذلك[1].

لو كان الإنسان سيظل خلقًا بلا حكمة ولا بعث ولا نشور؛ فأي قيمة للحياة وأي غاية وراءها؟

قال تعالىٰ: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ (القيامة: ٣٦).

هل كان يظن أن سيبقىٰ سدىٰ؟! يموت بلا بعث ولا حساب ولا جزاء؟! وأن هذه السماء التي تظله والأرض التي تقله، وجدت بلا حكمة؟! تعالىٰ الله عن ذلك.

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٣/ ٣٧٧). وانظر: تفسير الكشاف (٣/ ٢٠٦)، وتفسير ابن كثير (٥/ ٥٠٠).

قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ (ص: ٢٧). أي: ما خلقنا السماء والأرض (عبثًا ولهوًا، ما خلقناهما إلا ليعمل فيهما بطاعتنا، وينتهي إلىٰ أمرنا ونهينا. ﴿ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ يقول: أي ظنّ أنّا خلقنا ذلك باطلًا ولعبًا، ظنّ الذين كفروا بالله فلم يُوَحِّدُوه، ولم يعرفوا عظمته، وأنه لا ينبغي أن يَعْبَث، فيتيقنوا بذلك أنه لا يخلق شيئًا باطلا)[1].

وأن القول بأن الوجود الإنساني خلق عبثًا بلا حكمة ولا بعث ولا جزاء، يستلزم منه القول بأن الخلق الكوني من سماوات وأرض خلق عبثًا! تعالىٰ الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

- **آيات وأحاديث العدالة الربانية:**

في الحديث القدسي، عن أبي ذر، عن النبي ﷺ، فيما روىٰ عن الله - تبارك وتعالىٰ - أنه قال: «**يا عبادي، إني حرّمت الظلم علىٰ نفسي**»[2].

إن العدل الإلهي عمّ الخلق كلهم حتىٰ الحيوانات العجماوات، كتب الله أن يقتص للمظلوم من الظالم، في الآخرة بعد انتهاء الآجال، كما جاء في حديث أن رسول الله ﷺ، قال: «**لتؤدن الحقوق إلىٰ أهلها يوم القيامة، حتىٰ يقاد للشاة الجلحاء، من الشاة القرناء**»[3].

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ١٩٠).

(٢) صحيح مسلم (٤/ ١٩٩٤). كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، حديث رقم (٢٥٧٧).

(٣) صحيح مسلم (٤/ ١٩٩٧). كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، حديث=

إذا كان هذا العدل والحكمة مع المخلوقات غير العاقلة التي لم تكلف، فكيف بالإنسان الذي أحسن خلقه وجمّل صورته، إن من عدل الله وحكمته: أن ميَّز بين الحق والباطل، وبين الخير والشر، ويعطي كل ذي حق حقه، ويفرِّق بين الخبيث والطيب، وبين البر والفاجر، وبين المسيء والمحسن، وأن يكون هناك يوم آخر ينال كل ذي حق حقه لا يبخس منه شيء ولا يظلمون، ليجازىٰ المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

قال تعالىٰ: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾ (ص: ٢٨).

وقوله تعالىٰ: ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ (القلم: ٣٥-٣٦).

- مواضع اقتران ذكر خلق السماوات والأرض بالحق بذكر العدل في الجزاء:

قال تعالىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ ﴾ (الأنعام: ٧٣).

وقوله تعالىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ (إبراهيم: ١٩ - ٢٠).

وقوله تعالىٰ: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (التغابن: ٣).

=رقم (٢٥٨٢).

إن (طبيعة هذا الكون كله من حولهم توحي بأن هذا الوجود قائم علىٰ الحق، ثابت علىٰ الناموس، لا يضطرب، ولا تتفرق به السبل، ولا تتخلف دورته، ولا يصطدم بعضه ببعض، ولا يسير وفق المصادفة العمياء، ولا وفق الهوىٰ المتقلب، إنما يمضي في نظامه الدقيق المحكم المقدر تقديرًا.

وأن من مقتضيات هذا الحق الذي يقوم عليه الوجود أن تكون هناك آخرة، يتم فيها الجزاء علىٰ العمل، ويلقىٰ الخير والشر عاقبتهما كاملة، إنما كل شيء إلىٰ أجله المرسوم، وفق الحكمة المدبرة، وكل أمر يجيء في موعده لا يستقدم لحظة ولا يستأخر)[1].

وقوله تعالىٰ: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (الجاثية: ٢١ - ٢٢). قال الزمخشري[2]: (والمعنىٰ: إنكار أن يستوي المسيؤون والمحسنون محيًا، وأن يستووا مماتًا؛ لافتراق أحوالهم أحياء، حيث عاش هؤلاء علىٰ القيام بالطاعات، وأولئك علىٰ ركوب المعاصي، ومماتًا، حيث مات هؤلاء علىٰ

---

(١) في ظلال القرآن (٥/ ٢٧٥٩ - ٢٧٦٠).

(٢) أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد، الزمخشري الخوارزمي النحوي: ولد سنة (٤٦٧ - ١٠٧٥) ولد في زمخشر (من قرىٰ خوارزم)، وسافر إلىٰ مكة فجاور بها زمنًا فلقب بجار الله. كان علىٰ مذهب المعتزلة، شديد الإنكار علىٰ المتصوفة، من أشهر مصنفاته: (الكشاف، المفصل، أساس البلاغة). توفي سنة (٥٣٨هـ - ١١٤٤م). انظر: سير أعلام النبلاء (١٥/ ١٧)، والأعلام، للزركلي (٧/ ١٧٨).

البشرىٰ بالرحمة والوصول إلىٰ ثواب الله ورضوانه، وأولئك علىٰ اليأس من رحمة الله والوصول إلىٰ هول ما أعدّ لهم)[1].

(وخلق الله السماوات والأرض بالحق كأنه دليل علىٰ الحكم السابق من حيث إن خلق ذلك بالحق المقتضي للعدل يستدعي انتصار المظلوم من الظالم، والتفاوت بين المسيء والمحسن، وإذا لم يكن في المحيا كان بعد الممات)[2].

وقد ذكر ابن الحنبلي قول بعض الحكماء: (ثبت أن الله ﷻ حكيم، والحكيم لا ينقص ما بنىٰ إلا لحكمة أتم من حكمة النقص، ولا يجوز أن يكون أنقص ولا مماثلة - علىٰ ما لا يخفىٰ -)[3].

ويقصد بذلك أن الله - سبحانه - خلق الخلق في أحسن تصوير وكمال تركيب، وينتفي أن تكون نهاية حياته الموت ولا معنىٰ لها، فإن مقتضىٰ الحكمة الإلهية بعث الأجساد بعد موتها؛ لتمام العدل الرباني بين الخلق، فكان تحقق العدل أتم من حكمة النقض.

(فمن الحكم الإلهية لوجود البعث عدل الله؛ ليجازىٰ المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته)[4].

وأن العدل والحكمة صفتان متلازمتان للرب سبحانه؛ لأن الحكمة

---

(١) تفسير الكشاف (٤/ ٢٩٠).

(٢) تفسير البيضاوي (٥/ ١٠٨).

(٣) استخراج الجدل في القرآن الكريم (٥٤).

(٤) عقيدة المسلمين والرد علىٰ الملحدين المبتدعين، صالح البليهي (١/ ٢١٩).

الربانية تستلزم كمال العدل، وإثبات العدل ونفي الظلم عن الرب يقتضي كمال الحكمة الإلهية.

- **ومواضع من القرآن ترسم الغاية من الحياة والموت**، وأنه ليبتلي العباد أيهم أحسن عملًا، قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ (الملك: ٢).

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (الكهف: ٧).

يتضح من الآيات أن التكليف في الحياة، ليس المراد منه أن أناسًا تموت ويحيا آخرون، بل أنهم محاسبون ومجازون علىٰ أعمالهم، وأنهم في موضع اختبار يبتليهم الله: أيهم أحسن عملًا؟

فكما أن الإيمان بالخالق لهذا الوجود يعطي تفسيرًا لهذا الوجود ونشأته، فكذلك الإيمان باليوم الآخر يلبس الحياة قيمة عالية، ويبث فيها الروح والأمل والنشاط علىٰ العمل الصالح.

كما أن الدلالة النقلية دلت علىٰ وجود البعث والجزاء والحساب؛ كذلك علم عن طريق العقل إمكانه وصحة وقوعه.

و(الأدلة العقلية الشرعية المستخدمة لتقرير الجزاء الأخروي، ثوابًا وعقابًا، ترجع إلىٰ مقتضىٰ صفتين عظيمتين من صفات الرب - جل وعلا -:

الأولىٰ: كمال الحكمة، المستلزم تنزهه عن العبث واللعب.

الثانية: تنزهه عن الظلم، المتضمن اتصافه بكمال العدل.

وذلك؛ أن كمال الحكمة يقتضي كمال العدل ويستلزمه، كما أن نفي

الظلم عن الله - تعالىٰ - يتضمن إثبات كمال العدل والحكمة)[1].

- أن الحكمة والعدل الإلهي يقتضان تحقق الجزاء والحساب:

إن الحياة مليئة بالعبر والمحن، وإننا نرىٰ أناسًا ظالمين طاغين مستبدين علىٰ الخلق يهلكون النسل والحرث، ثم ماتوا دون أن يقتص منهم، ونرىٰ أناسًا مظلومين سلبت حقوقهم، ووافتهم المنية دون أن ينصفهم أحد، أفإن كانت الحياة الدنيا هي الحياة الأبدية التي ليس بعدها بعث ولا نشور تكون حياة ذات قيمة وعدالة؟! إن العدالة والحكمة الربانية تقتضي خلاف ذلك.

ثم الخليقة البشرية منهم المؤمن الصالح، والمحسن لنفسه، والسابق بالخيرات، ومنهم الكافر الفاجر، الظالم لنفسه، المعتدي علىٰ غيره، هل يجوز أن يستويا في المآل والعاقبة، علىٰ ما يراه المنكر الجاحد لليوم الآخر؟! بل إن الحكمة والعدالة الإلهية تنفي ذلك ولا تقره.

قال تعالىٰ: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ۝ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (القلم: ٣٥ - ٣٦). وقوله تعالىٰ: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (الجاثية: ٢١). وقوله تعالىٰ: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ (ص: ٢٨).

ذكر ابن القيم تعليقًا عند بسطه لهذا الآيات، فقال: (أنكر الله تعالىٰ علىٰ من نسب إلىٰ حكمته التسوية بين المختلفين، كالتسوية بين الأبرار والفجار، فدل علىٰ أن هذا حكم سيء قبيح ينزه الله عنه، ولم ينكره سبحانه من جهة أنه

---

(١) الأدلة العقلية النقلية علىٰ مسائل الاعتقاد (٥٣٢).

أخبر بأنه لا يكون، وإنما أنكره من جهة قبحه في نفسه وإنه حكم سيئ يتعالىٰ ويتنزه عنه؛ لمنافاته لحكمته وغناه وكماله، ووقوع أفعاله كلها علىٰ السداد والصواب والحكمة، فلا يليق به أن يجعل البر كالفاجر، ولا المحسن كالمسيء، ولا المؤمن كالمفسد في الأرض، فدل علىٰ أن هذا قبيح في نفسه، تعالىٰ الله عن فعله)[1].

وبهذا يتبن أن للعقل البشري إدراكًا ووعيًا لحقيقة الجزاء والبعث، وجاء الشرع مكملًا ومبينًا لها (أفلا ترىٰ كيف ظهر في العقل الشهادة بدينه وشرعه، وبثوابه وعقابه؛ وهذا يدل علىٰ إثبات المعاد بالعقل، كما يدل علىٰ إثباته بالسمع، وكذلك دينه وأمره وما بعث به رسله هو ثابت في العقول جملة، ثم علم بالوحي، فقد تطابقت شهادة العقل والوحي علىٰ توحيده وشرعه والتصديق بوعده ووعيده، وأنه سبحانه دعا عباده علىٰ ألسنة رسله إلىٰ ما وضع في العقول حسنه والتصديق به جملة، فجاء الوحي مفصلًا مبينًا ومقررًا ومذكرًا لما هو مركوز في الفطر والعقول)[2].

ومن خلال ما تقدَّم؛ يتبيَّن أن القرآن جاء بالدلائل العقلية والاستدلالات المنطقية القريبة من الإنسان ومما يحيط به؛ ليؤكد علىٰ قضية البعث والجزاء، وكانت تلك البراهين موافقة للفطر والعقول، ولا يجحد بها وينكرها إلا مكابر معاند.

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (٢/ ١١ - ١٢) (بتصرف يسير). وانظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ١٠٣).

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (٢/ ١٢).

وإن (الإيمان بالبعث هو أحد الأعمدة الثلاثة الأساسية للعقيدة الإسلامية، بل هو الصمام الذي يمد هذه العقيدة بالحياة، ويرسّخ عمقها في الضمائر والمشاعر، وترتبط به جميع الآثار الدينية في سلوك الإنسان وأعماله.

وإن العقيدة بالإله الخالق، ورسالة الأنبياء، ستظل لوحة صامتة، وترقيًا فكريًا، لا غاية فيه ولا هدف، وجامدة لا حركة فيها، إذا لم تقترن بالإيمان باليوم الآخر)[1].

وخلاصة ما سبق:

١ - أن عموم الدلائل القرآنية في الاستدلال على المعاد هي أدلة عقلية منطقية، وليست مجرد نصوص وأخبار سابقة، بل براهين وحجج مقنعة لتصويب الفهم الخاطئ بحكمة وعقلانية، والمتأمل في الأدلة السابقة يجد دليلًا واحدًا يتعلق (بالقصص القرآني) من الأمم السابقة الذين أحياهم الله بعد موتهم، فلا يحتج به على الملاحدة المنكرين للخالق؛ لأنهم لا يقرون بالوجود الإلهي فكيف بالقرآن وبما جاء فيه من استشهادات لأقوام سابقة، قال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (هود: ٤٩).

(وقد تميزت الدلائل القرآنية العقلية لإثبات المعاد بالجمع بين الشيء ولازمه:

- فلازم عدم عبثية الخلق وجوب القيامة، وقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا

(١) عقيدتنا في الخالق والنبوة والآخرة، عبد الله نعمة (٣١٣).

خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (المؤمنون: ١١٥) أسلوب استنكار على من يظن غير ذلك.

- ولازم أن الله هو الذي خلقنا أول مرة أنه قادر على إعادتنا، فإقرار الناس لا يختلف على أن إعادة صنع الشيء أهون على الصانع من صنعه أول مرة، فكيف بالله أحسن الخالقين.

- ولازم أن الله - تعالى - خلقنا في هذه الصنعة المبهرة هو قدرته على إعادة خلقنا متى شاء وكيف شاء.

- ولازم أن الله تعالى يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي قدرته تعالى على إحيائنا بعد الموت.

- ولازم أن الله تعالى يخلق النبات الحي في الأرض الميتة إذا نزل عليها الماء هو قدرته سبحانه على أن يخرج الإنسان حيًّا من باطن الأرض الميتة، بل ويحمل مع هذا صورة تقريبية عن (كيفية) هذا الإخراج، بدليل قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ (الروم: ١٩).

- ولازم أن الله تعالى خلق ما هو أعظم من خلق الإنسان، وهو السماوات والأرض، هو قدرته سبحانه على أن يتصرف بمن هو أقل من ذلك شأنًا في الخلق - وهو الإنسان - مختلف أنواع التصرف من الخلق والإماتة والبعث.

٢ - تنوعت أساليب القرآن الكريم بسطًا لأنوار أدلته لتناسب حالات الظلمة المتنوعة التي يحياها المكذبون بالبعث، فما زال الناس - على تقدم حضاراتهم المادية - على حال المكذبين في زمن التنزيل. فمنهم المؤمن

بخلق الله له ولكن لا يؤمن بالبعث والحساب، ومنهم المكذب بالخلق والبعث جميعًا، ومنهم الشاك الذي لا ينكر إمكان الخلق والبعث، ولكنه لا يرىٰ دليلًا قاطعًا علىٰ ذلك، فينكره ليريح ضميره من وطأة التكاليف.

فتنوّعت الأساليب في القرآن الكريم مثلما تنوّعت الأحوال:

• فأحيانًا يعرض القرآن الكريم مسألة، ثم يعقب عليها للتنبيه أنها دليل علىٰ البعث، كقوله تعالىٰ: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ (القيامة: ٤٠).

• ومرةً يعرض القضية ابتداءً، ثم يجيب عنها بعرض الأدلة، كقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ﴾ (الحج: ٥).

• وغالبًا ينكر علىٰ المعرضين عن الدلائل المبهرة لحقائق الكون وظنهم المريض بعدم البعث، بقوله تعالىٰ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (المؤمنون: ١١٥).

• وأحيانًا يُذكِّر بسخريتهم من البعث، قال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ (ص: ١٦).

• وأحيانًا يتعجب من قولهم، قال تعالىٰ: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (الرعد: ٥).

• وأحيانًا يهدد ويتوعد عسىٰ أن يفيق الغافل وينتبه المُعرض، قال تعالىٰ: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (يس: ٦٣ - ٦٤).

• وأحيانًا يؤكد بالقسم علىٰ حقيقة وقوع المعاد، وحتمية البعث والنشور والحساب، قال تعالىٰ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى

لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (التغابن: ٧).

٣ - احتلت حقائق الخلق في علم الأجنة وجسم الإنسان والكون واسطة العقد في الدلائل التي ساقها القرآن الكريم علىٰ البعث، ففي علم الأجنة؛ يقول تعالىٰ: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ (يس: ٧٧ - ٧٩). وفي بديع خلقه في دقائق جسمه؛ يقول تعالىٰ: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴾ (القيامة: ٣ - ٤)، وفي عظيم خلق الله تعالىٰ في كونه؛ يقول تعالىٰ: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴾ (الإسراء: ٩٩).

٤ - استحالة العبثية في خلق الكون هو أحد الأدلة العقلية التي ساقها القرآن الكريم دليلًا علىٰ حتمية البعث.

ولاستكمال إيضاح منهج العبثية عند الملحدين واللاأدريين في هذا العصر؛ نقول: إنهم جميعًا مجتمعون علىٰ اتخاذ نظرية التطور حقيقة علمية، فهي دينهم الذي لا يتخلون عنه. ورغم الشبهات التي في هذه النظرية فهي عندهم أرسخ دليلًا من حقائق دلائل الخلق والوحدانية والبعث التي تحيط بنا في كل ناحية من نواحي الحياة، وفي كل لحظة من لحظات العمر، وما ذلك إلا لأن تلك النظرية عندهم تعني أن وجود الكائنات الحية هو صورة من صور العبث، وأنها قد أتت في أول الأمر بطريق الصدفة وتطورت إلىٰ ما هي عليه بلا عقل يوجهها ولا هدف تسعىٰ إليه، وبذلك فلا فضل لأحد عليهم في

وجودهم ولا هم مدينون لأحد فيستحق أن يحاسبهم علىٰ أعمالهم، ورغم اعترافهم بإبهار تركيب الجسم الإنساني، إلا أنهم يعتبرون ذلك قد تم بلا قصد، حتىٰ يقول كبير الملحدين في هذا العصر (ريتشارد دوكنز) ما حاصله: إن الإنسان قد تم تكوينه عن غير قصد بفعل الطبيعة التي أنتجته وكأنها صانع ساعات أعمىٰ (Blind watchmaker)، فالأمر عندهم ليس فيه قصد ولا تقدير بل هو عبث، والآية الكريمة: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (المؤمنون: ١١٥). تنفي العبثية وتثبت ما يستتبع ذلك من وضع القانون الحق في الدنيا والبعث الحتمي بعد الموت للحساب وفق هذا القانون، تعالىٰ الله عما يصفون)"[1].

❊❊❊

---

(١) موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، بعنوان: الأدلة العقلية للقرآن الكريم في إثبات الخلق والتوحيد والبعث، أ. د. مصطفىٰ عبد المنعم (بتصرف واختصار). الرابط:
http://quran-m.com/container2.php?fun=artview&id=1089#sthash.mZkYII9x.dpuf

المبحث الثاني:
شبهات المنكرين لليوم الآخر والرد عليها

عني القرآن الكريم بإثبات حقيقة البعث، ودحض كافة الشبهات التي يتمسك بها المنكرون محاولين إثارة الشك في حقيقة إمكان وجود البعث وحياة بعد الموت.

ويذكر أبو حامد الغزالي[1] عن شرحه لاسم الله تعالىٰ (الباعث) قال: (هو الذي يحيي الخلق يوم النشور، ويبعث من في القبور، ويحصل ما في الصدور، والبعث هو النشأة الآخرة، ومعرفة هذا الاسم موقوفة علىٰ معرفة حقيقة البعث، وذلك من أغمض المعارف، وأكثر الخلق منه علىٰ توهمات مجملة وتخيلات مبهمة، وغايتهم فيه: تخيلهم أن الموت عدم، والبعث إيجاد مبتدأ بعد عدم، مثل الإيجاد الأول، فظنهم أن الموت عدم غلط، وظنهم أن الإيجاد الثاني مثل الإيجاد الأول غلط...)[2].

---

(١) محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد الغزالي، (٤٥٠ - ٥٠٥هـ): من أشهر مصنفاته: (إحياء علوم الدين، المنقذ من الضلال، تهافت الفلاسفة). انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٦٧)، وموسوعة الفلسفة، عبد الرحمن بدوي (٢/ ٨٠).

(٢) المقصد الأسنىٰ (١٢٣).

إن الدهرية الملحدين المنكرين للخالق نجد أنه ليس لديهم عقيدة لحقيقة البعث بعد الموت، فبالتالي هم منكرون للدار الآخرة وللحساب والجزاء؛ لأنهم لا يملكون مستندًا علميًّا يستندون إليه، وهؤلاء خاطبهم القرآن الكريم، وحاجهم في محاولة ردهم إلىٰ نقطة الخلاف الأساسية، وهي الإيمان بالله تعالىٰ وكمال صفاته وعظمة حكمته، ويلفت النظر إلىٰ أن الخالق الحكيم العليم يصرف الأمور ويدبرها بحكمة، ولا يمكن أن يخلق الناس عبثًا، وتنتهي قصة حياته بمجرد موته، فهو يقيم دليلًا مزدوج الهدف، فإذا أدرك الملحد هذه الحقيقة لا يسعه إلا التسليم بوجود الحياة الآخرة، وبما جاءت به الرسل من أخبار صادقة صريحة[1]؛ لأن الحوار معهم في الدار الآخرة سيغدو عقيمًا إذا كانوا مصرين علىٰ جحود الصانع، (لكنهم متىٰ قبلوا التسليم الكلي أو الجزئي بعقيدة الإيمان بالله تعالىٰ، حينئذ نستطيع أن نجد سبلًا متعددة لمناقشتهم، ونستطيع أن نقدّم لهم المسوغات العلمية والعقلية، التي تدعم قضية الإيمان بالحياة الآخرة والدار الآخرة للحساب والجزاء.

إن الحقائق الكبرىٰ في الوجود تبدأ من منطلق واحد، وحين يتعذر الاتفاق علىٰ هذا المنطلق، فإن الاتفاق علىٰ ما يبنىٰ عليه أكثر تعذرًا، بل قد يغدو أمرًا مستحيلًا)[2]. أما المنهج القرآني في محاجة المنكرين للبعث المقرين بوجود الخالق، فيعتمد علىٰ استقصاء شبهاتهم التي ألبست الحق علىٰ الباطل، وتفنيد مقالاتهم بالحجج العقلية والبراهين الدامغة، وقد بانت

---

(١) انظر: صراع مع الملاحدة حتىٰ العظم، عبد الرحمن حبنكة الميداني (١١٦).

(٢) صراع مع الملاحدة حتىٰ العظم، عبد الرحمن حبنكة الميداني (٩٩).

مظاهر اهتمام القرآن بقضية البعث بعد الموت، ومجادلة منكريه، وبيان تهافت شبهاتهم، وأن ليس لهم مستند علمي إلا الظن والتخمين، وإن الظن لا يغني من الحق شيئًا.

وقد عرضت الآيات لقضية البعث كثيرًا، (وإنَّ عقيدة البعث لبّ الإيمان، وغاية من غايات الرسائل الإلهية؛ ولذلك تجد القرآن يحتفي ببيان حقيقة البعث، وتنبيه العقول إليه، وما من موضع في القرآن الكريم إلّا ذكر فيه البعث وقيام الدليل عليه، بقياس قدرة الله - تعالىٰ - علىٰ الإعادة علىٰ قدرته علىٰ الابتداء، وأنَّ البعث تكون الحياة الدنيا من غيره عبثًا لا جدوىٰ فيها)[1].

وبهذا السياق القرآني المتكامل لعرض الأدلة والحجج والبراهين العقلية لمناقشة الدهرية وعرض المنكرين للبعث وشبهاتهم، وتفنيدها والرد عليها بالاستدلال العقلي المنطقي المتنوع، فلم يعرض لقضية البعث من منظور واحد بل من جميع الجوانب، حتىٰ لم يدع شبهة إلا فنّدها ودحض تهافتها، ووجّه الخطاب إلىٰ كافة الفئات البشرية من فلاسفة وعلماء وعامة، وجاء بالأدلة والحجج الدامغة والبراهين الساطعة، التي تلزم العقل البشري بالتسليم والإذعان.

ومهما تنوعت أقوال الملحدين المنكرين لليوم الآخر؛ فجميعها تنصب في أن هذه الحياة واحدة ليس وراءها حياة أخرىٰ، وليس لديهم حجة لهذه الدعوىٰ سوىٰ استبعاد إمكان حدوث ذلك، وأن النشأة الأولىٰ تختلف عن

---

(1) المعجزة الكبرىٰ القرآن، لأبي زهرة (٢٩٩).

النشأة الثانية، والمطالبة بالمشاهدة الحسية أن هناك حياة بعد الموت، وأن يحيوا أباءهم ومن سلف من أجدادهم، حتىٰ يؤمنوا بأن هناك حياة بعد الموت، فجحدوا المعقول، وطمسوا العقول بالضلال والظلمة، وضلوا سواء السبيل.

وفيما يلي عرض لأبرز شبهات المنكرين لليوم الآخر، والرد القرآني عليها:

الشبهة الأولىٰ: أن الحياة مجرد حياة واحدة، حياة ثم موت ليس وراءه حياة أخرىٰ، وهؤلاء البشر ما هم إلا أناس يحيون ثم يموتون، وهكذا دون أن يكون هناك بعث ولا حساب ولا جزاء.

مضمون الشبهة:

- أن قصة الحياة الإنسانية واحدة وهي مقتصرة علىٰ الحياة الدنيا، ولا حياة بعدها ولا بعث ولا نشور.

- ويزعمون أن الله خلق الخلق وأبدع الكون في حدود هذه الحياة، وتنصب حكمته التي أرادها في ذلك!

ودعواهم في قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوٓاْ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ (الأنعام: ٢٩).

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ (الدخان: ٣٥).

وقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (الجاثية: ٢٤).

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ (المؤمنون: ٣٧).

الجواب على هذه الشبهة: أن هذا قرار استندوا إليه دون علم، فتلاشت معه الحكمة الإلهية من الخلق، فهم قرروا أن لا حكمة ولا غاية من وجود النوع الإنساني، إنما هي أجيال تحيا، وأجيال تموت، وهكذا دون أن يكون وراء هذا بعث ولا جزاء ولا نشور.

وهذه الشبهة ارتكزت على محورين متهافتين وانطلقت منها، وهما:

١ - الظن والشك، فليس لهم مستند من الحق واليقين، وإنما هم في شك وريب في اعتقادهم، ليسوا على أدنى درجات من اليقينية، وإن الظن لا يغني من الحق شيئًا.

وقد ذكر الله ﷻ بأنها دعوى مجردة عن العلم واليقين، ومبناها الظن والتخمين، قال تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (الجاثية: ٢٤).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ (الجاثية: ٣٢).

ولا شك أن العلم اليقيني الذي لا يخالجه شك هو: أن الله - تعالى - هو المنشئ لهم من العدم أول مرة، وأن مصيرهم الموت، فليسوا خالدين في الأرض، ثم البعث مرة أخرى للجزاء والحساب.

قال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (البقرة: ٢٨).

٢ - أن في قولهم اتهامًا للحكمة الربانية بالعبث - تعالى الله عن ذلك -.

وقد ساق القرآن نصوصًا كثيرة تنفي عبثية الخلق عن الخالق - جل في علاه -، وأن يكون خلق السماوات والأرض وما بينهما عبثًا وباطلًا!

وإنما خلقهما العظيم لحكمة قدَّرها العلي الكبير، تقتضي مسؤولية الإنسان وتكليفه في هذه الحياة؛ لينال الجزاء والمحاسبة على ما قدّم بالثواب أو العقاب، وبما أن هذه الحياة لا يتسنىٰ فيها الحكم الكامل والجزاء العادل؛ فيتحتم وجود حياة أخرىٰ أكمل من هذه الحياة ينال بها المحاسبة بعدل وإحكام.

(إن المنطق الحق والضمير النقي ليشعر بداهة، ولو لم تتنزل آيات الوعد والوعيد، وأنباء اليوم الآخر وما فيه من حساب وجزاء، بأن مرحلة حياتية غير هذه المراحل لا بد أن يتم فيها تحقيق العدل الإلهي، ولا بد أن يلاقي الناس فيها جزاء أعمالهم، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، ولئن كنا نشاهد أن بعض تطبيقات العدل الإلهي جارية في ظروف هذه الحياة الدنيا، ضمن سنن الله الثابتة، فإن الصورة الكاملة للعدل غير مستكملة في هذه الحياة، ولئن كانت الضرورة الأخلاقية والإيمانية تقضي بأن نفهم بأن الله قد أعدَّ ظروف حياة أخرىٰ لإقامه عدله سبحانه)[1].

ثم جاءت الآيات ترد على مقولتهم العبثية بالنفي التام والاستنكار المحال، في قوله تعالىٰ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ (المؤمنون: ١١٥ - ١١٦) (فهذا النص يكشف لنا أنه لو لم يكن وراء هذه الحياة التي تنتهي بالموت حياة أخرىٰ، تكون فيها الرجعة إلىٰ الله للحساب والجزاء، وإقامة محكمة العدل والفضل الإلهية، لكانت عملية هذا الخلق ضربًا من العبث، والله

---

(١) صراع مع الملاحدة حتىٰ العظم (١٠٠).

- تبارك وتعالىٰ - منزَّه عنه، فلا يكون في شيء من أفعاله وأحكامه وأوامره ونواهيه وشرائعه هذا العبث، بل لا بد في كل ذلك من غايات حكيمة تحددها إرادة الخالق المستندة إلىٰ علمه المحيط بكل شيء، والجديةُ الصارمة هي المظهر البارز في كل أحداث الكون وقوانينه وسننه، وإشارة إلىٰ كون الله منزَّهًا عن العبث في عمليات الخلق التي يجريها؛ قال الله تعالىٰ في هذا النص: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ﴾)[1]. أي: (تقدس أن يخلق شيئًا عبثًا، فإنه الملك الحق المنزه عن ذلك)[2].

وإن الحكمة الإلهية تقرر أن ليس المؤمن كالكافر، ولا الفاجر كالمطيع، ولا الحق كالباطل، قال تعالىٰ: ﴿أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾ (القلم: ٣٥ - ٣٦).

فبالتالي يتحتم الجزاء الأوفىٰ، والحساب العادل من الحكيم القادر، للمحسن والمسيء، وأن الذي آمن بالصانع، وشاهد بديع صنعه، وحسن خلقه في الإنسان والكون من حوله؛ تنبأ بصفات الباري العليم الحكيم القادر، فترتسم أمامه بصورة جلية أن الله تعالىٰ لم يخلق هذا الخلق عبثًا ولا لهوًا ولا لعبًا، وإنما لحكمة وغاية وهدف، فيدرك حتمية اليوم الآخر، وحقيقة وقوعه بمسلمات العقل الصريح والفطرة السوية.

وإذا تأملنا في الحياة وأحوال أهلها؛ نجد (أن ظروف هذه الحياة التي نعيشها قد تسمح للمجرمين بأن يعيشوا فيها عيشًا رغدًا ناعمًا، يصيبون فيه

---

(١) صراع مع الملاحدة حتىٰ العظم (١٠٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٥/ ٥٠٠).

المال والجاه والسلطان واللذات، كما قد تسمح للمسلمين أهل الاستقامة بمثل ذلك، وقد تسمح بأن يتمكن الفاجر من قتل التقي وظلمه وتعذيبه، واستلاب ماله والعدوان عليه في أرضه أو عرضه، وقد لا يلقىٰ الفاجر جزاءً معجلًا علىٰ فجوره، بل قد يمهل وتأتيه منيَّته دون أن ينال شيئًا من جزائه، فلولا أن حياة أخرىٰ غير هذه الحياة قد أعدت في برنامج المقادير الربانية لإقامة الجزاء الذي توجبه حكمة الخالق؛ لكانت النتيجة الحكم علىٰ الخالق بأنه قد رضي بأن يجعل المسلمين كالمجرمين سواء محياهم ومماتهم، وهذا يتنافىٰ مع أصول العدل والحكمة الإلهية، لذلك؛ فهو مرفوض عقلًا، ولما كان هذا الاحتمال مرفوضًا؛ فإن الاحتمال المقابل له - وهو وجود الحياة الأخرىٰ التي يتحقق فيها التمييز بين المسلمين والمجرمين - هو من الأمر الحتمي الذي لا مناص من اللجوء إلىٰ إدراكه عقلًا، والتسليم به عقيدة، وهو طبعًا: الاحتمال الذي قررته النصوص الدينية وأخبرت به)[1].

إذَنْ (لا بد من يوم يميز بين الحق والباطل، ولا بد للظالم والمظلوم أن يجنيا ثمارهما، وهذا مطلب لا يمكن إقصاؤه من مقومات التاريخ، كما لا يمكن إبعاده عن فطرة الإنسان.

إن هذا الفراغ الشاسع الذي يفصل ما بين الواقع والفطرة يقتضي ما يشغله. إن المسافة الهائلة بين ما يحدث وبين ما ينبغي أن يحدث تدل علىٰ أن مَسْرحًا آخر قد أُعِدَّ للحياة، وأنه لا بدَّ من ظهوره، فهذا الفراغ العظيم يدعو إلىٰ تكميل الحياة.

---

(١) صراع مع الملاحدة حتىٰ العظم (١٠٥).

إذا لم تكن هناك قيامة فمن ذا الذي سوف يكسر رؤوس هؤلاء الطواغيت الطغاة؟!

والواقع: أن هذه المشاعر مشاعر فطرية ونظرية لا تنكر، وهي الهادية إلىٰ تصور الحياة الأخرىٰ لإقامة العدل الإلهي الأكمل)[1].

إن مقتضىٰ الحكمة الإلهية تقتضي العدل الرباني الذي يجري بمقتضاه ثبوت البعث والجزاء، لإعطاء كل ذي حق حقه، ويجازىٰ المحسن، ويعاقب المسيء.

قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾ (ص: ٢٧ - ٢٨).

ثم إن هذه الجاهلية القديمة التي تؤكد علىٰ عبثية الكون، وأن لا حكمة من وجوده ليست حصرًا علىٰ الدهرية القدماء، بل هي متماثلة في كل من نهج نهجهم من ملاحدة العصر، (فهذا «سارتر»[2] الكاتب الوجودي الملحد، يقول: إن الوجود كله عبث، كله باطل! وإن حياة الإنسان لا معنىٰ لها ولا حكمة فيها! قال تعالىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ (ص: ٢٧).

---

(١) الإسلام يتحدىٰ (١٤٢ - ١٤٣).

(٢) جان بول سارتر: ولد عام (١٩٠٥م)، أشهر الوجوديين الفرنسيين، ينتسب إلىٰ المذهب الوجودي، يعرف الوجودية بأنها مذهب إنساني، وهو مادي ملحد، يظن أن الإلحاد يستلزم القول بأن الوجود في الإنسان سابق علىٰ الماهية. انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم (٤٥٧)، وموسوعة الفلسفة، عبد الرحمن بدوي (١/ ٥٦٣).

وإنه حين لا يؤمن الإنسان بالله واليوم الآخر؛ فهكذا تصبح صورة الحياة في حسه، وهكذا تصبح صورة الكون كله، السماء والأرض وما بينهما، بما فيها حياة الإنسان.

ولا تستقيم الصورة ولا يتبين الحق، حتىٰ توضع التكملة الطبيعية للحياة الدنيا، وهي اليوم الآخر الذي يحاسب الناس فيه فيكرمون أو يهانون.

عندئذ يتضح الحق في خلق السماوات والأرض، والحق في خلق الإنسان وحياته علىٰ الأرض.

وتتبين الحكمة في خلق الحياة والموت، والحكمة في جعل ما علىٰ الأرض زينة لها.

ولكن الجاهلية تقطع الصورة فتشوهها، ثم تقول: إن الحياة لا معنىٰ لها ولا حكمة فيها!

ولقد كان الدهريون من قبل علىٰ نفس المستوىٰ من الحماقة التي عليها كفار اليوم وفلاسفتهم «الملحدون» ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ﴾ (الجاثية: ٢٤).

وسواء قالوا ذلك استكثارًا علىٰ الله أن يقدر علىٰ بعث الموتىٰ، أو نفيًا لوجود الله البتة؛ فقد عجزت بصيرتهم المطموسة عن إدراك الحق الذي خلقت به السماوات والأرض، والحياة والموت، فعاشوا كالسائمة، لا يدركون لحياتهم معنىٰ، ولا لوجودهم هدفًا، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ (محمد: ١٢))[1].

---

(١) ركائز الإيمان، محمد قطب (٣٩٨ - ٣٩٩).

إن الله تعالىٰ خلق الإنسان ولم يتركه هملًا دون رعاية ولا اهتمام، ولا غاية ولا حكمة، فقد خلقه بعناية، وسوىٰ خلقه بإحكام، ودبر أمره، وسخر خلقه له لحكمة، قال تعالىٰ: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ (القيامة: ٣٦). قال ابن القيم: (أي: مهملًا معطلًا لا يؤمر ولا ينهىٰ، ولا يثاب ولا يعاقب، وهذا يدل علىٰ أن هذا مناف لكمال حكمته، وأن ربوبيته وعزته وحكمته تأبىٰ ذلك، ولهذا أُخرج الكلام مخرج الإنكار علىٰ من زعم ذلك، وهو يدل علىٰ أن حسنَه مستقر في الفطر والعقول، وقبحَ تركه سدًا معطلًا أيضًا مستقر في الفطر؛ فكيف ينسب إلىٰ الرب ما قُبْحُه مستقر في فطركم وعقولكم)[1].

وآيات تقرر العدل الإلهي في الكون، قال تعالىٰ: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (الجاثية: ٢١).

(لما كان ظالم ومظلوم قد غادرا هذا الوجود دون أن يؤخذ الحق من أحدهما للآخر، فالمحتوم إذن حسابهما في عالم آخر لا مناص من ذلك، ولا خلاص.

وهي مصير حتمي من حيث العدالة، لنفي الظلم الكامل المطلق، وإعادة الحقوق إلىٰ أصحابها، إذَنْ فالإمكان متوفر، والضرورة ملزمة، فلا بد من يوم الحساب)[2]. وعند النظر في قضية الخير والشر في الأرض تتقرر العدالة الربانية والحكمة الإلهية، وذلك؛ (أنَّ العالم يتنازع فيه الخير والشر،

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ٧).

(٢) الوجود الحق، للهويدا (١١١ - ١١٢) (باختصار).

ربما يتغلّب على الخير، وفي الناس الأخيار والأشرار، وقد يغلب أهل الشر على أهل الخير، وعدل الله يوجب أن تكون العاقبة للأخيار، وأن تكون للذين أحسنوا الحسنى وزيادة، والله - سبحانه - جعل الخير والشر لحكمة أرادها؛ ليبتلي الإنسان إمَّا شاكرًا وإما كفورًا، ولم يخلق الإنسان عبثًا، ولم يجعله سدًى، بل إنه مسؤول عن فعله إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

وإن ذلك يقتضي ألَّا تكون هذه الحياة الدنيا وحدها، بل لا بُدَّ من حياة أخرى تكون للأخيار الذين لم ينتصر خيرهم في هذه الحياة، ولا تكون للأشرار الذين غلبوا الأخيار ظلمًا واعتدوا وفتنوا الناس في أمورهم.

ولذلك؛ كانت الحياة الآخرة وبيانها من مقاصد الأديان السماوية، فلا يوجد دين سماوي إلَّا كان الإيمان بالبعث والحساب، والثواب والعقاب من أركان الإيمان فيه)[1].

وبهذا البيان تلاشت الشبهة المتهافتة المبنية على الظن الفاسد، والعبثية المتناهية التي يتنزه عنها الخالق العظيم، وتتقرر الحكمة الربانية الجلية التي تقود إلى الوجود الحتمي لليوم الآخر، الذي لا يشكك بإمكانيته إلا جاهل ظالم لا يبتغي للحق طريقًا.

الشبهة الثانية: أننا لم نشاهد أناسًا ماتوا ثم بعثوا، بل من مات من آبائنا وأجدادنا لم تعد لهم الحياة من جديد، فما دام الأمر لم نحسه ولم نشاهده فلا نؤمن به، بل هو محل شك وامتناع في عقولنا، وإن كنتم صادقين بوجود البعث

---

(١) المعجزة الكبرى القرآن، لأبي زهرة (٢٩٨).

والحياة بعد الموت، فأحيوا من مات من آبائنا؛ لنشهد بالدليل الحسي فنصدقكم.

مضمون الشبهة:

إن المنكرين عادة ماديون حِسّيون، لا يؤمنون إلا بالحس ويكفرون بما عداه، والمطلب الحسي ضروري، ويستند إليه في قبول الأخبار وردها، فما دام أن اليوم الآخر وبعث الأجساد الميتة لم يشاهدوه ولم يعاينوه، فليس هو محل تصديق وتسليم عندهم، بل هو موضع شك؛ لأنه ممتنع الوقوع في حسهم، ولم يدرك علمهم وحواسهم حياة أجساد بعد موتها، لذلك؛ طالبوا بالدليل الحسي المادي، فقالوا: ﴿ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ (الجاثية: ٢٥). وقوله تعالى: ﴿ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ (الدخان: ٣٦).

الجواب على هذه الشبهة: لما سيطر الحس عليهم، وأغلقت العقول منافذها، وأعلنت استحالة البعث بعد الموت، بحجة أنها لم تر يومًا من الأيام رجوع حي بعد موته، وطالبت بالدليل الحسي، وبرجوع آبائهم؛ جاء الرد القرآني عليهم متفرع المسارات، متنوعًا في الطرح، ضاربًا لهم أروع الأمثلة والأقيسة المنطقية الصريحة، البعيدة عن تعقيد الفلاسفة وفلسفة المتكلمين، متنزّلًا إلى مستوى تفكيرهم وإدراكهم؛ ليقرب إلى عقولهم ويرسم لهم صورة مصغرة لحقيقة البعث وإمكان وقوعه، بأمثلة من واقع حسهم ومشاهدتهم، وتتضح أمامهم هذه الحقيقة الواقعة لا محالة، وتتجلى للأذهان السقيمة المتعنتة.

إذ إن الإيمان بالبعث والنشور من الأمور الغيبية، و(قد أودع الله في الفطر

البشرية القدرة على الإيمان بالغيب، وميز الإنسان بهذا الأمر من بين ما ميزه به وكرمه وفضله.

إن الحيوان يعيش في حدود ما تدركه الحواس فحسب، وعالمه محصور في ذلك النطاق، ولكن الله ﷻ كرَّم الإنسان فلم يحصره في حدود ما تدركه حواسه فحسب، وإنما فسح آفاقه ووسعها، ومنحه تلك الخاصية، وهي القدرة على الإيمان بما لا تدركه الحواس، فأصبحت نفسه أرحب وأعمق من الحيوان وأصبحت آفاقه أوسع وأعلى)[1].

ولكن الجاهليات دائمًا - قديمًا وحديثًا - تشوه صورة الفكر الإنساني، وتحصره في نطاق ضيق الأفق، يتساوى فيه مع الحيوان، وتطالبه بالإيمان به وعدم قبول ما خالفه إذا كان يختص في مسائل الاعتقاد.

فردوا الغيبيات جميعها وكفروا بها، والمعاد والبعث والنشور في الزمرة الأولى التي أنكرته الملاحدة الدهرية؛ لأنه لم يدخل من ضمن الحس الذين يزعمون أنهم يؤمنون به، ولا شك (أن الحس محدود؛ إذ ليس كل الموجودات محصورة فيه، ثم إن الحس أضعف من أن يكون معيارًا للموجودات)[2].

لأنه بعد (البحث العلمي واكتشاف الأجهزة تستطيع أن تحس بأشياء كونية، كانت بالنسبة إلى الحواس البشرية أمورًا من أمور الغيب، ولما اكتشفت هذه الأجهزة، وكشفت للعلماء الباحثين ما كشفت من خفايا داخل

---

(١) ركائز الإيمان، محمد قطب (٣٩٣).

(٢) الإلحاد وسائله، وخطره، وسبل مواجهته (٤٢).

الكون؛ تراجع الفكر المادي عن تعنته قليلًا، فاعترف بوجود أشياء يمكن أن تدركها الأجهزة التي توصّل العلماء الباحثون إلىٰ اكتشافها)[1].

ثم (إن جميع أدلتهم تنحصر فِي محاولات إيهام صغار العقول وقليلي المعرفة، بأن ما لا تشاهد ذاته هو غير موجود، وتجاهلوا الأدلة العلمية، التي أثبتت - بشكلٍ قطعي - عجز الوسائل الإنسانية عن التوصل إلىٰ الإحساس بموجوداتٍ كونيةٍ كثيرة يثبتها العقل، ولا تستطيع وسائل العلم الإنسانية المادية أن تنفيها، بل الأمر بالنسبة إليها يعتمد علىٰ براهين العقل ودلائله الاستنتاجية)[2].

وفيما يلي عرض للأقيسة الصريحة والأمثال المضروبة، التي استشهد بها كتاب الله العزيز؛ لتقريب حقيقة البعث ووقوعه من العقول المنكرة:

١ - إحياء الأرض الميتة:

وقد سبق أن عرضنا لاستدلال القرآن الكريم بهذا القياس، وهو في القرآن كثير[3]، قال تعالىٰ: ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (الحج: ٥ - ٦).

---

(١) كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، عبد الرحمن حبنكة الميداني (٥٣٦) (بتصرف يسير).

(٢) كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، عبد الرحمن حبنكة الميداني (٥٤٠).

(٣) انظر الآيات الواردة مثلًا في: الأعراف (٥٧)، فاطر (٩)، الجاثية (٥)، الحديد ١٧)، الروم (١٩ - ٢٤)، الزخرف (١١)، ق (٩ - ١١).

وقوله تعالىٰ: ﴿ فَانظُرْ إِلَىٰ ءَاثَرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (الروم: ٥٠).

وذلك بتشبيه الإنسان الميت الذي فقد كل مقومات الحياة، وأخلد إلىٰ الأرض وعاد إلىٰ التراب الذي خلق منه، بالأرض الميتة التي فقدت كل مقومات الحياة وأصبحت أرضًا يابسة قاحلة، ثم يعيد الله ﷻ بقدرته الحياة إلىٰ هذه الأرض الجافة الميتة، وتصبح أرضًا حية بالخضرة والنبات.

فكذلك عودة الحياة إلىٰ الأجساد البالية تحت التراب ويُخرجها للبعث، كخروج الحبوب والبذور ثمارًا يانعة من أرض كانت قاحلة يابسة.

وقد جاء في الحديث من رواية أبي رزين (لقيط بن عامر) أنه سأل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف يجمعنا بعد ما تمزقنا الرياح والبلىٰ، والسباع؟ قال: «**أنبئك بمثل ذلك في آلاء الله، الأرض أشرفت عليها، وهي مدرة بالية، فقلت: لا تحيا أبدًا، ثم أرسل ربك ﷻ عليها السماء، فلم تلبث عليك إلا أيامًا حتىٰ أشرفت عليها، وهي شربة واحدة، ولعمر إلهك لهو أقدر علىٰ أن يجمعهم من الماء علىٰ أن يجمع نبات الأرض فيخرجون من الأصواء، ومن مصارعهم فتنظرون إليه، وينظر إليكم**»[1].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢٦/ ١٢٣ - ١٢٤). وأخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (٢/ ٤٨٦). وأخرجه المستدرك علىٰ الصحيحين، للحاكم (٤/ ٦٠٥)، وقال: (هذا حديث جامع في الباب صحيح الإسناد، كلهم مدنيون ولم يخرجاه). وقال الهيثمي عنه في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٠/ ٣٤٠): (رواه عبد الله، والطبراني بنحوه، وأحد طريقي عبد الله إسنادها متصل، ورجالها ثقات، والإسناد الآخر، وإسناد الطبراني مرسل عن=

ومما قاله ابن القيم في تعليقه علىٰ هذا الحديث: (فيه إثبات القياس في أدلة التوحيد والمعاد، والقرآن مملوء منه، وفيه أن حكم الشيء حكم نظيره، وأنه سبحانه إذا كان قادرًا علىٰ شيء؛ فكيف تعجز قدرته عن نظيره ومثله؟ فقد قرر الله - سبحانه - أدلة المعاد في كتابه أحسن تقرير، وأبينه وأبلغه وأوصله إلىٰ العقول والفطر، فأبىٰ أعداؤه الجاحدون إلا تكذيبًا له وتعجيزًا له، وطعنًا في حكمته، تعالىٰ عما يقولون علوًا كبيرًا. وقوله في الأرض: «**أشرفت عليها وهي مدرة بالية**» هو كقوله تعالىٰ: ﴿ وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ (الروم: ١٩))[1].

وعند التأمل في الحياة النباتية، و(تعاقب الموت والحياة، وظهورهما أمام أعيننا علىٰ مسرح الوجود، في ألوف المشاهد في الحياة النباتية، يفتح أمامنا باب النظر في أمر عودة الحياة إلىٰ الميت، وهذا ما أرشدنا إليه القرآن الكريم في آيات كثيرة، منها قوله تعالىٰ: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (فصلت: ٣٩).

وقوله تعالىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ

=عاصم بن لقيط). وقد عظم ابن القيم شأن هذا الحديث وقال عنه: (هذا حديث كبير جليل تنادي جلالته وفخامته وعظمته علىٰ أنه قد خرج من مشكاة النبوة،... ورواه أئمة أهل السنة في كتبهم وتلقوه بالقبول وقابلوه بالتسليم والانقياد، ولم يطعن أحد منهم فيه ولا في أحد من رواته). زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ٥٩١) (باختصار).

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ٥٩٥).

أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف: ٥٧).

وقد يقول قائل: هذا في النبات حيث يبقىٰ الجذر أو البذر؛ فأين يكون هذا في الإنسان؟

ونقول لهذا السائل: ثبت بالتجربة العلمية ظهور الحياة في الجماد بعد زوال جميع آثار الحياة وانعدام الجذور والبذور، فقد أُخذت الخلايا النباتية من الوجه السفلي لأوراق (التنباك) وسحقت سحقًا شديدًا، وعرضت لحرارة عالية حتىٰ فنيت الخلايا، وزالت آثار الحياة، وتحققت صفات الممات ولم يبقَ فيها لعودة الحياة جذر ولا بذر، فلما استُنْبِتَتْ ظهرت فيها الحياة كمن جديد، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾. وظهور الحياة في النبات، هو عين ظهور الحياة في أي كائن حي، من وجهة النظر العلمية)[1].

(وقد أصبح من الثابت علميًا اليوم: أن الموت لا يأتي علىٰ كل خلايا الجسد، وإنما يصيب معظمها، ويظل بعض منها يحمل الحياة في أعماقه، وإن بدا لنا أنه قد مات فعلًا.

وأكدت التجارب هذه الحقيقة، فقد قام أحد أطباء الألمان[2] باستخراج بعض البكتريا في جسم مات من ثلاثة آلاف وخمس مئة سنة، ووضعها في محاليل غذائية معينة محلول (الليتوم) لمدة سبع عشرة ساعة، ثم وضعها في

---

(١) الوجود الحق، للهويدا (٦٧ – ٦٨).

(٢) أزفين سانتو.

المجهر، فلاحظ أنها تتحرك، وعاشت بعد ذلك مدة!

وهذا يعني بالضبط أن الجسم إذا مات لم يأت الموت على كل ما فيه، بل يبقى فيه نوع من الحياة الكامنة، أو الحياة المتحفزة، فإذا توافرت لها ظروف مؤاتية ومناخات صالحة فإنها ستعيش من جديد - تمامًا - كحبة القمح التي تكمن في أعماقها حياة متحفزة، ولو مضى عليها زمن طويل وهي يابسة لا حياة فيها - كما تبدو لنا -، فإذا توافرت لها ظروف ملائمة وتربة صالحة غرست فيها دبت فيها الحياة ونبتت وأعطت ثمارها)[1].

فكما تشهدون قدرة الله تعالى بخروج النبات من الأرض الميتة؛ كذلك يبعث الحياة في الأجساد الميتة.

٢ - إحياء الأموات في الدنيا.

وقد سبق الحديث عن هذا الاستدلال، وقد ضرب الله للمنكرين بمثال واقعي محسوس، حصل في الحياة الدنيا، لأناس ماتوا ثم أحياهم الله ﷻ وأعاد لهم الحياة، وذكر قصصهم في القرآن قبل زمان مضى، كقصة الرجل الصالح من بني إسرائيل الذي أماته الله ثم أحياه، بعد أن شكك في البعث وأعاد له الحياة ولحماره، وقصة أصحاب الكهف الذين أماتهم الله ثلاثة قرون ثم أحياهم، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾ (الكهف: ٢١).

وقصة أصحاب البقرة من قوم موسى عليه السلام، وإحياء القتيل وإخبارهم بمن قتله. قال تعالى: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ

---

(١) عقيدتنا في الخالق والنبوة (٣١٤ - ٣١٣).

﴿ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ (البقرة: ٧٣). قال ابن كثير: (نبَّه تعالىٰ علىٰ قدرته وإحيائه الموتىٰ بما شاهدوه من أمر القتيل: جعل - تبارك وتعالىٰ - ذلك الصنع حجة لهم علىٰ المعاد)[1].

وقصة الذين خرجوا من ديارهم حذر الموت فأماتهم الله ثم أحياهم، قال تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾ (البقرة: ٢٤٣)، و(كان في إحيائهم عبرة ودليل قاطع علىٰ وقوع المعاد الجسماني يوم القيامة)[2].

والخليل إبراهيم عليه السلام وإحياء الطيور بإذن الله، وعيسىٰ عليه السلام ومعجزاته، بإحياء الموتىٰ بإذن الله.

فكما أن الله أحيا هؤلاء الأموات في الحياة الدنيا فإنه قادر - جل في علاه - أن يحيي العظام وهي رميم.

٣ - إخراج الشيء من ضده.

وقد سبق أن عرضنا لهذا الاستدلال، كإخراج الحي من الميت، وإخراج الميت من الحي، وإخراج النار من الشجر الأخضر، ونفخ الحياة في الجمادات، التي عجز عن فهمها العلماء.

وأجمعوا علىٰ (أن سر الحياة أمر مجهول لا يعرف كنهه ولا تدرك ماهيته، بل إنهم ليقفون حيارىٰ أمام سريانه في الجامد الميت فيكون حيًّا،

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٣٠٣).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٦٦١).

وخروجه من الحي فيكون ميتًا، حتىٰ أضحىٰ أمر الروح، ونفخ الحياة سرًّا معجزًا خارجًا عن نطاق قدرة الإنسان، وإلىٰ ذلك تشير الآية الكريمة في قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ (الأنعام: ٩٥))[1].

وبهذه الأمثلة والأقيسة المنطقية المتمثلة في المحسوسات أمامهم؛ قربت إلىٰ أذهانهم القاصرة حقيقة الحياة الآخرة، وأن ليس لهم حجة ولا دليل لرفض الإيمان والتصديق بقضية البعث.

ثم إن أصحاب هذه الشبهة من الملاحدة المعاصرين الذين يدعون العلمية والتصديق بالأمور المحسوسة والتجريبية، ويزعمون أنهم علىٰ حق وينكرون المعاد بحجة أن لا دليل له من الحس، وأن لم يشهدوا آباءهم وأسلافهم قد عادوا إلىٰ الحياة!

يُطرح عليهم هذا التساؤل: هل أنتم تلتزمون بهذا المبدأ في كل ما يعرض لكم في حياتكم من أمور وحقائق مختلفة المحاور؟! وهل تسعون لتحقيق الوجود الحسي ومعاينته لتقبلوا كل ما جاءكم؟! وهل ترفضون كل الحقائق التي جاءت عن غير طريقه؟!

بالتأكيد: لا يمكن ذلك، بل إن أغلب النظريات العلمية ليس لها مستند من الحس، مع ذلك يثبتها الدهريون من الماديين الملاحدة المعاصرين ويؤمنون بها لدرجة القطعية!

---

(1) الوجود الحق، للهويدا (٦٦) (بتصرف واختصار).

وهذا عين التناقض، ودليل على أن المسيّر لهم لقبول الأشياء هو الهوى.

الشبهة الثالثة: كيف يمكن لقدرة الإله أن تعيد الحياة لجسد بلي وتحلل في أجزاء الأرض وتفتت؟ فكيف يمكن إعادته بعد أن صار ترابا وصارت عظامه رفاتًا؟! فلا حقيقة لوجود البعث، ولا يمكن إعادة خلق الإنسان من جديد بعد أن أصبح رميمًا.

مضمون الشبهة:

استبعاد قدرة الله تعالى على إعادة خلق الإنسان وإحيائه كما كان، وإن كان الخالق هو القادر على خلقهم ابتداء وأبدعهم خلقًا، لكن لا يمكنه إعادة خلقهم وإحيائهم!

فَحْوَاهم: التشكيك في القدرة الإلهية، واستبعاد أذهانهم السقيمة قدرة الله تعالى على إعادة خلق الإنسان بعد أن صار ترابًا.

الجواب على هذه الشبهة: قد سلك القرآن الكريم في إقامة الحجة على المنخدعين بهذه الشبهة طريقين:[1]

الطريق الأول:

(طريق إظهار واقع التساوي بين الإعادة والبدء، وبيان أن شبهة التفاوت شبهة باطلة؛ إذ إن قدرة الله التي قدرت على ابتدائهم إبداعًا، قادرة على خلقهم بعد فنائهم إرجاعًا، فالأمران مستويان، بل الإعادة أهون في نظر الناس

---

(١) انظر: صراع مع الملاحدة حتى العظم (١١٦).

وحدود قدراتهم من الابتكار والإبداع. فمن يسلِّم بأن الله قد بدأ الخلق حتم عليه بأن يسلِّم بأنه تعالىٰ قادر علىٰ إعادته، بل هو أهون عليه)[1].

(وكما قال بعض المفكرين: أنه لا شيء أكثر عداء للمنطق والعقل الإنساني من أن نسلم بوقوع حادث في «الحال» وننكره في «المستقبل».

وإذا كانت قضية الحياة بعد الموت ممكنة بذاتها، يجوزها العقل ولا يحيلها؛ كان لا بد من إثبات أنها حقيقة واقعة)[2].

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية: (أن النشأتين نوعان تحت جنس: يتفقان ويتماثلان ويتشابهان من وجه، ويفترقان ويتنوعان من وجه آخر؛ ولهذا جعل المعاد هو المبدأ وجعل مثله أيضًا.

فباعتبار اتفاق المبدأ والمعاد فهو هو، وباعتبار ما بين النشأتين من الفرق فهو مثله، وهكذا كل ما أعيد، فلفظ الإعادة يقتضي المبدأ والمعاد...)[3].

وقياس الإعادة علىٰ النشأة الأولىٰ، وأنها ليست أصعب، بل هي أسهل لعرف العادة في نظر أي صانع إذا أعاد صنع ما تم عمله، فإنه يكون أيسر وأسهل.

وقد جاء الآيات في القرآن واصفة للحوار، قال تعالىٰ: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ

---

(1) صراع مع الملاحدة حتىٰ العظم (١١٦).

(2) عقيدتنا في الخالق والنبوة والآخرة (٣١٣).

(3) مجموع الفتاوىٰ (١٧/ ٢٥٣).

﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (يس: ٧٨ - ٧٩).

وقد ذكر المفسرون أن هذه المحاورة كانت مع (العاص بن وائل)[1] وأنه جاء إلىٰ رسول الله ﷺ بعظم حائل ففته، فقال: يا محمد أيبعث الله هـذا بعد ما أرم؟ قال: «**نعم، يبعث الله هذا يميتك، ثم يحييك، ثم يدخلك نار جهنم**»[2].

وقيل: أنها نزلت في (أبيّ بن خلف الجمحي)[3]. (وعلىٰ كل تقدير سواء كانت هذه الآيات قد نزلت في (أبي بن خلف) أو (العاص بن وائل) أو فيهما؛ فهي عامة في كل من أنكر البعث)[4]؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

وإن القدرة الإلهية عظيمة وقد ورد التحدي بأن يكونوا أي خلق يعظمونه فإن الله ﷻ قادر علىٰ إعادتهم وخلقهم بعد أن استحالوا. فقال الله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن

---

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ٥٥٤). وانظر: مختصر تفسير ابن كثير (٢/ ١٧١).

(٢) المستدرك علىٰ الصحيحين، للحاكم (٢/ ٤٦٦). كتاب: التفسير، باب: سورة يس، حديث رقم (٣٦٠٦).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٤٦٠)، وتفسير الثعلبي (٨/ ١٣٧)، وتفسير الماتريدي (٥/ ٣٣)، وتفسير البغوي (٤/ ٢٣)، والكشاف (٤/ ٣٠)، وإيجاز البيان عن معاني القرآن، للنيسابوري (٢/ ٦٩٥)، وزاد المسير في علم التفسير (٣/ ٥٣٣)، وتفسير البيضاوي (٣/ ٢٢٠)، والبحر المحيط في التفسير (٩/ ٨٤)، وتفسير ابن كثير (٦/ ٥٢٩)، وتفسير النيسابوري (٥/ ٥٤٧).

(٤) مختصر تفسير ابن كثير (٢/ ١٧٢).

يَكُونَ قَرِيبًا﴾ (الإسراء: ٤٩ - ٥١).

أي: أنكم مهما تكونوا من خلق قوي لا يقبل الإعادة والإحياء من جديد، حتىٰ ولو كنتم من حجارة أو حديد، لا تنبض بالحياة، فالله ﷻ قادر علىٰ بعثكم وخلقكم مرة أخرىٰ، (فإن المنافاة بين الحجرية والحديدية، وبين قبول الحياة أشد من المنافاة بين العَظْمية وبين قبول الحياة، وذلك أن العظم قد كان جزءًا من بدن الحي، أما الحجارة والحديد فما كانا البتة موصوفين بالحياة)[1].

وقد قرر ابن القيم الحجة البرهانية للبعث في هذه الآيات من وجهين:

الوجه الأول: أن المنكرين قالوا: (إذا كنا عظامًا ورفاتًا أئنا لمبعوثون خلقًا جديدًا، فقيل لهم: في جواب هذا السؤال: إن كنتم تزعمون أنه لا خالق لكم ولا رب، فهلا كنتم خلقًا جديدًا لا يفنيه الموت كالحجارة والحديد، أو ما هو أكبر في صدوركم من ذلك، فإن قلتم: لنا رب خالق خلقنا علىٰ هذه الصفة، وأنشأنا هذه النشأة التي لا تقبل البقاء، ولم يجعلنا حجارة ولا حديدًا، فقد قامت عليكم الحجة بإقراركم، فما الذي يحول بين خالقكم ومنشئكم وبين إعادتكم خلقًا جديدًا.

الوجه الثاني: أنكم لو كنتم من حجارة أو حديد أو خلق أكبر منهما؛ لكان قادرًا علىٰ أن يفنيكم ويحيل ذواتكم وينقلها من حال إلىٰ حال.

ومن قدر علىٰ التصرف في هذه الأجسام، مع شدتها وصلابتها، بالإفناء والإحالة، ونقلها من حال إلىٰ حال؛ فما يعجزه عن التصرف فيما هو دونها بإفنائه وإحالته ونقله من حال إلىٰ حال؟ فأخبر سبحانه أنهم يسألون سؤالًا

(١) التفسير الكبير (٢٠/ ٣٥٢).

آخر بقولهم: من يعيدنا إذا استحالت أجسامنا وفنيت؟ فأجابهم بقوله تعالىٰ: ﴿ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ (الإسراء: ٥١). وهذا الجواب نظير جواب قول السائل: ﴿ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴾ (يس: ٧٨). فلما أخذتهم الحجة ولزمهم حكمها ولم يجدوا عنها معدلا؛ انتقلوا إلىٰ سؤال آخر يتعللون به كما يتعلل المقطوع بالحجاج بمثل ذلك، وهو قولهم: متىٰ هو؟ فأجيبوا بقوله تعالىٰ: ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء: ٥٢)[1].

وقد نص الله - جل جلاله - علىٰ هؤلاء المنكرين الملحدين علىٰ أن الإعادة أهون عليه، في قوله تعالىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (الروم: ٢٧).

وهذا برهان واضح لا يحتمل الشك والريب، وذلك ببدائه العقول التي تقرر بأن إعادة الشيء أهون من صنعه ابتداءً، وذلك بمقياس القدرة الإنسانية، فكيف إذا كان الأمر متعلقًا بالقدرة العليا في الكون بالله الخالق البارئ الصانع المبدع؟! وإذا كان هو الخالق سبحانه للإنسان، المبدئ المبدع له، فهو علىٰ إعادته أقدر من باب أولىٰ، ثم (إن البعث إعادة لحياة كانت، فهو في تقدير البشر أيسر من إنشاء الحياة. وإن لم يكن بالقياس إلىٰ قدرة الله شيء أيسر ولا شيء أصعب، فالبدء كالإعادة أثر لتوجه الإرادة: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (يس: ٨٢))[2].

(فتوجه الإرادة لخلق الشيء كاف وحده لوجوده كائنًا ما يكون. إنما

---

(١) الصواعق المرسلة في الرد علىٰ الجهمية والمعطلة (٢/ ٤٧٨ - ٤٧٩).

(٢) في ظلال القرآن (٤/ ٢٤٠٩).

يقرب الله للبشر الأمور؛ ليدركوها بمقياسهم البشري المحدود)[1].

الطريق الثاني:

(طريق التنبيه على مظاهر قدرة الله في السماوات والأرض، وذلك أنه إذا كابر المنكر بعد إقامة الدليل بإظهار واقع التساوي بين الإعادة والبدء، فقال: الإعادة أشد من البدء مصرًّا على توهمه هذا، أتاه الجواب القرآني بنقله إلى ما هو أكبر في تصوره من ابتداء خلق الإنسان وإعادته، ألا وهو خلق السماوات والأرض)[2].

ومما لا شك فيه أن خلق السماوات والأرض أكبر وأعظم من خلق الإنسان ببدائه العقول، وقد نص القرآن على التفرقة بينهما، وقرنها بالتفريق بين الأعمى والبصير، والمحسن والمسيء، في قوله تعالى: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ (غافر: ٥٧ - ٥٨).

إن خلق السماوات والأرض أكبر، أي: (لإنشائهما وابتداعهما من غير شيء، أعظم من خلق البشر، ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أي: لا ينظرون ولا يتأملون لغلبة الجهل عليهم، ولذا؛ يجعلون إعادة الشيء أعظم من خلقه عن عدم، مع أنه أهون وأيسر)[3]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ومن المستقر

(١) في ظلال القرآن (٥/ ٢٩٧٨).

(٢) صراع مع الملاحدة حتى العظم (١١٧).

(٣) محاسن التأويل (٨/ ٣١٥).

في بدائه العقول أن خلق السماوات والأرض أعظم من خلق الآدميين، فإذا كان فيها من الدلالة علىٰ علم خالقها وقدرته وحكمته ما بهر العقل؛ أفلا يكون ذلك دالًا علىٰ أنه قادر علىٰ إحياء الموتىٰ لا يعي بذلك كما لم يعِ بالأول بطريق الأولىٰ والأحرىٰ؟)[1].

وتقرر بالتالي أن القادر علىٰ أن يبدع خلق السماوات والأرض هو علىٰ إعادة إحياء الإنسان الضعيف أقدر من باب أولىٰ، قال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الأحقاف: ٣٣).

وأن القدرة الإلهية أكبر وأعظم وأنه - جل في علاه - قادر علىٰ أن يخلق مثل السماوات والأرض، وأن أمره بـ (كن) فيكون، قال تعالىٰ: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (يس: ٨١ - ٨٢).

قال ابن القيم: (وهذا من أبلغ الأدلة علىٰ المعاد، أي: أن الذي خلق السماوات والأرض وخلقها أكبر من خلقكم كيف يعجزه خلقكم بعدما تموتون خلقًا جديدًا، ونظير هذا في قوله في سورة يس: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ أي: مثل هؤلاء المنكرين)[2].

وبتأمل دقيق في خلق الإنسان ابتداءً، وخلق السماوات والأرض، وعقد المقارنات بينهما، تتجلىٰ حقيقة البعث والمعاد، بدلائل العقل والبرهان.

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٣٨١).

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (٢/ ١٩٨).

الشبهة الرابعة: أن الميت يدفن في الأرض فيظل رفاته فيه وتتحلل أجزاؤه وتختلط مع تراب الأرض، فكيف يمكن إعادة صورته وهيأته، وقد ذهبت وتحللت في الأرض، وتاهت في غياهب الأرض؛ فكيف تجمع يوم البعث؟

مضمون الشبهة:

ينكر الملاحدة البعث بحجة أن الميت قد فقد كل عناصر الحياة، فلا سبيل لإحيائه مرة أخرى، وفي الشبهة الثالثة السابقة يستبعدون القدرة الإلهية لإحياء الموتى للبعث والنشور.

ومن مقالاتهم، قال تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۢۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ﴾ (السجدة: ١٠). وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (الرعد: ٥). وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ﴾ (سبأ: ٧).

الجواب على هذه الشبهة: عالج القرآن هذه الشبهة لدى المنكرين الملحدين بطريقين:

الطريق الأول: إثبات شمولية علم الله وإحاطته.

لأن قولهم وتوهمهم فيه اتهام لعظمة القدرة الربانية، واستبعاد إمكانية البعث ووقوعه، وهذا ناتج عن عدم علمهم بشمولية علم الله - جل في علاه - وكمال إحاطته بكل صغير وكبير يحيط بالنوع الإنساني من حي أو ميت، ومن أعمالهم وما تخفي صدورهم، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في

السماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، وقد جاءت الشواهد القرآنية التي تؤكد علىٰ هذه الحقيقة وترسم كمال علمه وشمول إحاطته.

تأمّل أن الله لا يغيب عنه شيء في الأرض ولا في السماء مثقال ذرة، وشمولية إحاطته في هذا الكون الفسيح في قوله تعالىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ (سبأ: ٣).

وقوله تعالىٰ: ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ۝ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴾ (ق:٣ - ٤). وعلمه سبحانه بما تخفي الصدور وما يخالجها من وسواس في قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ (ق:١٦). وقوله تعالىٰ: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (ق:١٨).

وبهذه الآيات الكريمة وغيرها يظهر الله مظاهر علمه وإحاطته بكل شيء - جل في علاه -، وتنزاح الشبهة وتنكشف الغمة عن عقولهم بتحقيق كمال العلم والإرادة الإلهية. ولعل سبب هذا يكون: أنهم يكرهون الاعتراف بوجود اليوم الآخر؛ ليتسنىٰ لهم القيام بكل أعمال الفساد والفجور دون حد أو قيد، ولا حساب ولا جزاء.

الطريق الثاني: إثبات كمال قدرة الله وعظمتها.

إن الله - سبحانه - هو الذي خلق الإنسان وأبدع صنعه، وهو المحيي والمميت، وهو القادر علىٰ إخراج الحي من الميت، والميت من الحي، وهو القادر علىٰ نقله من حال إلىٰ حال، ومن هيأة إلىٰ هيأة، والكون كله،

بمخلوقاته التي لا تُعَد ولا تحصىٰ، شاهد وبرهان علىٰ عظمة القدرة الربانية، فإذا كان هذا من فعله وداخلًا تحت قدرته، وقدر علىٰ بديع هذا الصنع، فهو علىٰ إعادة إحياء الموتىٰ أقدر، وبأجزائه التي تفتّت أعلم.

قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ (المؤمنون:٧٨ - ٨٣). ويذكر الطبري بعد أن عرض لبينات الدلائل علىٰ قدرة الله في الآيات الكريمة، في قوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ يقول: (أفلا تعقلون أيها الناس، أن الذي فعل هذه الأفعال ابتداء من غير أصل، لا يمتنع عليه إحياء الأموات بعد فنائهم، وإنشاء ما شاء إعدامه بعد إنشائه)[1].

وقد أنزل الله ﷻ العديد من الآيات التي تؤكد علىٰ قدرته علىٰ إحياء الموتىٰ، وأن ذلك لا يعجز من هو قادر علىٰ الخلق ابتداء، بل أكدت الآيات أنه سبحانه قادر علىٰ أن يعيد خلق الإنسان إلىٰ أدق تفاصيل خلقه وتصويره، فقال تعالىٰ: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾ (القيامة:٣ - ٤).

أن الله - سبحانه - قادر علىٰ أن يعيد خلق الإنسان وأن يجمع عظامه،

---

(١) تفسير الطبري (١٩/ ٦٢).

بل أيضًا أن يسويه بدقة، حتىٰ بصمة الأصابع في اليدين»[1].

يقول أبو حامد الغزالي: (ففي خلق الآدمي - مع كثرة عجائبه واختلاف تركيب أعضائه - أعاجيب تزيد علىٰ الأعاجيب في بعثه وإعادته، فكيف ينكر ذلك من قدرة الله - تعالىٰ - وحكمته من يشاهد ذلك في صنعته وقدرته، فإن كان في إيمانك ضعف فقوّ الإيمان بالنظر في النشأة الأولىٰ، فإن الثانية مثلها وأسهل)[2].

(فقول الملحد: من أين تتجمع أجزاء كل فرد وقد تبعثرت ودخلت في تكوين كثيرين آخرين؟! يجاب عنه بأن تجمّعها بقدرة الله الذي خلقها أول مرة، ولو تعذّر فهم كيفية تكونه؛ فهل يسوغ إنكار وجوده؟!

وإلا فقل له: أبِنْ لي: من أين تتجمع مواد الأعشاب التي تنبت وتصير أزهارًا، ثم ثمرًا، ثم شجرًا بعد أن يقع زرعها في الأرض ويفسد؟!

هل تفهم كيف يتصور الحيوان في الرحم، ثم ينشأ هو وأعضاؤه؟!

هل تفهم كيف تستحيل الأطعمة في الحيوان والإنسان إلىٰ لحم وعظام وشريانات وأوردة وجلد وشعر وحواس كلها في غاية الدقة والارتباط، فإن كنت لا تفهم جميع ذلك؛ فهل يمكن لك أن تنكره؟

وقد ثبت في علم الفيزيولوجيا (علم وظائف الأعضاء): أن الأركان الأولية للمادة لا تفسد، ولا تفنىٰ، وإن لحقها كثير من التغيرات والتركيبات المختلفة.

---

(١) انظر: القرآن والعلم الحديث، د. ذاكر عبد الكريم، ترجمة: فاتن الزلباني (٤٠).

(٢) إحياء علوم الدين (٤/ ٥١١ - ٥١٢).

وعليه فتثبت دائمًا هي هي، وإن قامت مع تكوين كثير من الكائنات؛ إذ لا يزال في قدرة الخالق سبحانه أن يرجعها إلى الجزء الذي قامت مع تكوينه مدة من الزمان)[1]. (فالعظام وإن تلاشت وتفرقت وتمزقت، فهو عالم أين ذهبت، وأين تفرقت، ثم يعيدها كما بدأها أول مرة، فإنه بكل شيء عليم)[2].

فشمولية العلم مقرونة بكمال القدرة الربانية، فالعلم والقدرة متلازمان، فإذا سلمنا بوجود كمال العلم وعظمة القدرة الإلهية، فإثبات البعث بلا هوادة مسلم به تبعًا لذلك.

الشبهة الخامسة: أن خلق السماوات والأرض وخلق الإنسان وإيجاده من العدم، قد أصاب الخالق - جل في علاه - بالإعياء والتعب، فكيف يعيد خلق الأموات ويعيد لهم الحياة من جديد؟!

مضمون الشبهة:

ظن المنكرين للبعث أن خلق السماوات والأرض، وخلق الأحياء، وإنشاءهم ابتداء، قد أصاب الخالق بالإعياء - تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا -[3].

الجواب على هذه الشبهة: كان الرد القرآني واضحًا وصريحًا، وذلك بيان منطلق الإرادة والأمر، والقدرة الإلهية التي جهلها هؤلاء المنكرون.

وأن الله - جل جلاله - أمره وإرادته في قوله: (كن) فيكون، وبلا شك من كان هذا أمره ونهيه وإرادته لا يصاب بالتعب والإعياء.

---

(١) دلائل التوحيد، جمال الدين القاسمي (١٠٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٦/ ٤٣٧).

(٣) انظر: صراع مع الملاحدة حتى العظم (١١٨).

وقد بيَّن الله - سبحانه - في آيات كثيرة[1]، كيفية أمره وإرادته، وأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، فقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحْيِۦ وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ (غافر:٦٨).

هو الذي يحيي ويميت، فَإِذا قَضىٰ أَمْرًا فَإِنَّما يكوّنه من غير كلفة ولا معاناة، إنما يقول له كن فيكون، فلا يحتاج في تكوينه إلىٰ عدة وتجشم كلفة[2].

(ولقد نعىٰ القرآن الكريم علىٰ ذوي الأفهام القاصرة قصورهم عن إدراك هذا المعنىٰ؛ حيث نسبوا إلىٰ الخالق الأعظم العجز والظلم)،[3] ودلائل الآيات جاءت تنفي عن الله - جل في علاه - الإعياء، فقال الله تعالىٰ لهم بطريق الاستفهام المتهكم: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (ق: ١٥). (أي: أفعجزنا عن الإبداء، حتىٰ نعجز عن الإعادة، فالهمزة للإنكار. قال الشهاب: العي - هنا - بمعنىٰ: العجز، لا التعب)[4]. (فإن اعتقدوا الإعياء نسبوا إليه العجز، وإن شكوا في خلق الجديد نسبوا إليه الظلم!)[5].

وقوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الأحقاف:٣٣).

---

(١) انظر الآيات الواردة مثلًا في: البقرة (١١٧)، آل عمران (٤٧ - ٥٩)، الأنعام (٧٣)، النحل (٤٠)، مريم (٣٥)، يس (٨٢).

(٢) انظر: تفسير الكشاف (٤/ ١٧٨)، وتفسير البيضاوي (٥/ ٦٣).

(٣) الوجود الحق، للهويدا (١١٢).

(٤) محاسن التأويل، للقاسمي (٩/ ١٠).

(٥) الوجود الحق (١١٣).

قال ابن كثير: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ ﴾ أي: هؤلاء المنكرون للبعث يوم القيامة، المستبعدون لقيام الأجساد يوم المعاد، ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ أي: ولم يكرثه خلقهن، بل قال لها: «كوني» فكانت، بلا ممانعة ولا مخالفة، بل طائعة مجيبة خائفة وجلة، أفليس ذلك بقادر علىٰ أن يحيي الموتىٰ؟!)[1].

(علىٰ أن نفي الإعياء ومناقشة المنكرين في هذا الأمر، وكذلك مناقشتهم حول بعض التوهمات الأخرىٰ، إنما هو تنزل من الخالق العظيم إلىٰ مستوىٰ تفكير المنكرين وعقولهم الساذجة؛ لإقامة الحجة عليهم من جميع الوجوه، ومحاصرتهم محاصرة فكرية ملزمة بالحق، علىٰ أن في هذه البيانات لفت نظر إلىٰ حقيقة الربوبية، وأن من مقتضىٰ خصائص صفات الربِّ الخالق قدرته الكاملة علىٰ الخلق، وهذه القدرة لها صفة البقاء الأزلي الأبدي، فهي لا تناقص، ولا تختل، ولا تعرض لها عوارض التغير، فللّه الخالق الأزلي الأبدي كلُّ صفات الكمال المطلق)[2].

❊ ❊ ❊

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٠٤).

(٢) صراع مع الملاحدة حتىٰ العظم (١١٨).

الفصل السادس:
شبهات متفرقة

الفصل السادس:

شبهات متفرقة

الشبهة الأولىٰ: أن الداعي إلىٰ ربوبية الله هو داعٍ إلىٰ الفساد وتبديل المعتقدات، لذلك؛ هو يستحق القتل، ولن نخشىٰ ربه وإن دعاه.

قال تعالىٰ: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴾ (غافر: ٢٦).

مضمون الشبهة:

يقول فرعون لملئه: اتركوني أقتل موسىٰ عليه السلام، ولن أبالي منه ومن دعائه لربه؛ ليبين للقوم عدم الاكتراث به، ثم أظهر شفقته علىٰ ملئه من موسىٰ عليه السلام وتأثير دعوته، وأنه يخاف عليهم من أن يبدل دينهم الذي نشؤوا عليه، ويظهر في الأرض الفساد بالدعوة إلىٰ التوحيد والإسلام.

الجواب علىٰ هذه الشبهة: هذه الشبهة من مكر فرعون بقومه، وإلا ظاهر حكايته مع موسىٰ عليه السلام أنه مستيقن أن موسىٰ عليه السلام نبي، وأن ما جاء به هي معجزات مؤيد بها من رب العالمين وليست من جنس السحر، وخشي إن همَّ بقتله أن تعجل له العقوبة، فحاول إيهام القوم أنهم المانعون له من قتله.

كان الرد علىٰ مقولة فرعون التي تريد الهم بقتل موسىٰ عليه السلام من قِبل

موسىٰ ﷺ نفسه، ورجل مؤمن من آل فرعون: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ (٢٧) وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ (غافر: ٢٧ - ٢٨).

قول موسىٰ ﷺ تضمّن كل معاني التوكل علىٰ الله واللجوء إليه، والاستعانة به، والاستعاذة بالله - جل وعلا - من كل متكبر لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر، تجلىٰ بها أمام أصحابه وأثبت لهم أن لا سلطان لفرعون عليه، وأن الله ناصر رسله وأوليائه المتوكلين عليه.

ثم جاء رجل من آل فرعون يكتم إيمانه عنهم، ينافح عن موسىٰ ﷺ ودعوته فبادر.

- باستبشاع فعل القتل لموسىٰ ﷺ، وأنه ليس هناك سبب مسوغ سوىٰ أن الرجل يقول: ربي الله.

- ومع ذلك؛ جاء بالمعجزات البينات التي رأيتموها وشهدتم عظمتها.

- ثم تدرج بهم بالاحتجاج بطريق التقسيم، والإنصاف في الحكم، وأبدىٰ لهم عدم العصبية لأحد منهم؛ حتىٰ يكون أدعىٰ لقبول حديثه، فقال: إن موسىٰ ﷺ لا يخلو من أحد أمرين:

- إما أن يكون كاذبًا فعليه كذبه، ولن يضركم شيئًا.

- وإما أن يكون صادقًا، فيحسن في هذه الحال الاحتياط في التعامل معه، فإن تعرضتم له بسوء فسيأتيكم بعض ما يعِدُكم به، وهذا منتهىٰ

الإنصاف والإفحام والجدل المنطقي مع المخالف.

- ثم بعد ذلك حذرهم وقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ (يحتمل أنه لو كان مسرفًا كذابًا خذله الله وأهلكه ولم يستقم له أمر، فيتخلصون منه، وأنه لو كان مسرفًا كذابًا لما هداه الله للنبوّة، ولما عضده بالبينات)[1].

وهكذا رد موسىٰ ﷺ شبهة فرعون باستعاذته بربه وتوكله عليه، وجاء الرجل المؤمن بمنهج الداعي الأمين الذي يدافع عن الحق ولا يخاف لومة لائم.

وهذه هي شبهة الطغاة في القديم والحديث في رد داعي الحق إذا صدع بالتوحيد؛ لأنهم يكرهون أن تكون ربوبية العبيد إلا لهم يأمرون فيُطاعون ويشرعون فيُتبعون، أما إذا جاءهم حكم الله كانت عبودية الخلق ليست لهم، ومشروعية الحكم لأوامر الله وحده لا شريك له.

ومحاولة التخلص من دعوة الرسل، والحط من مكانتهم، منهج قديم، فقوم نوح ﷺ أولِ الرسل: ﴿ قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴾ (الشعراء: ١١٦).

وقوم شعيب ﷺ: ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ (هود: ٩١).

وقوم إبراهيم ﷺ قال تعالىٰ عنهم: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن

---

(١) تفسير الكشاف (٤/ ١٦٣).

قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (العنكبوت: ٢٤).

وكفار قريش لم تغب عنهم هذه المحاولة: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ﴾ (الأنفال: ٣٠).

والشبهة التي يثيرها الملاحدة اليوم شبيهة بأقوال الملحدين السابقين كثيرًا، لكنها في صورة أعم، وهو أن الدين هو مصدر الفساد والضلال، ومنبع الشرور في الأرض، وهو سبب الحروب في العالم، والانحطاط والتخلف، وأن الإلحاد بريء من كل صور الشرور، فلا قتل ولا عنف ناتج عنه، بل إن الإلحاد إذا تخلص من الأديان سيعش العالم في سلام وأمان وسنكون كائنات عقلانية، وأصبغوا الفكر الإلحادي بالعلمية والتطور، وقرنوا الحضارة والعلم والتقنية بالإلحاد، ويسعىٰ الملاحدة اليوم سعيًا حثيثًا لتأكيد هذا المبدأ وترسيخه في عقول الناس، حيث تشكل هذه الدعوىٰ السمة المركزية لكثير من كتاباتهم، مثل كتاب: «كيف يسمم الدين كل شيء؟»، بل إن هذا التصور بدأ يُنشر في مناظرات ذات تفكير سطحي ساذج[1].

وعند النظر إلىٰ الدراسات التاريخية حول أسباب الحروب والمجازر في العالم؛ يتضح أن أكبر تلك الحروب كانت علمانية، وأن عددًا من الملاحدة

---

(١) كما ظهرت مناظرة عقدت في جامعة كامبردج بعنوان: «لا مكان للدين في القرن الواحد والعشرين» تحت رابط:

this house beligion has no place in the 2I st century

انظر: ميليشيا الإلحاد (٦٦).

الكبار كان يقف خلفها وتسببوا في قتل ملايين البشر، ولئن حاول الملاحدة الدفاع بقولهم: إن هؤلاء لم يمارسوا العنف والقتل بدافع الإلحاد، فالواقع الحقيقي يثبت أعمالهم الإجرامية وكراهيتهم العدائية ضد الدين، بهدم دور العبادة، واضطهاد المتدينين، ومصادرة الكتب الدينية، ومنع الحريات المتعلقة بالدين[1]. ولست بصدد التفنيد لقضية العنف والإرهاب الإلحادي ومناقشته، وإنما المقصود الإشارة إلىٰ أنها من الشبة القديمة في تاريخ البشرية للملحدين.

الشبهة الثانية: كيف حال الأمم السالفة التي لم تعبد الله ولم تؤمن به، وإنما عبدت الأوثان والأصنام؟!

قال فرعون لما جاءته الحجة القاطعة علىٰ وجود الله: ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ (طه: ٥١).

مضمون الشبهة:

لما جاء موسىٰ عليه السلام بدليل قاطع لإثبات الربوبية لله، خشي فرعون أن يزيد في تقرير تلك الحجة، فيظهر للناس صدقه، وفساد طريق فرعون، فأراد أن يصرفه عما يدعوه إليه، وحاول شغله بما ليس له علاقة بما أرسل به، وذلك؛ ليلبس علىٰ الناس أن الرسول يعلم الغيب، ويسأله عن القرون الماضية وذلك ليفتح بابًا للتخطئة والتكذيب، بالعناد واللجاج.

فقال باستفهام تعجب وتعجيز: فما شأن تلك الأمم الخالية والقرون

(١) انظر: ميليشيا الإلحاد (٦٧).

الماضية؟ ومن هو ربها؟ وكيف لم تعرفه؟ وهل هلكت دون أن تعرفه؟

وقيل: إن سؤاله أراد به التشغيب على موسى عليه السلام حتى إذا قال: إن آباءهم في النار؛ ثارت ثائرة أبنائهم فصاروا معادين لموسى عليه السلام، سِلْمًا لفرعون، وإذا قال هم في سلام؛ كانت حجة لنهوض راية فرعون وصحة مسلكه[1].

لذلك كانت إجابة موسى عليه السلام منطقية محكمة.

الجواب على هذه الشبهة: قال له فرعون: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ (طه: ٥٢). كانت الإجابة محكمة تعلقهم بالله - جل جلاله - على عكس ما قصد فرعون وأراد، فقال: إن علم هذه الأمم التي مضت عند ربي، (بأن هذا سؤال عن الغيب وقد استأثر الله به، فلا يعلمه إلا هو، وليس من وظيفة الرسالة، وإنما علمها مكتوب في اللوح المحفوظ، محصى غير منسي)[2]. قال ابن جرير الطبري: (لا يخطئ ربي في تدبيره وأفعاله، فإن كان عذّب تلك القرون في عاجل، وعجل هلاكها؛ فالصواب ما فعل، وإن كان أخر عقابها إلى القيامة؛ فالحقّ ما فعل، هو أعلم بما يفعل، لا يخطئ ربي، (ولا يَنْسَىٰ) فيترك فعل ما فِعْلُه حكمة وصواب)[3].

قال ابن القيم: (فعارضه عدو الله بكفر الكافرين به وشرك المشركين،

---

(١) انظر: التفسير الكبير (٢٢/ ٥٩)، ومحاسن التأويل، للقاسمي (٧/ ١٢٩)، والتحرير والتنوير (١٦/ ٢٣٤)، وفي ظلال القرآن (٤/ ٢٣٣٧).

(٢) محاسن التأويل (٧/ ١٢٨).

(٣) تفسير الطبري (١٨/ ٣١٨).

وهذا شأن كل مبطل، ولهذا صار هذا ميزانًا في ورثته يعارضون نصوص الأنبياء بأقوال الزنادقة والملاحدة، وأفراخ الفلاسفة، والصابئة، والسحرة، ومبتدعة الأمة، وأهل الضلال منهم، فأجابه موسىٰ ﷺ عن معارضته بأحسن جواب؛ فقال: ﴿ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ﴾ أي: أعمال تلك القرون وكفرهم وشركهم معلوم لربي، قد أحصاه وحفظه وأودعه في كتاب، فيجازيهم عليه يوم القيامة، ولم يودعه في كتاب خشية النسيان والضلال فإنه سبحانه لا يضل ولا ينسىٰ، وعلىٰ هذا فالكتاب هاهنا كتاب الأعمال، وقال الكلبي[1]: (يعني به: «اللوح المحفوظ»، وعلىٰ هذا فهو كتاب القدر السابق، والمعنىٰ علىٰ هذا: أنه سبحانه قد علم أعمالهم وكتبها عنده قبل أن يعملوها، فيكون هذا من تمام قوله الذي أعطىٰ كل شيء خلقه ثم هدىٰ، فتأمله)[2].

ثم استرسل وعاد إلىٰ تقرير ربوبية الله ووحدانيته بذكر دلائل خلقه، وآثار تدبيره فقال: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ۝ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ۝ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ (طه: ٥٣ - ٥٥).

---

(١) أبو المنذر هشام ابن الإخباري الباهر محمد بن السائب بن بشر الكلبي، الكوفي، الشيعي، الإخباري، وكان أيضًا رأسًا في الأنساب، إلا أنه شيعي، متروك الحديث. وتصانيفه جمة، يقال: بلغت مائة وخمسين مصنفًا، وله: كتاب (الجمهرة) في النسب، و(حلف الفضول)، و(المنافرات)، و(الكنىٰ)، و(ملوك الطوائف). توفي عام (٢٠٤هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٤٨)، (١٠/ ١٠١)، والأعلام للزركلي (٦/ ١٣٣)، ومعجم المؤلفين (١٣/ ١٥٠).

(٢) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن القيم (٧٩).

فبدأ بالأرض وكيف بسطها ومهدها وفرشها للبشر وفقًا لمعايشهم، وجعل فيها مسالك وطرقًا يسيرون بها ابتغاء منافعهم، ثم عرج بهم إلىٰ آفاق السماء: كيف سخر لهم السحب لإنزال الماء عليهم الذي به تكتمل حياتهم، ويخرج به رزقهم وزروعهم من أزواج النبات مختلف الصور من الطعم، والرائحة، والنوع، واللون، والشكل، فمن الذي مهد وشق الطرق وأنزل من السماء ماء، وأخرج به ثمرات مختلفًا ألوانها؟

ثم تأكلون وترعون أنعامكم فيما زرعتم وحصدتم، فمن الذي جعل الأرض صالحة للزراعة؟ ومن الذي أنبت الزرع؟ أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون؟ ومن الذي أنزل من السماء ماء طيبًا عذبًا ولم يجعله أجاجًا ملحًا، وأخرج به بقدرته وحكمته أزواج من النبات تتلقح فيها خلايا التذكير والتأنيث، ثم أخرج به زروعكم فأكلتم وجعلتم أنعامكم ترعىٰ وتأكل منها؟!

فنواميس الحياة والنظام المتقن فيها ما يدعو إلىٰ الإمعان والنظر والتفكر في النعم.

إن في هذه الآيات للمتأمل فيها دلائل علىٰ إثبات وجود الخالق ووحدانيته، ولكنها لأصحاب العقول الناهية والأبصار النافذة.

ثم يكمل السياق بالتذكير بأصل منشئهم ومصيرهم بعد الموت ثم بعثهم يوم القيامة؛ حتىٰ لا يأخذهم الغرور، فإنما خلقوا من هذه الأرض من تراب كما هو أبوهم آدم، أو هو أصل خلقتهم من النطفة المتولدة من الأغذية التي ترجع إلىٰ الأرض، ثم عند موتكم وخروج الأرواح من الأجساد تكون هذه الأرض لحافًا يضمكم، إلىٰ أن تخرجوا من الأجداث يوم الحشر منها أحياء.

وفي هذا تذكير للطاغية المكابر فرعون الذي يتسامىٰ في مقام الربوبية، أن منشأك ومرجعك ومبعثك من هذه الأرض فلا تغتر ولا تتكبر.[1]

ونختم بهذه الشبهة نماذج من شبهات الملحدين الذين حاولوا فيها رد الحق وعدم قبوله، وقد جاء الرد القرآني عليهم، وزلزل أركانهم، وتلاشت الشبة بقوة الحجة والبرهان.

* * *

---

(1) انظر: في ظلال القرآن (٤/ ٢٣٣٩).

الخاتمة...

انتهيت في هذا البحث إلىٰ جملة من النتائج، وهذا عرض موجز لأهمها:

١ - أن معرفة الله فطرية، جبلت عليها النفوس البشرية، ودلائل ربوبيته مبثوثة في الأنفس والآفاق. وأن كل شيء في الوجود يدل علىٰ الخالق، بمقتضىٰ الفطرة، والعقل الواعي يؤكد أن وراء هذا الكون خالقًا مدبرًا. ثم إن المتأمل في الكون صغيره وكبيره، وعلاقة بعضه ببعض؛ يجد فيه مقتضىٰ دلالة العناية الربانية والرعاية التامة من جميع النواحي، وإن التناغم الكوني المحكم والمتقن والمنظم، دلالة تقتضي وجود خالق حكيم قدير مصور، وإن الكون فيه من التسخير والتدبير العجيب، ما يشهد بوجود قوة عليا خالقة مسخرة مدبرة.

٢ - أن أصول الدين ترجع إلىٰ: الإيمان بالله وبوجوده وألوهيته وربوبيته، والإيمان بالرسل، والإيمان باليوم الآخر، وأن قضية الإلحاد علىٰ مر التاريخ وقعت في إنكار أحد هذه الأمور، وبهذا يتبين أن الإلحاد يتناول أصول الدين الكبرىٰ.

٣ - أن كثيرًا من الشبهات الحديثة لها جذور في القديم، وارتباط الشبهات القديمة بالحديثة، هذا يثبت أن الشبهات في جوهرها واحدة لا تتغير، وإنما الذي يتغير القالب الذي تصب فيه، والكيفية والأسلوب، ولهذا

كثير من الشبهات تتكرر في التاريخ، ويتبجح بها الملحدون رغم تهافتِها، وسذاجة أفكارها، وفي هذا دلالة علىٰ أن الإلحاد ما هو إلا انتكاس في الفطرة البشرية، وشذوذ عن المنهج الرباني في الحياة الإنسانية.

٤ – أن القرآن الكريم قد سلك ثلاثة مسالك لصياغة الشبهات، الأول: أن يورد الشبهة ثم يأتي بالرد عليها مباشرة. والثاني: أن يورد الدليل ثم يأتي بالشبهة التي سيق الدليل لأجلها. والثالث: أن يأتي بدعوىٰ الملحدين ثم يكرّ عليها بالرفض والإبطال.

٥ – مخاطبة القرآن الكريم للعقل والوجدان معًا، والبرهنة بدلائل الاستدلال علىٰ الفطرة، وأن القرآن غني بالأدلة العقلية أيضًا، والحجج القوية لمجادلة الملحدين المنكرين، خلافًا لمن يزعم أن القرآن الكريم لم يناقش قضية الإلحاد وإنكار الربوبية، وإنما يحتاج إلىٰ أدلة خارجية.

٦ – أن القرآن الكريم ناقش قضايا الملحدين ودحض شبهاتهم، وسلك في ذلك مسلكين:

الأول: تقرير الأدلة القاطعة والبراهين العقلية الساطعة الدالة علىٰ ربوبيته وألوهيته، وبالتذكير بدلائل القدرة الإلهية في الآفاق والأنفس.

الثاني: سرد القصص القرآني، في بيان مصارع الأمم السالفة المنحرفة عن الحق، في باب الربوبية، والألوهية، والإنكار للمعاد، وذلك بعرض شبهاتهم وإبطالها بالحجة والعقل، والبرهان.

٧ – تميز الجدل القرآني بالاستدلال المنطقي المتنوع الأساليب، كقضية البعث، فلم يعرض إنكارها والرد عليها من منظور واحد، بل من جميع

النواحي؛ حتىٰ لا يدع شبهة في القلب إلا فندها ودحض تهافتها، ووجه الخطاب لجميع البشر من عامة وعلماء وفلاسفة، فكانت الدلائل ملزمة ومقنعة، ومدمرة للأفكار الإلحادية.

٨ - أن قضية المعاد والبعث الجزائي، تعتبر من أكثر القضايا مناقشة في القرآن الكريم، وذلك؛ لأن كثير من البشرية قد ضلت في هذا الباب.

٩ - تنوع الدلائل العقلية والنقلية في القرآن الكريم في المسألة الواحدة، لتناسب حالات الظلمة المتنوعة التي يحييها الملحدون، وهذا يزيد في سبل الإقناع وطرائق الهداية.

١٠ - الحكمة الإلهية والعدل الرباني يقتضيان ثبوت البعث والجزاء، الذي يجري بمقتضاهما مجازاه المحسن علىٰ إحسانه والمسيء علىٰ إساءته.

١١ - من المناهج القرآنية في دحض شبهات الملحدين الانطلاق مع الخصم من فرضية يتساوىٰ فيها الطرفان في مبدأ الخطأ والصواب، حتىٰ فرض التكافؤ بين الخصمين، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (سبأ: ٢٤). وتنزل القرآن الكريم مع الخصم إلىٰ مستوىٰ تفكيرهم وإدراك فهمهم، بضرب من الأمثلة، والأقيسة المنطقية الصريحة، ليقرب إلىٰ عقولهم المعنىٰ المراد، فتتجلىٰ الحقيقة حتىٰ في الأذهان السقيمة المتعنتة، فتقوم عليهم الحجة.

١٢ - إن من كمال الدين وحجيته إلىٰ قيام الساعة: شمولية رسالته، حتىٰ مناقشة القضايا الحساسة، وهذا ما يتميز به الجدل القرآني مع الملحدين، وذلك بتأصيل قاعدة: أن الحقيقة القرآنية لا تخشىٰ البحث

مطلقًا، بل تضع مسائلها تحت المجهر والبحث والسؤال، وتنفي الحرج والحساسية في طرح القضايا لمناقشتها، مهما كانت مرسخة في الفطر السليمة، وذلك؛ لوثوقها في مصدرها، ويقينية حقائقها، ولمعرفتها أنها تملك الإجابات الشافية الوافية للرد علىٰ أهل الزيغ والإلحاد.

١٣ - أن المنهج القرآني في الرد علىٰ الملحد والمخالف عقديًّا، يتباين بين أسلوبين، ولا تناقض بينهما، أسلوب اللين واللطافة، وأسلوب الشدة والغلظة، ولكل واحد منهما مقام يقتضيه.

التوصيات:

١ - إن فقر المكتبة الشرعية العقدية حيال موضوع الإلحاد يستدعي الحاجة الماسة إلىٰ أقلام باحثين، من علماء ومفكرين؛ لنقض أسس الإلحاد، ودحض شبهاتهم المعاصرة، ونظرياتهم الزائفة، وإثراء المكتبة العقدية بمؤلفات ومصنفات ذات قيمة علمية.

٢ - ضرورة تضافر جهود الشرعيين والمختصين في مختلف الفروع العلمية؛ لمناقشة كثير من الإشكالات الإلحادية، والإجابة عنها، من خلال دورات علمية، ومؤسسات توعوية، ومراكز تأسيسية، ومنتديات ومواقع بحثية، لخلق الحصانة العقدية لدىٰ الشباب المفكر، وتجنيد الكفاءات وتدريبها، والعمل علىٰ تطوير الخطاب العقدي، والتحصين العقدي للأجيال القادمة.

والله أسأل الإخلاص والقبول في القول والعمل، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيد المرسلين.

❊ ❊ ❊

قائمة المراجع:

أولاً: المراجع العربية:

(١) إبراهيم أبو الأنبياء، عباس محمود العقاد، منشورات المكتبة العصرية، بيروت.

(٢) الاتجاهات الفكرية المعاصرة، د.علي جريشة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

(٣) إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، دار المعرفة، بيروت.

(٤) أخبار الزمان ومن أباده الحدثان، وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران، أبو الحسن علىٰ بن الحسين بن علىٰ المسعودي، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

(٥) إخبار العلماء بأخبار الحكماء، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم الشيباني القفطي، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولىٰ ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

(٦) أخبار سلاجقة الروم، ترجمة: محمد سعيد جمال الدين، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م.

(٧) أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، محمد بن إسحاق الفاكهي، تحقيق: د. عبد الملك عبد الله دهيش، دار خضر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

(٨) الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، د.سعود بن عبدالعزيز العريفي، تكوين للدراسات والأبحاث، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.

(٩) الأدلة على وجود الله تعالى، د.عمر بن سليمان الأشقر، تصميم وإخراج موقع معرفة الله، موجود بصيغة pdf.

(١٠) آراء أهل المدينة الفاضلة، الفارابي، تحقيق: د.ألبير نصر نادر، دار المشرق، الطبعة الرابعة، بيروت.

(١١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، دار ابن الجوزي، الطبعة الرابعة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(١٢) أساس البلاغة، محمود بن عمرو الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

(١٣) استخراج الجدل من القرآن الكريم، أبي الفرج عبدالرحمن الأنصاري، المعروف بابن الحنبلي، تحقيق: محمد صبحي حسن حلاق، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

(١٤) الإسلام على مفترق الطرق، بواسطة: قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام وأبيدوا أهله، جلال العالم، دار الاعتصام.

(١٥) الإسلام في عصر العلم، محمد فريد وجدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة.

(١٦) الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان، ترجمة: ظفر الإسلام خان، تحقيق: د.عبدالصبور شاهين، دار البحوث العلمية، الطبعة الرابعة، ١٤٠١هـ - ١٩٨٣م.

(١٧) الإسلام يتصدىٰ للغرب الملحد، د. محمد نبيل النشواتي، دار القلم - دمشق، الطبعة الأولىٰ، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

(١٨) إصلاح المنطق، ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، تحقيق: محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

(١٩) الأصنام، أبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي، تحقيق: أ. أحمد زكي باشا، دار الكتب المصرية، الطبعة الثالثة، ١٩٩٥م.

(٢٠) أصول الفرق والأديان والمذاهب الفكرية، د. سفر بن عبدالرحمن الحوالي، دار طيبة الخضراء للنشر والتوزيع.

(٢١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(٢٢) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، صالح بن فوزان الفوزان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

(٢٣) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، محمد بن عمر بن الحسن الرازي، الملقب بفخر الدين الرازي، تحقيق: علي سامي النشار، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢٤) إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

(٢٥) الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر، ٢٠٠٢م.

(٢٦) إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

(٢٧) إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، علاء الدين مغلطاي بن قليج الحكري الحنفي، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن محمد - أبو محمد أسامة بن إبراهيم، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

(٢٨) الإلحاد في الغرب، د. رمسيس عوض، سينا للنشر، القاهرة، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

(٢٩) الإلحاد وآثاره في الحياة الأوربية الحديثة، صالح إسحاق بامبا صالح، رسالة ماجستير جامعة أم القرى، ١٤٠٠ -١٤٠١هـ.

(٣٠) الإلحاد، وسائله، وخطره، وسبل مواجهته، د.صالح بن عبدالعزيز سندي، دار اللؤلؤة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

(٣١) الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية، آمال بنت عبد العزيز العمرو.

(٣٢) الأمثال في القرآن الكريم، د. محمد جابر الفياض، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤١٤هـ.

(٣٣) الآيات الدالة علىٰ الله وفق نهج القرآن ومذهب السلف: إبراهيم بن محسن آل عيسىٰ، دار الزمان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولىٰ، ١٤٣١هـ -٢٠١٠م.

(٣٤) الآيات الكونية ودلالتها علىٰ وجود الله، محمد متولي الشعرواي، درا القلم.

(٣٥) الآيات الكونية، دراسة عقدية، عبد المجيد الوعلان، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٢هـ - ١٤٣٣هـ.

(٣٦) إيثار الحق علىٰ الخلق في رد الخلافات إلىٰ المذهب الحق من أصول التوحيد، محمد بن إبراهيم ابن الوزير اليمني، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م.

(٣٧) إيجاز البيان عن معاني القرآن، محمود بن أبىٰ الحسن بن الحسين النيسابوري، تحقيق: د. حنيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٥هـ.

(٣٨) إيضاح المكنون في الذيل علىٰ كشف الظنون، إسماعيل بن محمد أمين البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٣٩) البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، دار الكتبي، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

(٤٠) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر- بيروت، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٠هـ.

(٤١) البدء والتاريخ، المطهر بن طاهر المقدسي، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد.

(٤٢) البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٤٣) بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت.

(٤٤) بغية المرتاد في الرد علىٰ المتفلسفة والقرامطة والباطنية، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: موسىٰ الدويش، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

(٤٥) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان.

(٤٦) تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد الحسيني، الملقّب بمرتضىٰ الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

(٤٧) تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: د. بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٣م.

(٤٨) تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير الطبري، دار التراث، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٨٧هـ.

(٤٩) تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١١١٩م.

(٥٠) تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م.

(٥١) التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد.

(٥٢) تاريخ دمشق، علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(٥٣) التبشير والاستعمار، بواسطة: قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام وأبيدوا أهله، جلال العالم، دار الاعتصام.

(٥٤) التبيان في أقسام القرآن، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت.

(٥٥) تحرير ألفاظ التنبيه، محيي الدين يحيىٰ بن شرف النووي، تحقيق: عبدالغني الدقر، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٨هـ.

(٥٦) التحرير والتنوير، تحرير المعنىٰ السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

(٥٧) تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي، تحقيق: سمير المجذوب، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٥٨) التحفة العراقية في الأعمال القلبية، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، المطبعة السلفية - القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ.

(٥٩) التدمرية، تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: د. محمد بن عودة السعوي، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة السادسة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

(٦٠) تذكرة الحفاظ، محمد بن أحمد الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

(٦١) تصحيح الفصيح وشرحه، عبد الله بن جعفر بن محمد بن دُرُسْتَوَيْه ابن المرزبان، تحقيق: د. محمد بدوي المختون، الناشر: المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية (القاهرة)، عام النشر: ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

(٦٢) التصميم العظيم، للفيزيائي ستيفن هوكنج، ليونارد ملودينو.

(٦٣) تعديل علىٰ مرجع سابق: الله والعلم الحديث، إشراف: صقر المري، سلسلة الكتب الثقافية، العدد الثالث، وزارة الدفاع، إدارة الشئون المعنوية والثقافية.

(٦٤) التعريف بدين الإسلام، علي الطنطاوي، دار المنارة للنشر والتوزيع، الطبعة السادسة، ٢٠١٢م.

(٦٥) التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

(٦٦) تفسير ابن عطيه، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٢هـ.

(٦٧) تفسير ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٩هـ.

(٦٨) تفسير ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٦٩) تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفىٰ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٧٠) تفسير الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٥هـ.

(٧١) تفسير البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٠هـ.

(٧٢) تفسير البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٨هـ.

(٧٣) تفسير الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن محمد الثعالبي تحقيق: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٨هـ.

(٧٤) تفسير الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

(٧٥) تفسير الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، علي بن محمد الشيحي، المعروف بالخازن، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٥هـ.

(٧٦) تفسير الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانيٰ، تحقيق: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب، جامعة طنطا، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٧٧) تفسير السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

(٧٨) تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٧٩) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الحنظلي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفىٰ الباز، السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ.

(٨٠) تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

(٨١) التفسير القيم، تفسير القرآن الكريم، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٠هـ.

(٨٢) التفسير الكبير، مفاتيح الغيب، محمد بن عمر الرازي، الملقب بفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.

(٨٣) تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود بن عمرو الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.

(٨٤) تفسير الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

(٨٥) تفسير المنار، تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد بن علي رضا، الهيأة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

(٨٦) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ.

(٨٧) تفسير النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبد الله بن أحمد النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

(٨٨) تفسير النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، الحسن بن محمد النيسابوري، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلميه، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

(٨٩) التفسير الوسيط للزحيلي، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

(٩٠) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

(٩١) تفسير مقاتل بن سليمان، مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

(٩٢) تلبيس إبليس، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

(٩٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، يوسف بن عبد الله بن محمد النمري القرطبي، تحقيق: مصطفىٰ بن أحمد العلوي، محمد عبدالكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧ هـ.

(٩٤) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، عبد الله بن عباس ﷺ.

(٩٥) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠١م.

(٩٦) التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ، محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري، تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

(٩٧) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، د.موريس بوكاي، ترجمة: حسن خالد، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

(٩٨) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف، عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، عالم الكتب ٣٨ عبدالخالق ثروت، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

(٩٩) التيجَان في مُلوكِ حِمْيَرْ، جمال الدين عبد الملك بن هشام الحميري المعافري، تحقيق: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء، الطبعة الأولىٰ، ١٣٤٧هـ.

(١٠٠) جامع الرسائل، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، دار العطاء، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(١٠١) جذور البلاء، بواسطة: قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام وأبيدوا أهله: جلال العالم، دار الاعتصام.

(١٠٢) جمعه: محمد بن يعقوب الفيروزآبادىٰ، دار الكتب العلمية، لبنان.

(١٠٣) جمهرة اللغة، محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٩٨٧م.

(١٠٤) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: علي بن حسن - عبد العزيز بن إبراهيم - حمدان بن محمد، دار العاصمة، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

(١٠٥) الجواهر في تفسير القرآن الكريم، المشتمل علىٰ عجائب بدائع المكونات وغرائب الآيات الباهرات، طنطاوي جوهري، شركة مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٤٧هـ.

(١٠٦) حاشية الشمني، تقي الدين أحمد بن محمد الشمني، المطبعة البهية بمصر.

(١٠٧) حاشية كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن محمد القحطاني، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ.

(١٠٨) الحكمة في مخلوقات الله، أبي حامد الغزالي، تحقيق: محمد رشيد قباني، دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

(١٠٩) الحور العين، نشوان بن سعيد الحميرىٰ اليمني، تحقيق: كمال مصطفىٰ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٤٨م.

(١١٠) خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، سيد قطب، دار الشروق، الطبعة الثانية عشر ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

(١١١) خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم ﷺ، د. الشحات محمد أبو ستيت، مطبعة الأمانة، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

(١١٢) خصيصة التدرج في الدعوة إلىٰ الله، د.أمين الدميري.

(١١٣) درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

(١١٤) دعوة التوحيد، محمد خليل هراس، مكتبة ابن تيمية.

(١١٥) دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: د. محمد السيد الجليند، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.

(١١٦) دلائل التوحيد، جمال الدين القاسمي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.

(١١٧) الدلائل والاعتبار علىٰ الخلق والتدبير، عمرو بن بحر الجاحظ، مطبعة محمد بن راغب الطباخ الحلبي العلمية، حلب، الطبعة الأولىٰ، ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م.

(١١٨) الدين، د. محمد دراز، دار القلم، الكويت، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

(١١٩) الرد علىٰ القائلين بوحدة الوجود، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، تحقيق: علي رضا بن عبد الله بن علي رضا، دار المأمون للتراث - دمشق، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

١٢٠) الرد على المنطقيين، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

١٢١) رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق: عبد الله شاكر محمد الجنيدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: ١٤١٣هـ.

١٢٢) الرسل والرسالات، عمر بن سليمان الأشقر، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الرابعة عشرة، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م.

١٢٣) ركائز الإيمان، محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١٢٤) روائع التفسير، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار العاصمة، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١٢٥) الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٢٦) زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٢٧) زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ -١٩٩٤م.

(١٢٨) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تحقيق: مسعد عبد الحميد السعدني، دار الطلائع.

(١٢٩) الزاهر في معاني كلمات الناس، محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

(١٣٠) السبعة في القراءات، أحمد بن موسى بن مجاهد البغدادي، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ.

(١٣١) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى.

(١٣٢) السنة، عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: د. محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(١٣٣) سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السِّجِسْتاني، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط، محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

(١٣٤) سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي، إبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

(١٣٥) السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

(١٣٦) سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(١٣٧) سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(١٣٨) سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

(١٣٩) سيرة ابن هشام، السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، تحقيق: مصطفىٰ السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.

(١٤٠) شرح العقيدة الأصبهانية، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: د. محمد بن عودة السعوي، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٣٣هـ.

(١٤١) شرح العقيدة الأصبهانية، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: محمد بن رياض الأحمد، المكتبة العصرية- بيروت، الطبعة الأولىٰ- ١٤٢٥هـ.

(١٤٢) شرح العقيدة الطحاوية، عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net. (الكتاب علىٰ المكتبة الشاملة).

(١٤٣) شرح العقيدة الطحاوية، محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني، دار السلام للطباعة والنشر التوزيع والترجمة، الطبعة المصرية الأولىٰ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

(١٤٤) شرح العقيدة الطحاوية، محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة العاشرة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

(١٤٥) شرح العقيدة الواسطية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، تحقيق: سعد بن فواز الصميل، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٣٢هـ.

(١٤٦) شرح حديث النزول، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

(١٤٧) الشرك في القديم والحديث، أبو بكر محمد زكريا، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثالثة ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

(١٤٨) شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، إشراف: مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، بالتعاون مع الدار السلفية، بومباي، الهند.

(١٤٩) الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ، عياض بن موسىٰ اليحصبي السبتي، دار الفيحاء، عمان، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.

(١٥٠) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار المعرفة، بيروت.

(١٥١) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني، تحقيق: د. حسين بن عبد الله العمري، مطهر بن علي الإرياني، د. يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

(١٥٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

(١٥٣) صحيح أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م.

(١٥٤) صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٢هـ.

(١٥٥) صحيح الجامع الصغير وزياداته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي.

(١٥٦) صحيح سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

(١٥٧) صحيح مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلىٰ رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(١٥٨) صحيح وضعيف سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، برنامج منظومة التحقيقات الحديثية، مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة، الإسكندرية.

(١٥٩) صراع مع الملاحدة حتى العظم، عبدالرحمن حبنكة الميداني، القلم، دمشق.
(١٦٠) الصفدية، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية، مصر، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.
(١٦١) صناعة التفكير العقدي، تحرير: د. سلطان العميري، تكوين للدراسات والأبحاث، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.
(١٦٢) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
(١٦٣) صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت.
(١٦٤) ضعيف الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي.
(١٦٥) طبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.
(١٦٦) طبقات المفسرين، محمد بن علي الداوودي، دار الكتب العلمية، بيروت.
(١٦٧) العبادة، رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله وتحقيق معنى التوحيد والشرك، عبدالرحمن بن يحي المعلمي اليماني، تحقيق: الشبراوي بن أبي المعاطي المصري، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

(١٦٨) عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين، صالح بن إبراهيم البليهي، المطابع الأهلية للأوفست، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ.

(١٦٩) العقيدة في الله، د. عمر بن سليمان الأشقر، دار النفائس، الأردن، الطبعة الخامسة عشرة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٤م.

(١٧٠) عقيدتنا في الخالق والنبوة والآخرة، عبدالله نعمة، مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

(١٧١) العلم في منظوره الجديد، روبرت اجروس، بواسطة العلمانيون والقرآن الكريم، تاريخية النص، د. أحمد إدريس الطعان، دار ابن حزم للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى،١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

(١٧٢) العلم يدعو إلى الإيمان، أ. كريسي موريسون، وكان قبل الترجمة بعنوان: الإنسان لا يقوم وحده، ترجمة: محمود صالح الفلكي، دار وحي القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

(١٧٣) علماء نجد خلال ثمانية قرون، عبدالله بن عبد الرحمن بن صالح البسام، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.

(١٧٤) العلمانيون والقرآن الكريم، تاريخية النص، د. أحمد إدريس الطعان، دار ابن حزم للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

(١٧٥) العين، الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار الهلال.

(١٧٦) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، أحمد بن القاسم الخزرجي، أبو العباس ابن أبي أصيبعة، تحقيق: د. نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت.

(١٧٧) الفائق في غريب الحديث والأثر، محمود بن عمرو الزمخشري، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان، الطبعة الثانية.

(١٧٨) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

(١٧٩) فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني اليمني، دار ابن كثير، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

(١٨٠) فتح رب البرية بتلخيص الحموية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الوطن للنشر، الرياض.

(١٨١) الفتوى الحموية الكبرى، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: د. حمد بن عبد المحسن التويجري، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

(١٨٢) فقه اللغة وسر العربية، أبو منصور الثعالبي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

(١٨٣) الفكر المادي في ميزان الإسلام، د. صابر طعمية، مكتبة دار المعارف، الرياض.

(١٨٤) الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، يحيى فرغل، مطبوعات جامعة الأمارات العربية المتحدة، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

(١٨٥) الفلسفة القرآنية، عباس محمود العقاد، منشورات المكتبة العصرية، بيروت.

(١٨٦) الفوائد، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
(١٨٧) في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، الطبعة السابعة عشر، ١٤١٢هـ.
(١٨٨) الفيزياء ووجود الخالق، مناقشة عقلانية إسلامية لبعض الفيزيائيين والفلاسفة الغربيين، جعفر شيخ إدريس، مجلة البيان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
(١٨٩) قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام وأبيدوا أهله، جلال العالم، دار الاعتصام.
(١٩٠) القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
(١٩١) القرآن والعلم الحديث، د. ذاكر عبد الكريم، ترجمة: فاتن الزلباني. متوفر بصيغة pdf.
(١٩٢) قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، نديم الجسر، طرابلس-لبنان.
(١٩٣) قصة الحضارة، وِل ديورَانت، ويليام جيمس ديورَانت، ترجمة: د. زكي نجيب محمُود وآخرين، دار الجيل، بيروت، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
(١٩٤) القصص القرآني، عرض وقائع وتحليل أحداث، د. صلاح الخالدي، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

(١٩٥) القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.

(١٩٦) القيامة الكبرىٰ، د. عمر بن سليمان الأشقر، دار النفائس، الأردن، الطبعة الثالثة عشرة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٤م.

(١٩٧) الكامل في التاريخ، علي بن أبي الكرم محمد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

(١٩٨) كتاب الأفعال، علي بن جعفر بن علي السعدي، المعروف بابن القَطَّاع الصقلي، عالم الكتب، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

(١٩٩) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفىٰ بن عبد الله كاتب جلبي، المشهور باسم حاجي خليفة، مكتبة المثنىٰ، بغداد، ١٩٤١م.

(٢٠٠) الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، ابن رشد، أو نقد علم الكلام ضدًا علىٰ الترسيم الأيديولوجي للعقيدة ودفاعًا عن العلم وحرية الاختيار في الفكر والفعل، مدخل ومقدمة: د. محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولىٰ، ١٩٩٨م.

(٢٠١) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسىٰ الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٢٠٢) كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة الخامسة، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢م.

(٢٠٣) اللباب في علوم الكتاب، عمر بن علي الدمشقي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

(٢٠٤) لسان العرب، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

(٢٠٥) لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: دائرة المعرف النظامية، الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ-١٩٧١م.

(٢٠٦) الله جل جلاله، سعيد حوىٰ، مكتبة وهبة، مصر.

(٢٠٧) الله والعلم الحديث، صقر المري، وزارة الدفاع، إدارة الشئون المعنوية والثقافية.

(٢٠٨) الله يتجلىٰ في عصر العلم، تأليف نخبة من العلماء الأمريكيين، ترجمة د. الدمرداش عبدالمجيد سرحان، راجعه وعلق عليه: د. محمد جمال الدين الفندي، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، نيويورك، الطبعة الأولىٰ ١٩٦٠م.

(٢٠٩) الله يتحدىٰ الملحدين، أدلة علمية معاصرة لإثبات وجود الله، د. محمد شيخاني، دار قتيبة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

(٢١٠) الله، يبحث في نشأة العقيدة الإلهية، عباس محمد العقاد، دار نهضة مصر للنشر، الطبعة التاسعة، ٢٠١٢م.

(٢١١) لورانس براون، بواسطة: التبشير والاستعمار، بواسطة: دمروا الإسلام وأبيدوا أهله، جلال العالم، دار الاعتصام.

(٢١٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي، مكتبة الإيمان، مصر.

(٢١٣) مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفىٰ مسلم، دار القلم، الطبعة الرابعة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

(٢١٤) مجمع الأمثال، أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني، تحقيق: محمد محييٰ الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت.

(٢١٥) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

(٢١٦) مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، محمد طاهر بن علي الكجراتي، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الثالثة، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

(٢١٧) مجمل اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(٢١٨) مجمل اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(٢١٩) مجموع الفتاوىٰ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية،١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

(٢٢٠) مجموعة الرسائل والمسائل، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، علق عليه: السيد محمد رشيد رضا، لجنة التراث العربي.

(٢٢١) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

(٢٢٢) محاضرات في النصرانية، تبحث في الأدوار التي مرت عليها عقائد النصارى، وفي كتبهم، ومجامعهم المقدسة، وفرقهم، محمد أبو زهرة، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، الطبعة الرابعة ١٤١٤هـ.

(٢٢٣) المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

(٢٢٤) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٢٢٥) مختصر تفسير ابن كثير، اختصار وتحقيق: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م.

(٢٢٦) مختصر معارج القبول، هشام بن عبد القادر بن محمد آل عقدة، مكتبة الكوثر، الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤١٨هـ.

(٢٢٧) المخصص، علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

(٢٢٨) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

(٢٢٩) المدخل إلىٰ الثقافة الإسلامية، أ.د. احمد المزيد، د. علي الصياح، د. خالد القاسم، د. إبراهيم بن حماد الريس، أ.د. إدريس بن حامد محمد، مدار الوطن للنشر، الطبعة الخامسة عشرة، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

(٢٣٠) المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، د. غالب بن علي عواجي، الدار العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولىٰ، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

(٢٣١) مذاهب فكرية معاصرة، د. محمود مزروعة، دار كنوز المعرفة-جدة، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

(٢٣٢) مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، دار الشروق، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

(٢٣٣) مذكرة التوحيد، عبد الرزاق عفيفي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٠هـ.

(٢٣٤) المرأة والدين والأخلاق، د. نوال السعداوي، د. هبة رؤوف عزت، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢١هـ.

(٢٣٥) مروج الذهب، ومعادن الجوهر، أبي الحسن بن علي المسعودي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولىٰ،١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.

(٢٣٦) المسائل العقدية عند الفلاسفة، أ.د. أحمد السيد علي رمضان، دار الدراسات العلمية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولىٰ، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

(٢٣٧) المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، المعروف بابن البيع، تحقيق: مصطفىٰ عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

(٢٣٨) المستدرك علىٰ مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام، جمعه ورتبه وطبعه علىٰ نفقته: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم (المتوفىٰ: ١٤٢١هـ)، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٨هـ.

(٢٣٩) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

(٢٤٠) مسند البزار، البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو العتكي، المعروف بالبزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبدالخالق الشافعي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.

(٢٤١) مشارق الأنوار علىٰ صحاح الآثار، عياض بن موسىٰ اليحصبي السبتي، دار النشر، المكتبة العتيقة ودار التراث.

(٢٤٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.

(٢٤٣) المصطلحات الأربعة في القرآن، أبو الأعلىٰ بن أحمد حسن المودودي، تقديم: محمد عاصم الحداد، تخريج: محمد ناصر الدين الالباني.

(٢٤٤) المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٩هـ.

(٢٤٥) المطلع علىٰ ألفاظ المقنع، محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي، تحقيق: محمود الأرناؤوط، وياسين محمود الخطيب، مكتبة السوادي للتوزيع، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

(٢٤٦) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلىٰ علم الأصول، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

(٢٤٧) المعجزة الكبرىٰ القرآن، محمد بن أحمد بن مصطفىٰ بن أحمد المعروف بأبي زهرة، دار الفكر العربي.

(٢٤٨) معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلىٰ معرفة الأديب، ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

(٢٤٩) المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة.

(٢٥٠) المعجم الفلسفي، بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، د. جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م.

(٢٥١) المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، الهيأة العامة لشئون المطابع الأميرية، مصر، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٢٥٢) المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية.

(٢٥٣) معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

(٢٥٤) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبدالباقي، المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا، ١٩٨٢م.

(٢٥٥) معجم المؤلفين، عمر بن رضا بن محمد كحالة، مكتبة المثنىٰ، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢٥٦) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفىٰ، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، دار الدعوة.

(٢٥٧) معجم ديوان الأدب، إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، تحقيق: د. أحمد مختار عمر، مراجعة: د. إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

(٢٥٨) معجم ديوان الأدب، إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، تحقيق: د. أحمد مختار عمر، مراجعة: د. إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

(٢٥٩) معرفة الله «دلائل الحقائق القرآنية والكونية، قدرة الله تتجلىٰ في مخلوقاته»، المرابط بن محمد لخديم الشنقيطي، دار وحي القلم، دمشق، الطبعة الأولىٰ، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٤م.

(٢٦٠) المعرفة في الإسلام، مصادرها ومجالاتها، د. عبدالله بن محمد القرني، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٩هـ.

(٢٦١) المغرب، ناصر بن عبد السيد الخوارزمي المُطَرِّزِيّ، دار الكتاب العربي.

(٢٦٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢٦٣) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

(٢٦٤) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهانى، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

(٢٦٥) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(٢٦٦) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، الجفان والجابي - قبرص، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

(٢٦٧) الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، مؤسسة الحلبي.

(٢٦٨) من تاريخ الإلحاد في الإسلام، د.عبدالرحمن بدوي، مركز عبدالرحمن بدوي للإبداع، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.

(٢٦٩) مناهج الأدلة في عقائد الملة، ابن رشد، تحقيق: د.محمود قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية، ١٩٦٤م.

(٢٧٠) مناهج الجدل، د. زاهر الألمعي، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض.

(٢٧١) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

(٢٧٢) المنقذ من الضلال، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، دار الكتب الحديثة، مصر.

(٢٧٣) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(٢٧٤) منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد، د. عثمان علي حسن، دار إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

(٢٧٥) منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلىٰ الإسلام، د. حمود بن أحمد الرحيلي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

(٢٧٦) منهج القرآن في الدعوة إلىٰ الإيمان، د. علي بن محمد الفقيهي، رسالة ماجستير جامعة الملك عبدالعزيز، فرع مكة المكرمة، جامعة أم القرىٰ حاليًا، الطبعة الأولىٰ،١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.

(٢٧٧) المواقف في علم الكلام، الإيجي، عالم الكتب، بيروت.

(٢٧٨) موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم ' (تاريخ ما قبل الإسلام) إلىٰ عصرنا الحاضر ١٤١٧ هـ/ ٩٦ - ٩٧م، أحمد معمور العسيري، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

(٢٧٩) موسوعة الأديان المذاهب الفكرية المعاصرة، مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، موقع الدرر السنية علىٰ الإنترنت dorar.net.

(٢٨٠) موسوعة الفلسفة، عبدالرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٩٨٤م.

(٢٨١) الموسوعة الفلسفية، وضع لجنة من العلماء والأكاديميين السوفيت، بإشراف: رونتال، يودين، ترجمة: سمير كرم، مراجعة: صادق جلال العظم، جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.

(٢٨٢) الموسوعة الكونية الكبرىٰ آيات العلوم الكونية، وفق أحدث الدراسات الفلكية والنظريات العلمية، ٢٦٩ عالماً وباحثاً شاركوا بآرائهم في هذه الموسوعة: د. ماهر الصوفي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

(٢٨٣) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف: د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤٢٠هـ.

(٢٨٤) موسوعة لالاند الفلسفية، أندرية لا لاند، منشورات عويدات، بيروت، باريس، الطبعة الثانية، ٢٠٠١م.

(٢٨٥) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م.

(٢٨٦) ميليشيا الإلحاد، أ. عبدالله بن صالح العجيري، تكوين للدراسات والأبحاث، الطبعة الأولىٰ، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.

(٢٨٧) النبوات، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

(٢٨٨) النجاة، ابن سينا، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٥٨هـ.

(٢٨٩) النحلة تسبح الله تعالىٰ بلغة العلم ولسان الواقع، محمد حسن الحمصي، دار الرشيد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الثالثة ١٩٧٧م.

(٢٩٠) النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري، تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرىٰ، دار الكتاب العلمية.

(٢٩١) النفس والمجتمع، محمد قطب، دار الشروق.
(٢٩٢) نهاية الإقدام في علم الكلام، الشهرستاني، صححه الفرد جيوم، ليدن.
(٢٩٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزوادي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
(٢٩٤) هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل بن محمد البغدادي، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول ١٩٥١م.
(٢٩٥) الوجود الحق، براهين علمية قاطعة تدحض الإلحاد وتثبت الإيمان، د. حسن هويدي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
(٢٩٦) وجود الله، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، مصر، الطبعة الثالثة، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
(٢٩٧) وحدة الدين والفلسفة والعلم، أبو الفيض المنوفي، بواسطة دعوة التوحيد، محمد خليل هراس، مكتبة ابن تيمية.
(٢٩٨) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد ابن خلكان البرمكي، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٩٠٠م.
(٢٩٩) وهم الإلحاد، د. عمرو شريف، الأزهر، وصدر مع مجلة الأزهر عدد محرم ١٤٣٥هـ.

ثانياً: المراجع الإنجليزية:

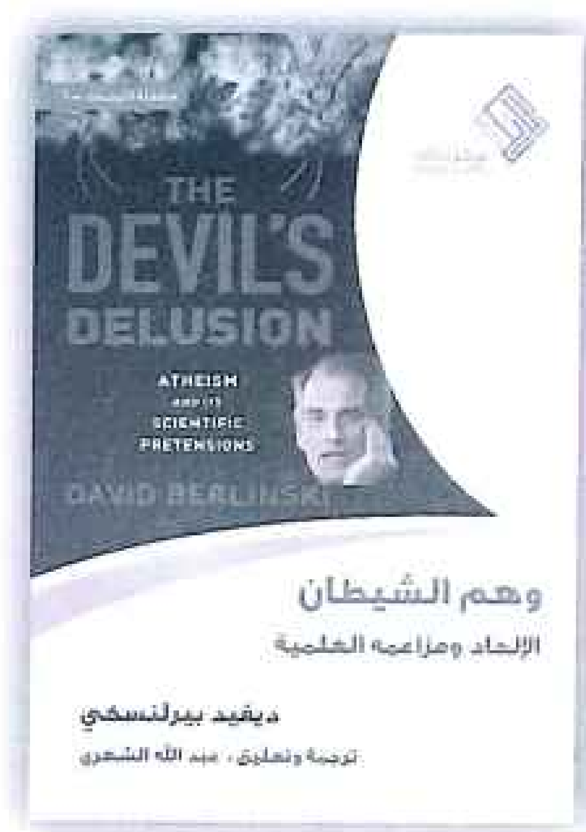
(٣٠٠) Atheism، Buckley، P.38، بواسطة: الفيزياء ووجود الخالق، مناقشة عقلانية إسلامية لبعض الفيزيائيين والفلاسفة الغربيين، جعفر شيخ إدريس، مجلة البيان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

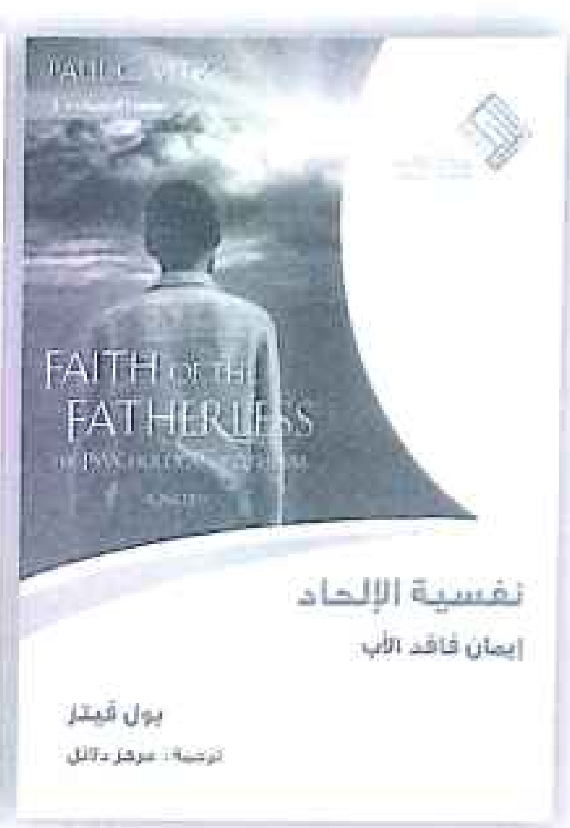
(٣٠١) Id.Tbid.p.133، بواسطة: الدين، د. محمد دراز.

(٣٠٢) The Evidence of God، بواسطة: معرفة الله «دلائل الحقائق القرآنية والكونية»، المرابط الشنقيطي، دار وحي القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ-٢٠١٤م.

(٣٠٣) Voir p.de la boullaye، ouvrage cite، I، 17-18، بواسطة: الدين، د. محمد دراز، دار القلم، الكويت، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م.

❊ ❊ ❊


THE DEVIL'S DELUSION
ATHEISM AND ITS SCIENTIFIC PRETENSIONS
DAVID BERLINSKI
وهم الشيطان
الإلحاد ومزاعمه العلمية
ديفيد بيرلنسكي
ترجمة وتعليق: عبد الله الشهري


FAITH OF THE FATHERLESS
نفسية الإلحاد
إيمان فاقد الأب
بول فيتز
ترجمة: مركز دلائل

منهج القرآن الكريم
في دحض شبهات الملحدين

« وتواردت الأسئلة على العقول عن الخلق والوجود، وتساءل الإنسان: هل هناك خالق لهذا الوجود؟ وأين هو؟ وهل يعلم بخلقه؟ وهل له صفات؟ ومن أين جئتُ؟ وإلى أين أسير؟ وما الغاية من وجودنا في هذه الحياة؟ وهل هناك حياة بعد الموت؟ ولماذا لا يعود من يموت؟ هذه التساؤلات وأكثر يبحث عن إجابة لها ؛ فيحتار ، ولا يمكن أن يجد جوابًا كافيًا شافيًا مقنعًا إلا من خلال المنهج الرباني الذي قرره الله في كتابه العزيز ، فإن من ضلّ الطريق، واكتوى بنيران الضلال والإلحاد ، وأضلته دروب الفلسفة، والمذاهب المادية في الحياة ، يجد في القرآن الكريم ظلًّا يستظل به من ظلمات الوحشة والتردد والحيرة ، فينصب في قلبه برد اليقين ، ويرجع إلى الحق بنور الفطرة المتوقدة في النفوس البشرية ، وبدلالات الهدى والآيات الساطعات بالحجج القاهرات التي تملأ النفس يقينًا وإيمانًا ».

أفنان بنت حمد بن محمد الغماس

باحثة في المجال الشرعي والفكري.

جوال : ٠٥٣٩١٥٠٣٤٠ E-Mail:dalailcentre@gmail.com

Dalailcentre/

